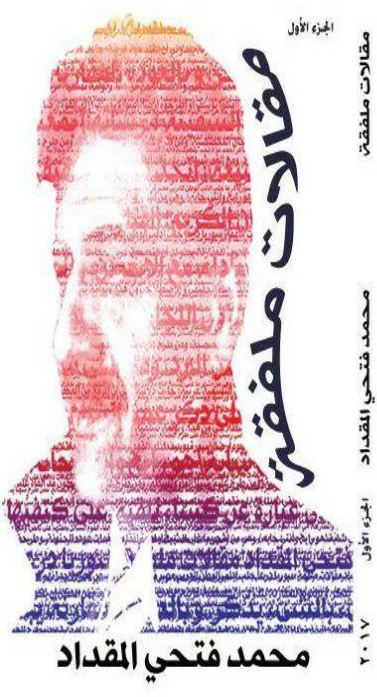

هذا الكتاب

ما حاجتي إلى مقالة تسرد بعض الحقائق وتنقل عن أخرى، لست واعظًا لكني أبحث عن كلمة حق من منظور يُدرك التلفيق فيما يكتب، فبعض المقالات المُلفّقة أجدى نفعاً من تشويه الحقائق في مقالات تدّعي الكمال. هل استوى العالم وتحققت الآمال وعاد الحق لأصحابه..؟, هل عرف التاريخ حقيقته، وأقرت السياسة من عيوب أنزلتها في معارض الحزن ثُلّب الحقائق بانسة لأقرأ مقالة لم تلفق نفسها؟. عندما يلتفتُ الكاتبُ إلى اللّغة والدّين راصدًا أجمل المعاني فيصعقه الواقع بما لا يتوافق مع الأخلاق، وهو يعيش المُشوّه في مسيرة حياة امتدّت بعقودها الخمسة مُلفّقة تحمل قُباءها في بنيتها,فكيف للكاتب محمد فتحي المقداد أن يرسم خطوطًا مستقيمةً في عالم تبعثرت فيه الخطوط مُنحنيةً الرأس، يأسرُها الذّلّ في حياة لا تُرضى إلا بما يُلفّقه الواقع.الرواسي والكاتب السوري محمد فتحي المقداد، قدّم أسلوبًا حداثيًا في كتابه الجديد (مقالات ملفقة)، حيث يأسر القارئ وهما يُقلّبان المقالة من بدايتها حتّى خاتمتها باعثًا الروح في اللغة وتقلباتها والتاريخ و الجغرافيا والدين؛ مُشكّلًا الواقع السياسيّ والإجتماعي إلى حالة روحيّة تدّعي التلفيق حتّى تصل بنفس القارئ إلى مصادر عدّة للحقيقة يعرف من خلالها من يكون.ما زلت أنتظر مقالتك الملفقة كل صباح؛ لأعرف مساري على هذه الأرض المجنونة.

عبدالرحيم جدايّة
شاعر وناقد من الأردن

مقالات ملفقة

(الجزء الأوّل)

تأليف

محمد فتحي المقداد

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٧/٨/٤٢٩٦)

ISBN ٩٧٨-٩٩٥٧-٦٩٢-١٢-٤ (ردمك)

للتواصل مع المؤلف: ٠٠٩٦٢-٧٩٧٨٥٢٦٩٦

دار عمار للنشر والتوزيع
عمان - ساحة الجامع الحسيني - شوق البتراء - عمارة الحجيري
تلفاكس ٤٦٥٢٤٣٧ - ص.ب ٩٢١٦٩١ عمان ١١١٩٢ الأردن
E-mail: dar_ammar@hotmail.com

- **تصميم الغلاف - الشاعر محمد طكّو.**
- **شكر خاص - للشاعر والناقد عبدالرحيم جداية.**
- **مراجعة وتدقيق - الدكتور سلامة عايش السّراحين.**

المقدمة

الحمد لله و به نستعين

أشكر الله الذي أعانني على إخراج تلك المجموعة التي حملت عنوان (مقالات ملفقة) في جوانب متعددة الأوجه و السُّبُل، عمدت فيها للتوفيق بين الأفكار المتباعدة المتناقضة من خلال ربطها بجذرها اللغويّ، بتوليفة تقاربيّة بحيث تصبح مادة مقروءة متجانسة متناسقة، ربّما يروق هذا الأسلوب للقارئ، بهدف تقديم المعلومة النافعة و التتبُّع و التوثيق.

محمد فتحي المقداد

بصرى الشام (سورية) - الكرك (الأردن)

٢٠١٠ - ٢٠١٦

حديثٌ في الهجرة..

يطول الحديث في مثل هذه المناسبة ويطول، وبحاجة كبيرة ليس لكلمات وأسطر فقط، بل للمجلدات و الموسوعات الكثيرة التي يمكنها أو توفّي هذا الحدث حقّه أو شيئاً من حقّه.

فالهجرة لم تكن إلاّ بإذن من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولم تكن من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فراراً بنفسه من شدّة الضغوطات التي اشتّدت وطأتها عليه في مكّة في تلك المرحلة، التي كانت مرحلة التكوين والتأسيس لنواة الدولة الإسلاميّة القادمة لكنّ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا ربه كثيراً بأن يُفرّج الكُربة عنه وعن أصحابه، وعمّق التربية والتّكوين للأفراد الذين أسلموا، وثباتهم المنقطع النظير، والذي أصبح مثالاً يُحتذى في الصبر والمثابرة والثبات على المبدأ، ويمرّ بآل ياسر، فيشدّ من أزرهم: **(صبراً آل ياسر فإنَّ موعدكم الجنة)**، وهي المطلب والمآل لمن ابتغى، وتلمّس سبيلها في حياته، ولم يكن أعظم شيء لدى هؤلاء الذين أسلموا أَنْفَسَ وأغلى من نفوسهم و أرواحهم؛ لبذلها في سبيل الله نصرة للدين.

تُعتبر الهجرة من أهمُ وأجلّ أحداث الإسلام الكبرى، وجاءت بعد أن أذِنَ الرّسول لأصحابه بالهجرة فُرادَى كلٌّ على مقدرته، وعلى مدار فترة من الزمن انتقل الكثير من الصحابة هم وأموالهم وعيالهم إلى دار الهجرة، حتّى اطمأنّ الرّسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الكثرة من الصحابة، وقد أصبحوا في دار آمنة، ولم يبق في مكة إلاّ من عجز من كلّ الأوجه وبقي على دينه سِرّاً، بعد ذلك أخذ جميع التدابير بالتنسيق مع صاحبه وخليله **أبي بكر** (الثاني اثنين)، بعد أن أبقى على **عليّ بن أبي طالب** - كرّم الله وجهه - في فراشه وسلّمه أموال أهل مكّة التي كانوا قد إئتمنوه عليها، فالأمانة خُلق إنسانيّ كريم، يجب أن تُؤدّى لأصحابها، وإن كانوا غير مؤمنين، وعلى دين آخر، واعتقاد يختلفان عن دينك ومعتقدك.

وجاءت الهجرة، بعد أن استعصت النُفوس القرشيّة وأهل مكّة على نفحات الإيمان الربانيّة، و تمترسوا وراء عنجهيّتهم التي كانت سدّاً منيعاً في مقاومة الدعوة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يبذُل كلّ جهده في تبليغ الدعوة، وقد انتهز كلّ مناسبة في كلّ وقت و حين، وكان يتمنّى إسلام قومه، لينقذَهُم من متاهات الكفر الوبيلة التي أُركِسُوا فيها، وصدّوا عن الحقّ وسبله، مما ازداد يقين الرّسول صلى الله عليه وسلم من طلب الإذن من ربّه، ليفتح سبيلاً جديداً لانطلاق دعوة الإسلام إلى العالميّة، من خلال المدينة المنوّرة، التي أصبحت قاعدة الإسلام ومنها انطلق في كلّ اتّجاهات الكون قاطبة.

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه؛ ازداد طلب قريش عليه، وجعلوا الجائزة المُجزيَة لمن أتى به حيّاً أو ميّتاً، ليكون سُراقة بن مالك الذي أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه، وخاطبه عن قُرب بعد أن غاصت أرجل فرسه في الرّمال، ويرجع ولكن بريق الجائزة يُخامِر نفسه، ويعود الكرّة تِلوَ الكرّة، حتّى رجع ولم يَعُد، وذلك بعد أن وعده النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ (بتاج كسرى و سِوَاريْه)، في قرارة نفسه أيقن من صدق الرسول بالبر بوعده، ولما كان فتح المدائن، ودخول الإسلام بلاد الفُرس في عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، الذي قال: **(والله إن قوماً أدّوا مثل هذا لأمناء)**، وجاءت الأموال إلى المدينة، ومن ضمنها تاج كسرى و سِوَارَيْه، فنادى على سُراقة بن مالك، وسلّمه ما كان وعده به رسول الله صلى الله عليه.

لم يكن حدث الهجرة في نفوسنا، مجرّد مناسبة سنويّة عابرة، أو مناسبة رسميّة تُعطّل فيها دوائر الحكومات، أو إقامة الاحتفالات، بل يتعدّى الحديث إلى رؤية آثار الهجرة في حياتنا اليوميّة، التي تعمّقت فيها محبّة الرّسول صلى الله عليه وسلم، وهجرته التي كانت سبباً في نشر النّور والسلام والعدل والمساواة و الإخاء الإنسانيّ بين بني البشر، عندما سبقت مبادئ ولسون ومبادئ الثورة الفرنسيّة بقرون طويلة، ويقف التاريخ مبهوراً أمام حدث الهجرة، وأمام عظمة من هاجر في سبيل نُصرة دينه.

الهجرة ..

تعدّدت أسبابها والمبدأ واحد، وعلى اعتبار أنّنا دخلنا عاماً هجريّاً جديداً، فالعام الهجريّ أخذ اسمه من هجرة النبيّ صلى الله عليه وسلم، وكان حدث الهجرة فريداً ولا يزال، بسبب النتائج التي نتجت عنه، وعلى مدار التاريخ لم تتوقّف الهجرات البشريّة، بشكل فرديّ وجماعيّ، وما ينطبق على كلّ هجرة ليس بالتأكيد، ينطبق على الهجرة الأخرى؛ لأنّ الأسباب والمُسبّبات تختلف، وقد كانت هجرات القبائل بسبب الثأر السّائد في المجتمعات القبليّة(مصطلح الجلوة) فمن قتل شخصاً، فكُلّ قبيلته تتحمّل عبء حمل الدم والديّة، وما يستتبعها من هجرة لديار أخرى حتى يحدث الصُلح ضمن طقوس مُتعارف عليها.

وكانت بعض الهجرات بسبب الحروب القوميّة والأهليّة والطائفيّة والتي لم تتوقّف إلاّ لفترات استراحة قصيرة؛ لتعود مُطلة برأسها من جديد.

وهناك قضايا التهجير الجماعيّ لشعوب بأكملها، كما حدث في المرحلة الستالينيّة، ولنا أن نتخيّل الآثار والنتائج المُتمخِّضَة عنها هذه التجربة القاهرة لكلّ من طاله ظُلمها ومن وقع في براثنها.

وقد تفجّرت في الأعوام المُنصرمة، هجرة العُقول العربيّة للغرب بسبب قلّة إمكانيّات البحث العلمي وتخلف التنمية، وبهذا السبب فقد حُرِمَت بلادنا وأوطاننا من طاقات تلك العقول، كما أنّ الكثير منها رجعت بعد اكتسابها أرفع الشهادات العلميّة والاكتشافات لخدمة أوطانها؛ لتجد أن الأوطان ليست بحاجتها بسبب الروتين الإداريّ والتخلّف عن ركب الحضارة في مُجاراة العالم المتقدّم علميًّا وتقنيًّا.

أيضاً الهجرة الداخليّة في داخل كلّ بلد (هجرة من الريف إلى المدينة) بسبب قلة إمكانيّات العيش و الرّفاه في الرّيف، مما نتج عنه الهجرة العشوائيّة وغير المنظّمة إلى المُدُن، مما سبّب تكدّس السكن العشوائيّ على أطراف المدن، ونشوء تجمّعات سكانيّة مُخالفة، لم تحصل على القليل من الخدمات؛ نتج عن ذلك التفجّر السكانيّ في الكثير من المدن الكبيرة، حيث تكثر فيها سبل العيش واكتساب الرزق و الارتباط بالعمل الوظيفيّ.

وقد حدثت هجرات خارج الأوطان، وذلك لأسباب متعدّدة منها على سبيل المثال:

- هجرات بسبب الاضطهاد الدينيّ والطائفيّ.

- هجرات لجوء سياسيّة.

- هجرات اكتساب الرّزق وتحسين الأوضاع المعاشيّة.

- هجرات فرار بالدّين وهدفها التبليغ والدعوة، وهي قليلة أو تكاد تكون مُنعدمة.

ويبقى لكلّ حالة وضعها على اختلافها أسبابها ونتائجها، وكما أعتقد **(إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها، أو امرأة ينكِحُها، فهجرتُه إلى ما هاجر إليه)**.

ويبدو أن الظلم المتفشّي في كلّ العالم هو السبب الأوّل والمُسبّب للهجرات بكافّة أنواعها، ومقصدها بلاد الغرب الأوربية وهو المفضّل؛ لتوفُّر أسباب العيش ومستويات الدّخل المرتفعة والضمان الإجتماعيّ والصحيّ وغير ذلك، وكذلك الهجرة إلى المناطق المجاورة لمناطق تفجّر الحروب والاضطرابات.

كما أنّ ثقافة الغرب المُتسامحة التي تقبّلت بكلّ بساطة أفواج المهاجرين من كافّة المِلَلِ والنِّحَلِ من الجنوب والشرق، مما جعلها مطمح كل طامح، و لك أن تتخيّل البؤساء الذين يهاجرون بطرق غير شرعيّة بمساعدة المافيات التي تستغل حاجاتهم، وعلى قوارب الموت يلقون حتفهم في البحار؛ ليكونوا طعاماً لأسماك القرش.

الحد .. والحدود

منذ صغري وأنا أكره الحدود السياسيّة بين الدول العربيّة، تلك الخطوط التي رسمتها اليد الاستعمارية الآثمة، وما (سايكس بيكو) إلا تلك اللّعنة الحقيرة التي أحالت بلادنا دُوَلاً وممالك شتّى ذات أنماط حُكم مختلفة، بحيث تتنافر ولا تقترب من بعضها، وكَوْني من مُحِبّي السفر والاغتراب، فقد كنتُ أُصاب بالرُّهاب النفسيّ عندما أقتربُ من مراكز الحدود، أُفتّش عن جواز سفري وأملأ استمارات الدخول مُحاولاً عدم الخطأ في نقل المعلومات والأرقام، حتّى ندخل قاعات المغادرة أو الدّخول، وقلبي يخفق باضطراب عجيب، خوفاً من أن لا أستلمَ جواز سفري مَمْهُوراً بختم المغادرين أو القادمين، تعود الأنفاس إلى صدري وتخف حالة اضطرابي عندما يُنادى على اسمي وأستلم جوازي مُدقّقًا على الختم و تاريخه.

لأستعيد بِعُجالة فيلم (**الحدود**) الذي ألّفه الشاعر (**محمد الماغوط**) وقام ببطولته الفنّان (**دُريد لحّام**)، وهو يُعاني من عدم استطاعته بالدخول من شرقستان إلى غربستان، واضطر للعيش في المنطقة العازلة، مثلما حدَثَ في مرج الزّهور، وفي رُويشد، حيث أقيمت على عَجَل للمُهجّرين مُخيّمات بائسة تفتقر لأبسط وسائل العيش.

عجيبة تلك الحدود اللّعينة التي أنتظر فيها الساعات الطويلة، وأنا أنظر إلى **(خواجة)** أوربيّ يدخل مُعزّزاً مُكرّماً إلى صالات المغادرة و الوصول، يناول جواز سفره للموظف المختصّ ليَمهَرَه له دون المرور على أجهزة الحاسوب مُودّعًا له بابتسامة تدلُّ على كرم الضيافة العربيّة؛ بينما أنا أخضع للاستجواب والتأشيرة المُسبَقة، وأنا ابن هذه الأرض و الديرة التي باعدتها الحدود، أعاني من القهر النفسي عندما أصل هذه البقعة.

ومن هنا كان تقديسي لِحُدود الله عز وجل وعدم اقتراف أيّ منها، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكرهُ إقامة الحدود، فجاءت القاعدة الفقهية بأن: **(الحدود تُدرَأ بالشُّبهات)**، أي إذا اتُّهِم شخص باقتراف حدٍّ ما، فلا يُقام عليه الحدّ ما دام هناك شُبهة ولو ضئيلة بأنه ليس هو الفاعل، والذين يُحادّون الله ورسوله أولئك في جهنم خالدين فيها، وفي القرآن: **(لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمان)***، أي لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادّون يصادقون (من حادّ الله ورسوله ولو كانوا) أي المحادُّون (آباءهم) أي المؤمنين (أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) بل يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الإيمان، كما وقع لجماعة من الصحابة رضي الله عنهم (أولئك) الذين لا يوادّونهم (كتب) أثبت (في قلوبهم الإيمان).

مادة (حد في اللغة)، حدَّ السِّكِّين وغيره: معروف. وحَددت السكَين وغيرَه أحده حداً، إذا مسحته بحجر أو مِبْرَد؛ يُقال: حَدَدتُ السِّكَين وغيره أحُدّه، وسِكِّين حديد وحُدَاد.

- ورجل حدٌّ ومحدود، إذا كان محروماً لا ينال خيراً. و أحددت إليك النظر أحده إحداداً.
- والحَدَّ بين الشيئين: الفَرْق بينهما لِئَلّا يعتدي أحدُهما على الآخر. وحَدَدت على الرّجل أحدُّ حدَّة، إذا غضبتُ عليه.
- وحَدَّ الدار: معروف.
- وحَدُّ السارق وغيرِه: الفعل الذي يمنعه من المعاودة ويَحدّه عنه، ويمنع غيره أيضاً.
- وأصْلُ الحَدّ: المنع. يقال: حَدّني عن كذا وكذا، إذا منعني عنه. و به سُمّي السَجّان حَدّاداً لمنعه، كأنه يمنع من الحركة.
- وحدّت المرأةُ و أحَدّت، إذا تركَتِ الطِّيب والزينة بعد زوجها.
- ويقال: هذا أمرٌ حَدد، أي ممتنع. ودعوة حَدد، أي مردودة لا تُجاب.
- وبنو حُدَاد: بطن من العرب، من طيّء. وبنو حِدّان من بني سعد. وحُدّان من الأزد.

و يقال: ما **(مثل سيف أبو حدّيْن)**، وعن شخص إذا أشير إليه بتهمة فيقول: (حدْ الله ما بيني وبينك) وهي بمثابة اليمين والتبرّؤ مما أسند إليه من تهمة. ومن لم يلق أحداً يساعده في حاجته يقول: **(ما حدا لِحَدا)** أي لا أحد ينتبه لأحد. وفلان شديد في اتّخاذ قراره بصرامة وحزم فهو من**(يحط الحد على الزعرورة)**، و الزعرورة شجرة في أرض فلاة، فعندما اختلفوا على حدود تلك الأرض،

مضى يمشي حتى غرز سيفه عند تلك الشجرة، وقال: هنا الحد، وفرضه فرضًا. وما زال النّاس في أفراحهم في بصرى يتغنّون بأفعال هذا الرجل الشّجاع القوي بقولهم: (**فزعنا وفزع معانا سعيد**).
ومن أراد أن يُنبّه شخصًا قريباً منه ويحذرّه من أمر أن لا يأتيه، وهذا القول يشبه العهد: (**حدّ الدُنيا بيني وبينك**)، أي إذا فعلت ذلك الأمر فستكون نهاية العلاقة.
وتوالدت المعاني من ذلك، حتى قيل عن فلان أنّه (مُحايِد) لا ينتمي لفئة ما، وهناك الحياد الإيجابيّ في علاقات الدُول كـ(**عدم الإنحياز**)، والحياد السلبي الذي يكون قلبه معنا وسيفه علينا، وكذلك (حادي العيس) راعيها وسايِسَها، و(حادي عشر) كعدد أوّل في التعداد المُركّب، وفي الرياضيّات الزاوية الحادّة..، و(حادَ) عن الطريق انحرف عنها، وفُلفل (حادّ) أي ذو طعم حرّيف لاذع، و(حَيْدٌ مَرجاني) في البحار تكون الأرض منحدرة ببطء شديد نحو قاع البحر تعيش فيه الشّعاب المَرجانيّة. عيناي ترقبان ذلك اليوم المأمول عندما تكفر الشعوب العربيّة بالحدود وتنتفضَ عليها، وتعود بلادنا كما كانت قبل القهر الأوربيّ، حتى أستطيع ركوب قطار عربيٍّ من طنجة حتّى رأس الخيمة ولا يعترضني أحد، ولا أحتّاج مراجعة السّفارات العربيّة للحصول على تأشيرة مُسبقة للدخول، ومن قال غداً، فإن ناظره قريب..... بعون الله، وما ذلك على الله بعزيز.

وأما من جاءك يسعى

الحياة كلّها سعيٌ في سبيل الارتقاء للأفضل، وفي جميع الاتّجاهات من الكون، والسّعي يأخذ أشكالاً من الفعاليّات، فمن العمل الوظيفيّ والحرّ والسفر في بقاع الأرض، وفي التجارة والصناعة وغير ذلك، مما يُعتبر سعياً في اكتساب الرزق والمال والشهرة، وممكن أن يسلك السّاعي طريق الخير أو طريق الشر.

والسعي من المشي، الدَّبِيبُ، ثُمَّ المَشْيُ، ثُمَّ السَّعْيُ، ثُمَّ الإيفَاضُ، ثُمَّ الهَرْوَلَةُ، ثُمَّ العَدْوُ، ثُمَّ الشَّدُّ والسَّعْي: مصدر سَعَى يسعَى سَعْياً من العَدْو وهو الأقرب للرّكض، ومن ذلك قول الحقّ فاسعوا إلى ذكر الله.

و من سَعَى للسلطان، إذا وَلِيَ لهم الصدقة، وساعَةُ الرّجُل الأمَةَ(من الإماء والعبيد) إذا فَجَرَ بها، ولا تكون المُساعاة (الفُجور) إلاّ في الإماء، وساعي القوم سيّدهم. و السَّيْع: مصدر ساعَ السرابُ يسيع سَيْعاً و سُيوعاً، إذا اضطرب على وجه الأرض، و السِّياع: الطين الرقيق، والمِسْيَعَة: الخشبة التي يطيَّن بها.

وأفضل السعي هو ما كان على العيال؛ لتأمين حياة كريمة تليق بالإنسان، وبعيداً عن دروب الانحراف و التهاوي في حمأة الرذيلة، ورحم الله أيّام زمان فورة الإتّصالات يوم كانت تأتي رسائل من

الأحباب المسافرين يُلقيها إلينا ساعي البريد تلك المهنة التي تلفظ أنفاسها الأخيرة أمام تقنيّة العصر، حيث صِرْنَا نشتاق لمنظر الرسائل بظروفها المطرّزة بالأحمر والأزرق والأختام والطوابع المختلفة، وعبدالله بن أم مكتوم ذلك الصحابي الأعمى الذي سعى للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فأعرض عنه قليلاً حيث كان يُخاطب زعماء القبائل طمعاً في إسلامهم، وكان عتاب الله عز و جل له في سورة عبس: **(وأما من جاءك يسعى، وهو يخشى، فأنت عنه تلهّى)** ومن زار بيت الله الحرام (الكعبة) حاجّاً أو مُعتمِرَاً لا بُدّ أن يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، وفي مُنتصف الشوط مسافة يجب الهرولة بها اقتداء بأم إسماعيل (هاجر)، والسّاعي على الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله، أما(السّاعُون فسادًا) المُفسِدون في الأرض، فوصفهم القرآن في قوله تعالى:

(إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) المائدة٣٣، من خلاف أي اليد اليمني والرجل اليسرى، والمسيح عيسى عليه السلام لقبه (يسوع) ومن ذهب للتعزية، فيقولون له: **(شكر الله سعيكم)**، ولما كنت أعمل في الإمارات، لفت انتباهي طريقتهم بلقاء من يأتي إليهم يلقوْنَه بمقولة: **(يا مرحبا الساع)**، ويُعنُون بها يا مرحبًا بالساعي إلينا، وسُعاة الشرّ الذين يسعون لبثّ الفُرقَة بين النّاس، ومن السُّعاة الذين يسعون لأخذ أخبار الناس

والإيقاع بهم كذباً وزوراً وبهتاناً، طمعاً بالتزلف وكسب المال والثقة من ذوي الشأن.

وفي ليبيا فإن الماعز والغنم يُسمُّونَها (السعي)، وفي الذاكرة الشعبية يقولون عن أمر حصل بيسر وسهولة (حصل بأهون سعي)، وإذا أرادوا حث على شخص على العمل والجد والنشاط يقال له: (بدها سعي) و (اسع يا عبدي تا أسعى معاك) ومنه اشتقت كلمة للهامل قليل الأعمال يقال له (سايع).

غُربةٌ واغتراب

لا يوجد شخص في هذه الدنيا إلا اغترب عن وطنه ومسقط رأسه ، إما للسياحة أو للعمل أو لأشياء أخرى، ومهما كانت الغربة مريحة وسهلة لكنها لها كربات على النفس، من اللهفة والشوق للأهل والأصدقاء والأوطان .

- وهذا مالك بن الريب الذي رثى نفسه يقول:

(غَريبٌ بَعيدُ الدارِ ثاوٍ بِقَفرَةٍ = يَدَ الدَّهرِ مَعروفاً بِأَن لا تَدانِيا)

وكذلك في قصيدة "ليس الغريب" (للإمام زين العابدين علي بن الحسين)، **(لَيْسَ الغَريبُ غَريبَ الشَّأمِ واليَمَنِ = إِنَّ الغَريبَ غَريبُ اللَّحدِ والكَفَنِ)**.

ومن هنا لضرورة البحث في مكنونات الغربة والاغتراب، وغروب شمس النهار، ومعها غروب شمس العمر، وغروب الحضارة إذا ضعفت، وإذا كانت الرياح غربية في الشتاء فهي الرياح التي تحمل المطر والثلج حيث يشتد البرد.

لكن إذا رجعت للشعر والشعراء فهناك الشاعر المصري، ذو الطلعة البهية (صفاء غراب)، وليس ببعيد عما حدث للعراق الجريح من الاستعمار الأمريكي وحلفائه من قتل وتدمير وتشريد، وما المآسي اللا إنسانية التي شاهدناها على شاشات التلفزة في سجن أبو غريب، إلا دليل البلطجة الأميركية الغربية التي تستعبد وتنكل بالشعوب.

وتعود بنا الذاكرة، لمسرحية (غُرْبَة) التي كتبها الشاعرمحمد الماغوط، وقام ببطولتها الفنّان دريد لحام ونهاد قلعي، ما هي إلا عودة بالذاكرة للتخلف الاجتماعي الذي كرسته انتهازية الواجهات الاجتماعية بما مارست من الاستحواذ على كل شيء، والجدب وإلهاء الناس بتوافه الأمور لصرفهم عن الحقيقية، ودفع الكوادر من الشباب للهجرة والاغتراب. وهناك قصيدة"غريب على الخليج" للشاعر بدر شاكر السياب.

أما ونحن أبناء الأرض كفلاحين اختلطت ذرّات التراب بأرواحنا ومزجت بدمائنا، فإننا نعمل ليل نهار في الأرض، وفي موسم الربيع وقبل الحصاد، كنا نقوم بتعشيب الأعشاب الضارة من بين المزروعات، ومنها عشبة تسمى (الغريبة) ونعود لدوحة العربية في لسان العرب (لابن منظور)* ونتتبع فيه مادة(غرب).

الغُربة: الاغتراب، و منه: تَغَرَّبَ، واغتربَ، بمعنًى فهو غريب وغُرُب أيضاً والجمع الغُرَباء. والغُرَباء أيضاً: الأباعد. واغترب فلانٌ، إذا تزوَّج إلى غير أقاربه. وفي الحديث: "اغترِبوا لا تُضْووا". والمُغَرِّب: الذي يأخذ في ناحية المَغْرِب. ويقال أيضاً: هل

جاءكم مُغرِّبة خَبَرٍ، يعني الخبر الذي طرأ عليهم من بلدٍ سوى بلدهم. وشَأْوٌ مُغَرِّبٌ ومغرَّب أيضاً: أي بعيد. والتَّغْريب: النفي عن البلد. وأغْرَب الرجل: جاء بشيءٍ غريب. وأغْرَبْتُ السقاءَ: ملأته. وأغْرَب الرجل: صار غريباً. واستَغْرَب في الضحك: اشتدَّ ضحكه وكثر. والمُغْرَب: الأبيض، والمُغْرَب أيضاً: الأبيض الأشفار من كلِّ شيء؛ تقول: أغْرِب الفرس، على ما لم يسمّ فاعله، إذا فشت غُرَّته حتَّى تأخذ العينين فتبيضّ الأشفار. وكذلك إذا ابيضَّت من الزَّرَق. وأُغْرِب الرجل أيضاً، إذا اشتدَّ وجعه. والغُراب: واحد الغِرْبان، وجمع القلَّة أَغْرِبة. وغرابُ الفأس: حدُّها وغُرابا الفرس والبعير: حدُّ الوِركين، وهما حرفاهما: الأيسر والأيمن، اللذان فوق الذنب حيث يلتقي رأسا الورك. وجمعه أيضاً غِرْبانٌ. ورِجلُ الغُراب: ضربٌ من الصِّرار شديد. يعني به النضيج من ثمر الأراك. وتقول: هذا أسود غِرْبيبٌ، أي شديد السواد. وإذا قلت: غرابيبُ سودٌ، تجعل السود بدلاً من الغرابيب؛ لأنَّ تواكيد الألوان لا تقدَّم. والغَرْب والمَغْرِب بمعنًى واحد. وقولهم: لقيته مُغَيْرِبان الشمس، صغَّروه على غير مكبَّره، كأنَّهم صغَّروا مَغْرِبانا. والجمع مُغَيْرِبانات. وغَرَبَ أي بَعُد، يقال: اغرُبْ عنِّي، أي تباعد. وغرَبت الشمس غُروباً. والغُروب أيضاً: مجاري الدمع. وللعين غُرابان: مقدِمها ومؤخِرها. قال الأصمعيّ: يقال: لعَينهِ غَرْبٌ، إذا كانت تسيل ولا تنقطع دموعها. والغُروب: الدموع. والغروب أيضاً: حدَّة الأسنان وماؤها، واحدها غَرْب والغَرْب أيضاً: الدلو العظيمة. ويقال لحدّ السيف غَرْب. وغَرْب كلِّ شيء: حدُّه. يقال في لسانه غرب، أي حدَّة. وغَرْبُ الفرس حدَّته

وأوَّل جريه. تقول: كففت عن غَرْبه. وفرسٌ غَربٌ، أي كثير الجري. والغَرْب أيضاً: عِرق في مجرى الدمع يسقي فلا ينقطع، مثل الناسور. ونَوًى غَرْبَةٌ، أي بعيدة. وغَرْبة النوى: بُعْدها. و غَوارِب الماء: أعالي موجه، شبِّهت بغوارب الإبل. والغَرَب، بالتحريك: الفضَّة. والغرَب أيضاً: الخمر. والغَرَب في الشاة كالسَعَف في الناقة، وهو داءٌ يتمعَّط منه خرطومُها، ويسقط منه شَعر عينيها. وقد غَرِبت الشاة. والغرَب أيضاً: الماء الذي يقطر من الدلاء بين البئر والحوض، وتتغيَّر ريحُه سريعاً. والغَرَب أيضاً: ضرب من الشجر وهو إسفيدار بالفارسية. وأصابه سهم غَرَب يضاف ولا يضاف يسكَّن ويحرك، إذا كان لا يُدرى من رماه.

وقد وردت في القرآن الكريم بلفظ، في قوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَ غَرَابِيبُ سُودٌ)** فاطر٢٧، **(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا)** فيه التفات عن الغيبة **(به ثمرات مختلفا ألوانها)** كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها **(ومن الجبال جُدَدٌ)** جمع جدة طريق في الجبل وغيره بيض وحمر وصفر **(مختلف ألوانها)** بالشدة والضعف **(وغرابيب سود)** عطف على جدد أي صخور شديدة السواد، يقال كثيرًا: أسود غربيب وقليلاً غربيب أسود، وقد ورد في الحديث الشريف في باب الزهد بمتاع الدنيا: **(طوبي للغرباء)**، وكذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **(كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)**.

وفي تراثنا الشعبي ما يمكن أن نضيفه هنا ، فالأب عندما يغضب من فعل ولده يقول له: **(اغْرُب عن عيني)**، ومن أهمل أمراً يقولون عنه: **(ترك الحبل على الغارب)**، والغارِب: **"ما بين السنام والعنق"**. ومنه قوله **(حَبْلُكِ على غارِبك)**، أي اذهبي حيثما شئت.

وأصله أنَّ الناقة إذا رعت وعليها الخِطامُ أُلقِي على غاربها، لأنَّها إذا رأت الخِطام لم يهنئها بشيء. والغراب ذلك الطير الأسود، الذي يعيش في المناطق المهجورة، وهو نذير شؤم عند الكثير من الناس فعندما يتشاءمون من شخص يقولون له: **(غراب البيْن)**.

وليس لأي منا استغناء عن حلويات (الغُرَيْبَة) في المناسبات وهي لصيقة بالبرازق. تلك الحلويات طيّبة حلوة المذاق، والمنتشرة في بلاد الشام على نطاق واسع. أمّا أصعب أنواع الغربة والاغتراب هي غربة الإنسان عن نفسه وعن محيطه الأُسَريّ والاجتماعيّ، فهي التي تصيب بخيبة الأمل والإحباط واليأس.

أغنية للتاريخ

تشدو المطربة فيروز المتألقة، وتشدو معها الأرواح، وترقص القلوب طرباً، وتنتشي شغاف القلب على دندنتها، وصوتها الناعم الذي يجيء كهمس الحبيبة، ليبث عطر الكلام والألحان فيعبق المكان.

ولكن تفرّد أغنية – عالروزانا عالروزانا – ومن العجيب أنني لم أكن أعرف عن أي شيء تغني وما هو المقصود بالروزانا حتى شاءت الصدف أن أرسل رسالة لصديق من (أبو ظبي) التي كنت أعمل فيها. حيث أنني كنت قد سألته على سبيل التعجيز واللامبالاة عن معنى الروزانا التي تغني عليها فيروز، وكانت المفاجأة بعد أن وصلني الرد من صديقي.

فقد كانت الأغنية تاريخية وتحكي عن حقبة الاستعمار الفرنسي لسورية ولبنان. وفي إبان ثلاثينيات القرن الماضي حصلت انتفاضة في بيروت على ممارسات الاستعمار وكانت أغنية فيروز محاكاة رائعة لتلك الأحداث. فعندما تقول: **عالروزانا عالروزانا،** و الروزانا هي فرقاطة حربيّة في الأسطول الفرنسي الاستعماري الذي كان مرابطا قبالة ميناء بيروت في البحر المتوسط. وحين تقول: **(كل الهنا فيها)** كان الناس الفقراء في بيروت يذهبون للميناء ويعطيهم الجنود هناك مما يفيض عن حاجتهم من الطعام. وكذلك حين تقول: **(وش عملت الروزانا الله يجازيها).** نعم الله يجازيها على ما فعلت

في بيروت من قصف المدنيين الآمنين العزل بمدافعها وقنابلها و حممها الغاضبة بهمجية، وتقول كذلك :
(يا رايحين ع حلب حبي معاكم راح يا محملين العنب تحت العنب تفاح).

و في رواية أخرى، إبّان أيام الدولة العثمانية، أرسلت باخرة مليئة بالبضائع إلى ميناء بيروت، وعرضتها بأسعار رخيصة و زهيدة، للمضاربة على تجار بيروت و إلحاق الخسائر المادية بهم، عندما تكدّست بضائع التجار ولا تجد من يشتريها، فما كان من تجار حلب إلا أن اشتروا البضائع، فهم بذلك أنقذوا تجار بيروت من الإفلاس المحقق، ورجعت الباخرة روزانا من حيث قدمت.
و قيل: إنَّ روزانا باخرة إيطالية، كان المفروض أن تصل محملة بالقمح في وقت كانت فيه مجاعة ونقص مادة القمح في أسواق بلاد الشام كلها، وعندما خرج الناس لاستقبال سفينة الإنقاذ هذه وجدوها محملة بالتفاح بدل القمح !و لعدم حاجة الناس للتفاح، أصيبوا بخيبة أمل، لذلك غنوا لها (وايش عملت الروزانا ..الله يجازيها).
و في قاموس المنجد (فهي مفردة فارسية تعني النور، و تحورّت عربياً لتصبح النافذة الصغيرة أو الكوة الصغيرة في السقف التي يدخل منها النور)، وقد خُلِّدت هذه الحادثة بالأغنية الشهيرة، و ما زال كثير من الناس يتغنون بها.
على كُلٍّ أي الروايتين كانت هي الأصح، فلا يهم، فالعبرة هي أن الغرباء من المحتلين والمستعمرين لا يريدون الخير لنا ولا لبلادنا.
ومن هنا تأتي أهمية تلازم منظومة بلاد الشام ذات الإقليم الجغرافي والسكاني والاقتصادي المتكامل، فأثناء حصار بيروت كان التجار يأتون بالمواد التموينية والبضائع والحاجات من الشام وحلب، وهو تلازم نضالي رائع لا يمكن فصل عراه المتينة نهائياً رغم الظروف

التي أدت إلى كراهية أذكتها السياسات المرتبطة بالخارج (الطابور الخامس).

والله إنّ القلب ليتفطّر ألماً وحزناً عند اجتياز الحدود من دولة لأخرى من دول بلاد الشام، جوازات سفر ورسوم وطول انتظار وتحقيق إلى أين ستذهب؟، وهذا ما يثبت صحة المقولة؛ (شعب واحد في بلدين)، والرأي لكم دام فضلكم فيما تختارون.

---

*ما روي عن الروزانا (أنها سفينة تركية، أو إيطالية) مأخوذة عن مصادر الأنترنت – بتصرف –

الكلاب..

بين التدجين والحرية

على إحدى القنوات الفضائية، تابعت فيلماً رائعاً، يتحدث عن مزرعة لتربية وتكاثر الكلاب التي سيشتريها الهُواة ممن يحبون اقتناء الكلاب لتشاركهم العيش، ومما هو لافت لإثارة الغيظ والكمد في نفسي، هو العناية الطبية والنفسية والصحية للكلاب، من نظافة للمكان، والماء النقي للشرب والطعام المدروس بعناية فائقة، والاستحمام بالماء الساخن الشامبو، وذلك على أيد ماهرة وذات خبرة تخصصية في هذا المجال، ومما كان يستحوذ على اهتمام القائمين على المركز، هو تأهيل الكلاب للتعايش مع الناس أولاً، ومن ثَمّ مع الكلاب الأخرى والتي تختلف بأنواعها وأحجامها محاولين انتزاع صفة العضّ المميزة لدى الكلاب وتدجينها بما يتوافق مع توقعاتهم ودراساتهم، كما دجّنوا الإنسان بطرق كثيرة، ابتداء من القوانين الكثيرة والمقيدة لحريته في التفكير والتعبير، وعدم تنقله للعمل أو السياحة إلا بتأشيرة مسبقة، ومراقبته ليلاً ونهاراً وعلى مدار الساعة وإحصاء أنفاسه في اليوم والليلة، وأكثر نجاحاً للتدجين الإنساني هو في القارة العجوز والعالم الجديد، ولكن

مما استعصى قليلاً على التدجين والتهجين كالعرب وغيرهم من أمم الأرض ومن الشعوب الفقيرة، أو بما يسمى بالعالم الثالث، فقد أرسلوا لهم الأساطيل الحربية المخيفة والطائرات القاذفة العملاقة والصواريخ العابرة للقارات، بحجة الإرهاب، فأدوات الشرّ هذه جاءت إلى بلادنا وسكنت بحارنا، فحاصرتنا في لقمة عيشنا، وتهديدنا بالويل والثبور إذا لم نتدجّن بالدُّجْنَة (الأمرِي صهيونية)، وكان لفلسطين والعراق الحظ الأوفر من القتل والتدمير والتشريد للشعوب والنهب المنظم للثروات على كل الأصعدة والبَوْنُ شاسع ما بين الكلاب عندنا فكلها متشردة، تستخلص طعامها بأنيابها و مخالبها، وما بين الكلاب المستوردة والتي تنعم بأكثر مما ينعم به الإنسان، حتى أن بعض الأصدقاء كان في زيارة لصديق له، وهذا الصديق يملك كلباً مستورداً وغالي الثمن، يستخدمه للحراسة، وجاء موعد وجبة الغداء لهذا الكلب المدلل، وكانت كمية من اللحم الأحمر الطازج أكثر من ٢ - ٣ كغ، ومن نافل التندر، قال الصديق لصاحب الكلب المدلل: اقسم هذه الكمية بيننا وبين الكلب. وفي صغرنا كنا نلهو ونلعب أحياناً (بالجِراء) واحدها جرو(أبناء الكلاب)، وكثيراً كنا ما نقسو عليها لدرجة التعذيب أرجو أن لا يعرف ذلك رعاة الرفق بالحيوان، حتى لا أُتهم بالسادية مع كلاب بلدي. ولكن تخيلوا لو كان ذلك مع كلب مستورد من بلاد الأجانب، بالتأكيد سأُتّهم بالإرهاب والهمجية ومعاداة الساميّة، ووضعوا اسمي بين أهم عشرة أشخاص مطلوبين للعدالة الدولية العوراء، والتي تكيل بمكيالين.

وكان عندنا في بصرى أحد الرعاة، يملك كلباً أسود، كان هذا الكلب يعرج قليلاً، وكان اسم هذا الكلب (دايان)، وكان من أشرس الكلاب على الإطلاق، وكنا عندما ننفرد به ونحشُرُه في زاوية نوجعه ضرباً بالعصي والحجارة، وما ذنبه إلاّ لأنه يحمل هذا الاسم الكريه على قلوبنا، على قدر ما كنا نفهم بعقولنا الصغيرة نزعة كراهية اليهود فأرجو أن لا أكون معادياً للسامية في نظر كثير ممن استطابوا مصاحبة هؤلاء الأشرار من أحفاد (دايان وشارون و هرتزل)، كبُرْنا وكبُرت معنا أحلامنا، ولكن مازال نباح الكلاب ليلاً يرنُّ في أذني، وكان بالطبع يخيفني وترتعد فرائصي، والكلب هو الفزّاعة التي يستخدمها الآباء والأمهات لتخويف صغارهم عندما لا يستجيبون لأوامرهم ونواهيهم. وأقذع المسبّات والشتائم لمن يستحقها تشبيهاً بالكلب، والكلب العقور، حتى أن الشخص الذي لا يستقيم أمره أبداً رغم النصائح والمواعظ يشبهونه بذيل الكلب الأعوج، ويقولون:" لو وضعت ذيل الكلب بالقالب، مائة سنة سيبقى أعوجاً ". رغم ذلك فالكلاب كما فيها المتشرد، فيها كذلك الأهلي والمستأنس (ابن عالم وناس) والذي يتربى في البيوت لحراستها، فيحافظ على ممتلكاتها ضد اللصوص في الليل والنهار، وهو أعدى أعدائهم، ويحافظ على أغنام وماعز ودجاجات وكتاكيت، صاحب الدار وجواره من بيوت الجيران وممتلكاتهم، ومن باب آخر، فإن الكلب فيه ميزة الوفاء لمن يطعمه لقمة الخبز فلا يخُنها مثل كثير من البشر منهم من يسرق جاره، ويستطلع جارته ليرى بعض مفاتنها في غفلة منها متلصصاً من فوق الأسطح ليلاً أو من خلال

النوافذ والشبابيك. وهنا لابد أن نستذكر الشاعر العربي (علي ابن الجهم) حينما وفد على المأمون وأراد أن يمدحه بقوله: **"أنت كالكلب في حفظك الوُدِّ = وكالتيْس في قراع الخطوب"**.

دامت كلاب قريتنا، ودام وُدُّها لنا، حتى المتشردة منها فإنها تعمل على تنظيف البيئة من الحيوانات الهالكة على المزابل، ولم يقع في قلبي حبٌ، لكلب جميل مستورد وإن كان ثمنه ألفاً من العملة الصعبة.

المسمار ..

في المدن الحديثة يتوقف المرء للحظة بدهشة بالغة أمام تلك العمارات الشاهقة التي تتعالى في السماء بطوابقها العديدة، وهناك أعلى الأبراج في العالم، يحتار العقل بروعة تصميمها وأشكالها الجميلة، وألوانها الجذابة، وفي لحظة توقف نادرة، لمعت في ذهني فكرة، تساءلت عن السر في تلك الحضارة الإسمنتية التي غزت الكون أجمع، وتبادر لذهني المسمار، نعم بلا خوف و لا وجل، إنه المسمار تلك القطعة الحديدية المبرومة ذات الرأس المدبب وهي مختلفة المقاسات والأطوال والأنواع فمنها العادي ومنها الفولاذي والألمنيوم والخشبي وقد تطورت البراغي عن المسامير وكانت ذات شأن في الحياة العامة في كل المجالات التقنية، وحكاية المسمار تبدأ بجمع شيئين إلى بعضهما وتثبيتهما. وأقدم ما أعرف عن المسمار هو في سفينة نبي الله نوح عليه السلام ، فهو واسطة تماسك وترابط الألواح الخشبية، فلولا المسمار لما قامت تلك الحضارات منذ القديم وإلى الآن. وهنا هو السر العجيب في تماسك الألواح الخشبية في صنع القوالب لتلك العمارات وأبوابها ونوافذها ودخل المسمار التاريخ من أعرض أبوابه كونه أحد العناصر الفعالة في أسباب ازدهار الحاجيات الأساسية التي تعتبر من مقومات الحياة الأساسية

للمجتمعات البشرية قاطبة، و ليس ببعيد عنا منبر صلاح الدين في القدس الذي حرقه اليهود١٩٦٧ والذي أخذت فيه المسامير الخشبية دورها، و مسمار جحا ذائع الصيت، عندما باع داره لشخص ما ولكنه شرط عليه أن يسمح له بزيارة الدار كل أسبوع لمشاهدة المسمار الذي دقه جده في الجدار، وافق الرجل، وبدأ جحا كل أسبوع المجيء مرة يأتي بمطرقة، ويضرب بها على المسمار، مرة في الليل ومرة أخرى في الصباح الباكر، حتى عاف الرجل البيت ووهبه لجحا، واستخدمت هذه القصة للكناية كما يقال (مثل مسمار جحا) يعني استخدام الشيء التافه لتنفيذ مآرب أكبر منه بكثير. والمسمار أساس مادته اللغوية (سَمَرَ) من السّمَر والسّهَر والأُنس، واستخدمت منه أجمل الأسماء للبنات والأولاد (سمر، سميرة، سامر، سمير)، واشتهر اسم سميرة توفيق وسميرة سعيد وهن أشهر سميرتين عرفتهما في حياتي والراقصة سمارا والمطرب سمارة السمارة، وهناك لون السمرة للبشرة وهو محبب للشباب ودرجت عليه الأغاني (أسمر و سمار و عجب)، (الشب الأسمر جنني – هذا على ذمّة سميرة توفيق) ومن هو أسمر يقولون عنه (أسمر معجون بدمه) أي وسيم وصبوح الوجه.

والسَمَرُ: المُسامَرَةُ، وهو الحديث بالليل. وقد سَمَرَ يَسْمُرُ، فهو سامِرٌ. والسامِرُ أيضاً: السُمَّارُ، وهم القوم يَسْمَرونَ كما يقال للحُجَّاجِ حاجٌّ. وابْنا سَمير: اللَيلُ والنَهارُ، لأنه يُسْمَرُ فيهما. يقال: لا أفعله ما سَمَرَ ابْنا سَمير، أي أبداً. ويقال: السَميرُ الدهرُ. وابْناهُ: الليلُ والنهارُ. ولا أفعله السَمَر والقَمَرَ، أي ما دامَ الناس يَسْمَرونَ في ليلةٍ قمراء.

ولا أفعلهُ سَميرَ الليالي. والسَمار بالفتح: اللبن الرقيق. و تَسْميرُ اللبن: ترقيقه بالماء. والتَسْميرُ كالتَشْميرِ. والسُمْرَةُ لونُ الأَسْمَرِ. تقول: سَمُرَ، بالضم وسَمِرَ أيضاً بالكسر. و اسْمَارَّ يَسْمارُّ اسْميراراً مثله. والسَمْراءُ الحنطةُ. والأَسْمَرانِ: الماءُ والبُرُّ. ويقال الماءُ والرمحُ. والسَمُرَةُ بضم الميم، من شجر الطَلْحِ، والجمع سَمُرٌ و سَمُراتٌ بالضم، وأَسْمُرٌ في أدنى العدد. وتصغيره أُسَيْمِرٌ. والمِسْمارُ: واحد مَسامير الحديدِ. تقول منه: سَمَّرْتُ الشيء تَسْميراً، وسَمَرْتُهُ أيضاً. و السُمَيْرِيَّةُ: ضربٌ من السُفُن. وهذا السامري الرجل الذي أضل قوم سيدنا موسى عليه السلام و بعد ذهاب سيدنا موسى إلى جبل الطور وترك أخاه هارون عند قومه، وحدث عتاب بينهما، قال تعالى (فإنّا قد فَتَنّا قومَك من بَعدِكَ) أي بعد فراقك لهم (وأضَلّهم السامريّ) فعبدوا العجل قال الله لموسى: فإنا قد ابتلينا قومك بعد فراقك إياهم بعبادة العجل، وإن السامري قد أضلهم، وهناك منطقة في فلسطين باسم (السامرة)، (وفي العراق سامراء) التي تحتوي على مراقد الأئمة من آل البيت المقدسة، وقد قالوا في المثل (يا مسمار شو اللي يخليك تدخل بالجدار، فيقول: من الضرب اللي ع راسي) وهناك استخدام في هذا المعنى لكل من يكيد لآخر فيقول عنه (دق لي مسامير)، ومن يظهر اللامبالاة في حياته فيقولون عنه (ما في بالدفة ولا مسمار) وألعن أنواع المسامير المترامية على الشوارع العامة فتخترق الإطارات وتتسبب بحوادث مروعة، والمسامير الممقوتة هي مسامير الأحذية، عندما تنغص عليه مشوار محبب إلى نفسك، ومثلها أيضاً المسامير اللحمية في الأقدام التي

تتكون من الأحذية الضيقة ، وكذلك فإن البرغل لم يفقد قيمته في حياتنا وكثير من الأولاد لا يحبون المجدّرة (أكلة شعبية مكونة من البرغل المطبوخ مع العدس الأحمر وعلى الوجه يقلى البصل حتى يحمر بزيت الزيتون البلدي) فنذكرهم بأن (البرغل مسامير الرُّكَبْ)، لما فيه من عظيم الفائدة الغذائية.

سيبقى الكلام عن المسمار هذا الشيء الذي يغفل عنه الكثير، ولا يأبه به أحد إلا عند الحاجة إليه وتحضر المطرقة (الشاكوش) الأداة القوية التي تعتبر سيدة المسمار.

المطبات..

كما يقولون: فإن الحاجة أم الاختراع، فالمطبات بشكل عام ابتكار جديد لم يكن معروفاً عند الآباء والأجداد، لأنَّهم كانوا يستخدمون الخيل والإبل والبغال والحمير، كأدوات سخرها الله للبشرية كوسائل للنقل والركوب، وبعد النصف الثاني من القرن العشرين ، حدثت ثورة في عالم صناعة السيارات، وازدادت فيها وسائل الرفاهية، والتقنيات التي تحاكي التطورات العالمية للتواصل السريع، واستتبع ذلك أن تعمل شركات صناعة السيارات على زيادة حجم السرعات، حتى وصل في بعضها للجنون.

كل ذلك جعل الدول تفكر في ضبط حركة السيارات على الطرق العامة الخارجية والداخلية منها في المدن، وعلى الخارجية منها أوجدوا الشواخص واللوحات الإرشادية بالألوان العاكسة ليلاً، أما في داخل المدن، فقد وجدت إشارات المرور التي نصبت على مفترقات، لتقييد حركة السيارات بنظام يمنع ويحد من الحوادث المرورية المفجعة، والحفاظ على الأرواح البشرية، مما حدا ببعض علماء الدين، لإصدار فتاوى بتحريم قطع إشارات المرور واعتبروها كالانتحار، وقبل تكاثر إشارات المرور، كان الفضل في

تسيير حركة السيارات لشرطي المرور، الذي يقف في منتصف ميدان التقاطع يحرك يديه إشارة منه لانطلاق السيارات في الاتجاه الذي يحدده بعد إطلاق صافرته التي تتناغم مع حركة يديه ويشير لتلك الأخرى بالتوقف.

وهكذا فإن بعض سائقي السيارات من يكون على عجلة من أمره، فينطلق ليسابق الريح بشكل جنوني، وعلى الأخص منهم فئة الشباب المتهور، يعمل حركات بهلوانية من التشفيط و التفحيط الذي يصدر أصواتاً مزعجة واستخدام الكابحات بشكل مفاجئ، مما جعل إدارات المرور والبلديّات من العمل على صنع تلك المطبّات قُبَيْل تقاطعات الطرق، وعند المناطق المزدحمة والمدارس والأسواق وعند حواجز التفتيش، وأخيراً ابتكرت الأنواع الحديثة من المطبّات، وهي معدنية على شكل مربع تُلصَقُ على الإسفلت وعاكسة للنور ليلاً ، وفي هذا المقام أتذكر المثل الشعبي القائل (**موت الحمير فرج للكلاب**). أي أن كثرة المطبات تعمل بشكل كبير في اختلال توازن السيارات، وكسر الأجزاء السفليّة منها، وحوادث الارتطام والانقلاب التي تستدعي إصلاحها عند ذوي الاختصاص من الميكانيكيّة والسَمْكريّة والدّهانين ومحلات إصلاح الدواليب (البنشرجيّة - الكومجيّة).

وأصبحت ثقافة المطبات رائجة على ألسنة الناس، حيث صرنا نسمع عن المطبات الهوائية أثناء تحليق الطائرات، فالطائرة تكون سالكة تسير بأمان الله فتهبط لمئات الأمتار، فجأة فيسقط قلبك معها، وهذا يتبعه تحذير من قيادة الطائرة.

وانسحب ذلك على الحياة الاجتماعية كثيرة المطبات، فمن الأخ الذي يكيد لأخيه والجار لجاره والموظف لزميله، يشي به لمرؤوسيه حتى يحظى بالتقرب منهم والترقي بوظيفته على حساب زملائه، ومن ينقل الشائعات والأحاديث الملفقة دون التثبت، مما ينتج عنه المآسيً والمعاناة والآلام للآخرين، ومن يمد يده ويبسطها لعدو وطنه وأمته طمعاً بمال، ومن يسعى للشهرة والصدارة في مجتمعه يحرق الأخضرين حتى يبرز على حساب أبناء مجتمعه.

كل ذلك من الضعف في النفس البشرية وأمراضها التي تستدعي العلاج لإيقاف الانحدار السحيق، حفاظاً على الفرد والمجتمع، وهذا ما يمكننا أن نطلق عليه تسمية المطبات، و المطبات جمع، مفردها مطب، وأصل الكلمة (طَبّ) التي استخدمت في مجال المداواة والذي يقوم بمزاولته الأطباء، وكذلك أطلقت بمعنى (يطبّه) على الشيوخ والمشعوذين الذين يتعاملون في المداواة على قراءة الرقى وتعليق التمائم و كتابة الحجب، وهم كما يعتقد أنهم ذوي خلفيات من سلالات الأولياء والصالحين ممن يُقال لهم (أبناء جدٍّ)، وتستخدم في هذا المقام بمعنى الضرب (طبّه و طبّوا) بالعصا، وقد قيل في المثل **(كل ما لقيت أعمى طبوا مالك أرحم من ربُّو)**، أي لست أرحم به من ربّه، وتستخدم أيضاً لمن عمل شيئاً مُستحسناً فيُطبطِبُون له على ظهره، أي يربّتون على ظهره وهي علامة رضا وسرور، ومن أراد أن يحلف يميناً، فيقولون: **(طُبْ على القرآن)**، وقديماً كانوا يصنعون خوابي الماء من الطين الغضاري الممزوج مع خيوط

القنّب وهذه العملية يسمونها (طَبْ الخوابي)، و طبطة الأم لطفلها حتى ينام، وهناك من الأعاجم من يحمل كنية طباطبائي.

ذكر أبي وجدّي، أنّه مرّ خُوريّ (رجل دين مسيحي) على جيران كانوا لنا، في شهر كانون الثاني وكانت الثلوج والأمطار على أشدها فجلس عندهم عدة أيام حتى انحسرت موجة الثلج والمطر، فقالت له أم إلياس: **(يا أبونا طابت و تطبطبت، وما بقي على عينها قشة)** أي إيذاناً له بالانصراف، وأخيراً ليس من قول إلاّ: **(طُبْ الجرّة على ثُمّها بتجي البنت لأمها)**، أي بمعنى أنها ستكون مثل أمها بكل أطباعها، طبطبة و مطبات أثرت في حياتنا على سبيل الذكر لا سبيل الحصر.

النمس..

ونمس باب الحارة

ظهرت شخصية جديدة هذا العام في مسلسل باب الحارة)، ألا وهي شخصية النمس، والتي قام بأداء الدور فيها الممثل القدير (مصطفى الخاني) الذي يمثل الطبقة المعدومة في المجتمع البسيط بباب الحارة (حارة الضبع) والحارات، وكان ذلك مدعاة لأن يتذلل للكل، وأن يستغل الفرص من الكل، فالغاية تبرر الوسيلة لدى النمس، فهو بحاجة للمال لكي يعيش، مثل الآخرين، فهو بذلك يحتال بكل السب والوسائل التي تحقق له ذلك، متنازلاً عن الكثير من مقومات حياته، فتعرضت حياته للخطر مقابل المال، وضربه العقيد مقابل المال، ووضع نفسه تحت تصرف مأمون بيك، وينفذ مآربه في الحارة.

لكن كل ذلك ما جعل شخصية" النمس "محببة للناس صغاراً وكباراً من خلال حركاته المتميزة ومقولته الشهيرة (حيَّ الله، إي والله، هالرقبة سدّادَة، لعيونك)، فالاسم على مسمى.

وفي المثل الشعبي يقولون عن شخص ما " مثل النمس " أي كثير الحركة والظهور والاختفاء والكرِّ والفَرِّ، فالنمس هو ذلك الحيوان اللاحم والمفترس الذي يحب اللحوم" لاحم"، وذو حجم صغير أكثر

رشاقة من الثعلب، يعشق الحقول والأماكن القريبة من الدواجن، وهو الفاتك بالثعابين وليس هناك - فيما أعتقد - حيوان غير النمس مولعٌ بقتل الحيَّاتِ والثعابين يداورها ويحاورها ويحاصرها ، حتى يداهمها، في أكثر نقاطها قوة، مؤخرة الرأس، أو الرقبة وهو قادر على التربص والانتظار والتدقيق عند المهاجمة، ولم يسلم من النمس الدجاج والأرانب والبط والإوزّ والحمام وباقي الطيور والحيوانات المسالمة والضعيفة.

والنمس لا يحظى بالاهتمام المدرسيّ، كالثعلب والذئب والقط والكلب، مع أنه أكثر وروداً على لسان العامّة بما يُمثّله من استخفاء، وخفة ونعومة و لصوصيّة وتهذيب، كما أنّه لم يذكر بأي شكل في الموروث القصصيّ، والتي تحدثت وتحملت أثقل منه، وأقل ذكاء كالفيل والأسد، و أخف منه وأردأ أخلاقًا كالنّمل والفأر والنّحل والبعوض، وربما يرجع ذلك إلى كون النّمس مُحَققاً بشكل واضح في أخلاق عُتاة الموظفين، وخصوصًا المحجوزين بين الدرجة الثانية ودرجة وكيل الوزارة.

وفي سلوك الضباط الذين يختارون من العساكر المثابرين و العاملين في مجال الكتابة، الطامحين لموقع رئيس تحرير لصحيفة. وملاحظي مواقع العمل الذين ينوبون عن المهندسين المؤهلين. و القادرين على تمثيل الأدباء، في محافل الأدب، دون أن يكون لهم أي رصيد يسمح بذلك وبؤساء التعبير الأدبي الذين لايزالون يكتبون عن شهامة امرأة ضبطت وهي تسرق علاجا لزوجها العاجز.

والنمس حيوان وحيد متوحد مع نفسه، لا ينشق عليها. والحيوانات الأخرى لا تجيد استعارة اسمه في أنواعها مثل (الكلب = كلب السمك) و (الثور، كثور المسك والثور الآدمي) و (البقر، كبقر الماء، وبقر الصحراء) و (الحمار، كحمار الوحش، والحمار الأهلي) . ولكن البشر ومنهم الموظفين الذين يتمثلون و في حالة استثنائية " النمس "، فإن النمس هو الموظف القادر على التواصل مع رؤسائه، هؤلاء الموظفين، يأخذون من النمس صفاته ويمنحونه أخلاقهم المعاصرة. ونحن معشر البشر أشد ما عانينا من لعانة النمس الذي يعيث فساداً بممتلكاتنا ويهرب، فلا هو يأكلها ويشبع ونرتاح، ولكن يأتي إلى الخم فيخنق كل الدجاج والإوز والبط، وإلى القفص إذا وجد فُرجةً ويخنق الأرانب ويتركها جثثاً مجندلة ويهرب. هذه أخلاق النمس كما هي أخلاق بعض البشر الذين يؤذون إخوانهم بجميع السبل المتاحة أمامهم - للإيذاء فقط من أجل الإيذاء.

ولكن ما يهون المصيبة أن النمس هذه طبيعته الحيوانية، وما هو أشد و أنكى من البشر من يتخلق بتلك الخصال الوضيعة والدنيئة والقميئة.

- للأمانة العلمية تم أخذ بعض فقرات هذا المقال من كتاب (نبش الغراب للكاتب محمد مستجاب).

شمس العرب والإستعمار ..

يُروى فيما يُروى: أن جنود الحملات الصليبية الذين جاؤوا لتحرير بيت المقدس من الاستعمار الإسلامي، تذوقوا البهارات والأطعمة التي سببت لهم التفكير الجدي في سبيل تأمين طريق التوابل مبتعدين عن سطوة المماليك في مصر الذي فرضوا الغرامات الباهضة على البضائع. ومجيء محمد علي باشا الذي حكم مصر في بداية ما يسمى عصر النهضة، كان طموحه كبيراً بإنشاء امبراطورية له ومن ذريته من بعده، لتحقيق طموحاته تلك، قام بإرسال البعثات إلى أوربا، وجلب المستشارين العسكريين والاقتصاديين والإداريين، وفي جميع المجالات، للعمل على بناء بنية تحتية متينة، وكان أن أسس جيشاً قوياً له طموحات كبيرة للسيطرة على الأقاليم المجاورة، وهددت جيوشه الأستانة، لولا تدخل الدول الغربية، للحفاظ على مصالحها من خلال الوقوف في وجهه مع الدولة العثمانية، كل ذلك حدا بالدول الأوربية للبحث عن تأمين طرق التجارة البرية والبحرية، وكان ذلك باكتشاف رأس الرجاء الصالح، والوصول إلى الهند مما كان له الأثر الكبير في اكتشاف المواد الأولية في الكثير من بلاد الشرق ، مما حدا بهذه الدول الأوربية بغزو تلك البلاد ، لسلب خيراتها، من مواد أولية

تسهم في تشغيل المصانع في تلك الدول. ومع بدايات القرن العشرين واكتشاف النفط في البلاد العربية في مقدمتها العراق والخليج، الأمر الذي هيّج لعاب الأوربيين للسيطرة العسكرية المباشرة على المناطق التي تحتوي على الذهب الأسود، والعمل على تقسيمها حسب اتفاقات فيما بين تلك الدول اللعينة ومن أشأم تلك الاتفاقيات هي اتفاقية (سايكس بيكو) التي ما زالت نافذة وتعمقت و تكرست من خلال واقع قد رسمته مصالح تلك الدول، من خلال خطوط رسموها في غرفهم المغلقة على الخرائط ، وحددوا من خلالها نفوذ كل دولة على حدة.

وجاءت موجة استقلال تلك البلاد بتغير الثقل العالمي من أوربا إلى أمريكا، وظهور مبادئ (ولسون)، وضغط أمريكا على الدول الأوربية، لسحب جيوشها من مناطق الشرق و الشرق الأوسط وذلك ليس حباً في تحرير الشعوب، بل هو لاستبدال النفوذ الأوربي بالنفوذ الأميركي، ووقفت أمريكا بكل ثقلها بإنشاء أنظمة تحت حمايتها ونفوذها، تأتمر بأمرها وتنفذ أجندتها، وبعد الحرب العالمية الكبرى كان الصراع على أشده فيما بين أمريكا والاتحاد السوفييتي، في مناطق النفوذ وهي مرحلة ما يسمى الحرب الباردة، وانتهت في أوائل التسعينيات من القرن الماضي، أصبح العالم يعاني من بطش القطب الواحد الذي لا يردع جنونه أي شيء إلى أن جاءت المرحلة البوشيّة التي سيّرت جيوشها لاحتلال الصومال و العراق وأفغانستان، والعمل على تقسيم اندونيسيا

وآخرها فصل جنوب السودان عن محيطه، وذلك على خلفية الاكتشافات النفطية في هذا الإقليم.

وبما أن شمس العرب سطعت قديماً على الغرب، فأنارت العقول وصدّرتْ الحضارة، حينما كان الظلام يلف أرجاء أوربا في الحروب الأهلية والنزاعات، ولكن شمس العرب التي تسطع لأكثر من (٣٠٠) يوم في السنة، فقد لفتت انتباه الأوربيين، ومنذ سنوات صرنا نسمع عن الربط الكهربائي بين الشمال والجنوب من خلال شبكات عملاقة، وصدور الكثير من الأبحاث والمؤتمرات حول الطاقة النظيفة المستخرجة من الشمس، وذلك من خلال محطات عملاقة، أدواتها ومحطاتها تسيطر على سوقها الشركات الغربية، والتي تحتكر كل ذلك، وبعد مرحلة من تمويل بعض الأبحاث في الدول العربية، إنشاء محطات تجريبية، لتوليد الطاقة، سيكون ذلك على مسار الخمسين سنة القادمة عندما ينضب البترول، وبذلك ستتوقف المصانع الأوربية، وتعود الحياة لما قبل القرن التاسع عشر، وتضيع كل الرفاهيات التي يعيش بها الأوربيين، لذلك سيعودون لاحتلالنا من جديد، وتكون كل المحطات قد اشتغلت وأنتجت والشبكات التي مدت سابقاً جاهزة لنقل طاقتنا إلى بلادهم، فهل سيكون هذا مدعاة للتفكير المستقبلي لبلادنا ومصالحنا، بما يخدم أهدافنا القومية في بناء مجتمع عربي موحد من المحيط إلى الخليج.

عيادة نفسية ..

في خبر طريف على إحدى الفضائيات، وهو افتتاح عيادة طبية متخصصة في الطب النفسي في إحدى المقاطعات الصينية لمعالجة الحيوانات المدللة مثل الكلاب والقطط، ويعمل في العيادة أطباء متخصصون في علم نفس الحيوانات، وتشخيص سلوك تلك الحيوانات المدللة من آثار الاكتئاب والعدوانية وتخريب بعض ممتلكات البيوت، والفضلات التي تلوث البيوت ومما هو مثير في هذا الخبر سلوك الغيرة لدى تلك الحيوانات عند دخول حيوان آخر للبيت، كما يحدث للأطفال .. بداية أصبت بالدهشة الكبيرة لمثل هذه الرعاية لهذه المخلوقات التي تشارك أصحابها في العيش داخل البيوت المرفهة، وثانياً داخلني شك أن الخبر غير أصلي يعني تقليدي كون الخبر هو من بلاد الصين، لأننا منذ صغرنا ترسخ في نفوسنا أن المنتجات الصينية هي خفيفة وكلها مقلدة عن صناعات عريقة الماركات، ولكنه بالفعل تبين أنه خبر أصلي .عندها أصبت بتبكيت الضمير، فعلى ما أذكر أن أحد الرعاة في بصرى كان يملك كلباً أسوداً، اسم هذا الكلب (دايان)، وكنا ناقمين حاقدين على هذا الكلب كونه يحمل اسم ذلك الإرهابي الصهيوني (موشي دايان)، فكنا نتحيّن الفرصة لإيذاء ذلك الكلب بالضرب بالعصي أو الحجارة، ولم تكن تأخذنا الرأفة به رغم عرجه، أرجو أن لا أُتهم بعد هذا الكلام بمعاداة السامية، وتلك تهمه تقود أي إنسان إلى

غوانتامو، لكن الممثلة الفرنسية(كاترين دينوف) أشفقت على تلك الحيوانات وانتقدت همجية المسلمين في ذبح الخراف والأضاحي في عيد الأضحى المبارك، بينما أصابها الحول والتي لم تر في البشر من يستحق منها الكلمة والانتقاد للأفعال المشينة في جبين الحضارة، التي مارستها الهمجية الأمريكية في العراق وأفغانستان والصومال، وعلى مدار أكثر من سبعين عاماً والقضية الفلسطينية لم تلق من الاهتمام الأوروبي أو الإنصاف والعدل الدولي تجاه المهجرين على أيدي قوات الاحتلال وسوء أحوالهم المعيشية في المخيمات والتي تفتقر لأبسط مقومات العيش فضلاً عن أنها لا تصلح مكان إقامة لمثل تلك الحيوانات المدللة، فلو وجدت في أماكن عيش كالمخيمات، لوجدت من البشر من يدافع حقوقها .. دارت الأيام بعكس عقارب الساعة، وضاعت حقوق البشر حتى لم يعد هناك من يعترف بحقوقهم، وكل إنسان عربي أو مسلم يطالب بحقوقه ويريد طرد المستعمر من أرضه، فوراً يلفقون له التهمة الجاهزة وهي الإرهاب، وكثير من أجهزة الإعلام العربية تردد ما ترددده وكالات الأنباء المعادية لقضايانا العادلة.

وقد صدق فيهم من قال:

"قتل امرئٍ في غابة قضية لا تغتفر، وقتل شعب آمن قضية فيها نظر".

العرب و غرام الهند ..

شاب صغير، أتى به والده ليقص له شعره، وسألته عن اسمه، فأجابني مهند، وما مهندٌ يا صديقي. فقال: السيف. قلت: يعني السيف الهندي، قال: لا.

السيف في الواقع أن العرب، حينما كانت تفتخر، تفتخر بالشجاعة وأداوتها، كالسيف، والرمح والفرس. فقد نحتوا واخترعوا الأوصاف الجميلة والرائعة للخيول كالمُحجّلة، والكحيلة، و المُعنّقة، وغير ذلك من التي تحتويها بطون الكتب.

أما الرماح الطويلة و المبريّة فكان أجودها الرمح الرُديْني، وهي منسوبة لامرأة اسمها (رُديْنَة) كانت تُباع عندها هذه الرماح، أو أنها كانت تصنعها وتبيعها، ذكره الثعالبي في فقه اللغة: "السيف هو السلاح الذي يتقلدونه في كلّ شؤون حياتهم، لا يضعونه إلاّ حين يخلدون إلى النوم، وكانوا يضعونه عند أو تحت رأسهم، خوفاً من المباغتة على حين غِرّةٍ". وابتكروا له من الأوصاف المهمّه لكي تظهر قيمته بالنسبة لهم، وقد صنفوه حسب جودته ومكان استيراده،

فهذا السيف اليماني (نسبة لليمن)، والسيف النجراني(نسبة لنجران)، والسيف الروميّ والشاميّ وأسياف بُصرى (بُصرى الشّام)، و السيف المهنّد نسبة إلى الهند، وهذا الذي يهمُّنا في هذا الموضع (المهند)، وهو السيف الذي كان يستورد من بلاد الهند، والهند بلاد حضارة عريقة فأُعجِب بها العرب أيّما إعجاب حتى أُغْرموا بها أيّما غرام فسمّوا بناتهم (هند) ومن أشهرهن، هند بنت عُتبة أم معاوية ابن أبي سُفيان، وهند بنت عمرو بن كلثوم شاعر الجاهلية المكنى أبا هند :

أبا هندٍ فلا تعجل علينا = و أنظرنا نخبـرك اليقيــنا

بأنا نوردُ الرايات بيضاً= ونُصدِرهُنّ حُمْراً قد رُوينا

وأيضاً هناك امرأة أخرى تسمى (هند الهنود). وهكذا فإن العرب من قديم زمانهم، ومن شدة إعجابهم وغرامهم بالهند وحضارتها، أسموْا بناتهم بهذا الاسم المؤنث. ولكننا العرب الآن رغم هيامنا وغرامنا بأمريكا، ونركض لاهثين وراء الجينز و (الكاوبوي)، لكن لم يتنامَ إلى مسامعي من أسمى ابنته (أمريكا) رغم إعجاب الناس بالحضارة الأمريكية، حضارة البلطجة، وكسر الرؤوس وإذلال الشعوب، ونهب مقدراتها واستعمار البلدان

فأمريكا هي التي صنعت الطائرات الحربية العملاقة، والأساطيل التي تسكن في كلّ بحار الدنيا، وأدوات الشرّ التي تُدمّر كل شيء، إضافة لصناعاتها الغذائيّة المسيطرة بنمطيّتها الأمريكيّة على

الأسواق في محتلف دول العالم (للبيبسي والكولا و الهامبرجر)، فبالمقارنة البسيطة: فأين السيف المهند من صواريخ كروز توما هوك؟، وطائرات (إف ١٦) فليس هناك بالتأكيد وجه للمقارنة. فالسيف ورغم ما تغنى به العرب فإنه لا يزال حديدة مصنعة بطرق بدائية، هكذا أُغرم العرب بالهند، ولم يُغرموا بأمريكا إلاّ كغرام الأفاعي.

ولكن يبدو أننا كعرب عندنا هوس بتغيير غرامنا كلما بدا لنا شيء جديد، هذا ما حدث بالفعل بظهور المسلسل التركي المُدَبْلَجْ (نور) وبطله (مهند) الذي أفسد على كثير من الماجدات العربيات هدوء النفس، ما كان له من خراب كثير من البيوت، بسبب تخيل النساء والفتيان أن فتى أحلامها أو زوجها يكون كشكل مهند التركي.

يد الله فوق أيديهم..

تعتبر اليد هي أحد أعضاء جسم الإنسان الهامة، لكونها هي العضو المنفذ لكل ما يدور في العقل و الوجدان، ومن اليد انطلقت كل مكونات الحضارة الإنسانية، والخير والجمال والشر والقبح، وهي التي تدمر تلك الحضارة، وعبثت بكل شيء على وجه الكون. ومن هنا حظيت اليد بالكثير من المعطيات المادية والمعنوية. ومن خلال استقراء آيات القرآن الكريم يبدو أن اليد قد حظيت بالعديد من الآيات التي تبين جزاء الكسب من خلال اليد كونها العضو الذي من خلاله تتشكل كل ألوان الحياة بخيرها وشرّها. وهي التي توضع باليد الأخرى للسلام، ولعقد البيعة، ولعقد القِران بين الخاطب وولي الأمر وهو الذي عُبِّرَ عنه الذي بيده عقدة النكاح. فاليد هي الممدودة للخير، وهي التي تعطي ما تجود به النفس وتمتد لمساعدة الآخرين، وهنا مقابلة بين الأيدي نستعرضها من خلال الآيتين الكريمتين (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يشاء) المائدة٦٤، (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) - الفتح١٠ - فأكثر الأمم تكذيباً

لرسلهم هم اليهود، ولذلك فإن معظم الأنبياء جاؤوا لليهود و كذبوهم، حتى أنهم تألهوا على الله عز و جل وقالوا يد الله مغلولة، فيجيء الرد عليهم بل يداه مبسوطتان(الله)، ويد اليهود هي المغلولة. بينما يد المسلمين التي بايعت الرسول صلى الله عليه وسلم في بيعة الرضوان بالحديبية (إنما يبايعون الله) هو نحو من يطع الرسول فقد أطاع الله (يد الله فوق أيديهم) التي بايعوا بها النبي أي هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيه.

ومن هنا فالموظف النزيه النظيف يقولون (يده بيضاء)، ومن غير ذلك تكون يده ملوثة بالرشوة وسرقة أموال الأمة، وهي أداة البطش التي يبطش بها من تجبر وطغى وتكبر بعباد الله، وهي التي توضع بها الأصفاد والأغلال، ويساق صاحبها إلى الغياهب، وهي التي تقفل أبواب الزنازين والسجون على المجرمين والمتهمين. وهي التي ترتفع لبارئها بالدعاء والابتهال، وهي التي تهز سرير الطفل و تهدهده، وهي التي تحمل السيف للقتال وترفع راية السلام والاستسلام ،وباليد يطرق القضاة الإنكليز بمطرقتهم الشهيرة لافتتاح جلسات القضاء، و بها يضغط على الزناد أما دفاعاً عن الوطن، وإما العكس، وهي التي تسحب الحبل على أعناق المجرمين، وهي التي صنعت الكمبيوتر وصاروخ الفضاء والطائرة وكل شيء من رفاه الحضارة ومن تعاستها أيضاً.

وفي إحدى روايات الأديبة مي زيادة تلتقي بطفل جميل بريء في حديقة الأزبكية بالقاهرة وتحتضنه وتقبل يديه الناعمتين، ولكنها

تذكرت أن هذا الطفل ابن أحد الضباط الإنكليز فتقززت نفسها من هذا الطفل وتخيلت أن هذه اليد غداً ستكبر وتبطش بالشعب المصري.

وهذا العضو إذا ما ارتكب صاحبة جرم السرقة ،فإن حكم الشريعة هو القطع، وأذكر هنا حادثة المرأة المخزومية التي سرقت في عهد رسول الله صلى الله عليه، فأرادوا أن يشفعوا لها عند رسول الله، وأرسلوا أسامة ابن زيد وهو حِبُّ رسول الله، فقال: (والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) وهناك من أراد الانتقاص من الإسلام وحدوده واتخذوا هذا الحد للطعن في الإسلام.

وعلى سبيل النصح من أمر ما، يقول لك: لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة **(وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**) - البقرة ١٩٥- بينما وردت الآية في مجال الإنفاق في أوجه البرّ عامّة، ومن لم يُعطِ مما أعطاه الله من نعمه من أداء للزكاة والصدقات، فهو يلقي بيده إلى التهلكة أي النار بالطبع ممكن أن تحتمل بعض المعاني التي يذهب إليها الكثير من المستشهدين بها من خلال طرح نصائحهم للغير. ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك.

(وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) الذاريات٤٧، والسماء بنيناها بأيد) بقوة (وإنا لموسعون) قادرون يقال آد الرجل يئيد قوي وأوسع الرجل صار ذا سعة وقوة وقد حظيت البد في كتب اللغة بمادتها الغنية بالدلالات منها على سبيل المثال لا الحصر ويَدٌ بُسْطٌ أيضاً،

أي مُطْلقةٌ. وفَكَكْتُ يدَ الرجل وغيرَها أفُكُّها فَكّاً، إذا فتحتها عمّا فيها. وتقول: هَلُم فَكَاكَ رقبتِك، ومن العرب من قال للِيَدِ يَدّ، فشدَّد الدال لأَن أَصله يَدْيٌ وكلُّ مدينةٍ جامعةٍ فهيَ فُسْطَاطٌ ومنهُ قيلَ لِمدينةً مصرَ (الفسطاط) التي بناهَا عَمْرُو بنُ العاص. ومنه الحَدِيث: (عليكم بالجماعةِ فإنَّ يدَ اللّه على الفِسْطاط) بكسرِ الفَاءِ وضَمِّها. الشعْوذَةُ: خِفةٌ في اليد وأخَذٌ. والسرْعَةُ ورَجُلٌ صَنَعُ اليَدَيْن وصِنْعُ اليَدَيْن: رفيْق، من قوم صُنُع الأيدي. وامْرأةٌ صَنَاعٌ اليَد في الأمر أيضاً و الأعْضَبُ: الذي لا إخْوَةَ له ولا أحَدَ. والقَصيرُ اليَدِ، و الدعْسُ في سَلْخ الشّاةِ: أنْ تُدْخِل اليَدَ بَيْنَ البَدَن و الإهاب، و أسْرُوْعُ الظبْي: عَصَبَة تَسْتبْطِن اليَدَ والرجل و العَسَمُ: يُبْسٌ في المِرْفَقِ تُعَوَّجُ منه اليَدُ و العَرْفَةُ: قَرْحَةٌ تَخْرُج على اليَد والنِّعْمَةُ: اليَدُ البَيْضاء. عاثَ عَيْثاً: منها إدْخالُ اليَدِ في الكِنانَةِ لِطَلَبِ السَّهْم وإنَّه لَفي حُوْرٍ وبُوْرٍ: أي في ضَيْعَةٍ. و الإحَارَةُ: رَجْعُ اليَدِ في السَّيْرِ، وإنْ كَانَ البَيَاضٌ بِيَدَيْهِ دُونَ رِجْلَيْهِ فَهُوَ أَعْصَمُ وإنْ كَانَ البَيَاض بإحْدَى يَدَيْهِ دُونَ ُالأَخْرَى قِيلَ أعْصَمُ اليُمْنَى أو اليُسْرَى، وإنْ كَانَ البَيَاضُ في يَدَيْهِ إلى مِرْفَقَيْهِ دُونَ الرِّجْلَيْنِ فهو أقْفَزُ وأَرْفَقُ، وإنْ كَانَ البَيَاض بِرِجْلِهِ دُوْنَ اليَدِ فَهُوَ مُحَجَّلُ الرِّجْلِ اليُمنَى أوِ اليُسْرَى ،وإنْ كَانَ البَيَاضُ مُتَجَاوِزاً للأرْسَاغِ في ثَلاثِ قَوَائِمَ دُونَ رِجْل أوْ دُونَ يَدٍ فهوَ مُحَجَّلُ ثَلاثٍ مُطْلَقُ يَدٍ أَوْ رِجْل ،وإنْ كَانَ البَيَاض برِجْل واحدةٍ فَهُوَ أَرْجَلُ، فإنْ لَمْ يَسْتَدَرِ البَيَاضُ وَكَانَ في مَآخِيرِ أرْسَاغِ رِجْلَيْهِ أو يَدَيْهِ فَهُوَ مُنْعَلُ رِجْلِ كَذَا أوْ يَدِ كَذَا أوِ اليَدَيْنِ أو الرِّجْلَيْنِ ،وإنْ كَانَ بَياضُ التَّحْجِيلِ في يَدٍ وَرِجْل مِن خِلاَفٍ فَذَلِكَ الشَّكَالُ وهو مَكْرُوهٌ، وإنْ

كَانَ أَبْيَضَ الثُّنَنِ وهي الشُّعُورُ المُسْبَلةُ في مَآخِيرِ الوَظِيفِ على الرُّسْغِ فَهُوَ أَكْسَعُ، وإِنِ ٱبْيَضَّتِ الثُّنَنُ كُلُّهَا وَلَمْ تَتَّصِلْ بِبَيَاضِ التَّحْجِيلِ فَهُوَ أَصْبَغُ (وقيل للمرأة إذا كَانَتْ لا تَرُدُّ يَدَ لامِس وَتَقَرُّ لِمَا يُصْنَعُ بِهَا فَهِيَ قَرُود ، المَزْمَزَةُ و التَّزْتَزَةُ أنْ يَقبِضَ الرَّجُلُ عَلَى يَدِ غَيْرِهِ فيُحرِّكها تَحْرِيكاً شَدِيداً، والرَفَادَةُ الخِرْقَةُ تُوضَعُ عَلَى يَدِ الفَاصِدِ، ومن سنن العرب أن تستعير للشيء ما يليق به، ويضعوا الكلمة مستعارة له من موضع آخر كقولهم في استعارة الأعضاء لما ليس من الحيوان : رأسُ الأمرِ رأسُ المال وجهُ النَّار عين الماءِ حاجِبُ الشَّمس أنفُ الجبل أنفُ الباب لِسانُ النَّارِ رِيقُ المُزْنِ يَدُ الدَّهرِ جَناحُ الطَّريقِ كَبِدُ السَّماءِ ساقُ الشَّجَرَةِ، وفي الحياة العامة من خلال حفلات الأفراح التي تستلزم الغناء الجماعي والتصفيق بشدة متناهية من الرجال ومن النساء التصفيق الرقيق مع الغناء والرقص، وقد قيل (الذي يضع يده تحت رأسه يلقاها) أي بمعنى أن من يحافظ على نفسه سيجد ثمرة ذلك، وقيل عن شخص: (**بأنه يضرب بيد من حديد**)، أي يبطش بقوة وجبروت فكما رأينا أن كل ما تطرقت إليه هو باب لتدوين أبحاث في هذا المجال، و كما هي فاعلية اليد في الحياة كلها، وبغيرها لا يمكن أن تسير الحياة بأي اتجاه مهما كان، ولذلك حظيت بالكثير من الأوصاف في القرآن الكريم ومعاجم وكتب اللغة وفي الحياة العامة.

الحميـــر

هل تشبهنا ..أم نحن لا نشبهها

على توالي الأعوام تغلغلت في مجتمع النَوَرْ عادة امتطاء (الحمير) في دمائهم، وأصبحت شعاراً لهم حتى أن جدودهم كما تروي عجائز النَوَرْ أصبحوا يخشون امتطاء الجياد الخيول ونتيجة لهذه البدعة، فُرِض على نساء القبيلة السير على الأقدام طيلة حياتهن، فهن لا يمتطين أية راحلة كانت ، بل إن ذلك من حق الذكور على الإطلاق، فالرجل يمتطي الدابة و المرأة تسير بركابه، مهما طالت المسافة دون تذمر. ويعزو (النَّوَر) أصولهم إلى (بني مُرَّة)، ويبتدئ تاريخ تشردهم عقب المعركة التي قُتِل فيها (جسّاس) زعيم قبائل (بني مُرَّة) فمنذ ذلك الوقت حرَّم عليهم (الزير سالم)، ـ على حد زعمهم ـ ركوب الخيل على الإطلاق، فاضطر جدودهم القدامى إلى ركوب الحمير بدلاً من الجياد والخيل، ثم سامهم (الزير سالم) الخسف والهوان حتى اضطروا إلى الهجرة من ديارهم، والضرب في فجاج الأرض سعياً وراء الرزق، والمراعي الخصبة. ويروى أن شاعر الأردن (عرار - مصطفى وهبي التل) وكان قد عمل بالمحاماة لبعض الوقت، اشتهر بدفاعه عن (النَّوَرْ) في المحاكم تطوعاً.

وحدث أن سرق أحد (النَّوَر) حماراً، وكان ثمن الدواب آنذاك مرتفعاً وكان المتهم قد اعترف بالسرقة، لكن عراراً التمس تخفيف العقوبة، بداعي أن المتهم أعاد الحمار المسروق إلى صاحبه، وأنه من الأموال الخسيسة، فقاطعه القاضي، بقوله: "إن ثمن الحمار اليوم يساوي عشرين جنيهاً"، فكانت مفاجأة لعرار، إلاّ أنه تداركها بذكائه؛ وقال للقاضي: "لقد شرّف الله دابّة النبي صلى الله عليه وسلم بأن جعل منها البُراق، ولم يُشرف حمار العُزيرْ بل أبقاه حماراً، اسماً وجسماً، مصداقاً للآية الكريمة (إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير)، وهنا نورد الآية التي ذُكر فيها حمار العُزير: **(وانظر إلى حمارك و لنجعلك آيةُ للناس، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا)** وارتفاع ثمن الحمير لظروف خاصة، لا يُخْرجُ الحمار المسروق عن كونه حماراً بأخس الثمن ، فضحك النظارة لهذا الدفاع، ونزل القاضي عند رأي (عرار) وخفف العقوبة. ففي مجتمعنا الريفي، للحمير أهمية استثنائية في حياة الفلاحين وفي القديم هو وسيلة المواصلات للركوب ولحمل الأثقال والأمتعة عليه، وله ولكل الحيوانات في البيت مكان خاص بهم يسمى (البايكة)، والمكان الذي يخزن فيه التبن والعلف (التَّبان)، ويضع للحيوانات جميعا الطعام في حوض من الطين والحجارة يعلو عن الأرض حوالي نصف متر يسمى (الطِوالة)، أو وعاء معدني أو جلدي يوضع به الماء (جابية)، وبعض الفلاحين كانوا يستخدمون الحمير للحراثة عليها إما على حمار واحد أو حمارين يوضع على رقبتهما (نير) واحد يربطهما سوية. وما دامت الحمير قد شاركتنا حياتنا قد

رأيت مزايا وصفات حميدة للحمار، فهو لا يكفر بالله، ولا يجحد بلسانه الإله الذي خلق له هذا اللسان، كما يفعل الإنسان، ولا ينافق ويتخذ له وجهين، و لا يثير الحروب عل إخوانه في الحماريَّة، ولا يعرف جريمة القتل، ولا رذيلة الانتحار، ولا تشغله شهوته عن واجبه الحماري كما تشغل بني آدم، ولا يفكر في الأتان (أنثى الحمار) إلا مرة واحدة في السنة، ليقوم بقسطه من فضيلة العمل على بقاء النوع ولا ينحرف بغريزته عن طريقها، فـ (يقترب...) من حمار مثله ويدع جميلات الأُتُن، ذوات الخد الأسيل، والذنَبِ الطويل، والساق النحيل، كما تنحرف غرائز بعض بني آدم. تتبرج إناثه التبرج المُغْري، ولا تعرف البغاء الطليق على (البلاج)، ولا البغاء الفني في السينما والتلفزيون والمجلات المصورة أو الأنترنت. ولم يُشاهد أتاناً ترقص رقصاً خليعاً، ولم يسمعوا حماراً يغني غناء حديثاً، مع سهولته عليه، ولكن يبدو أن فضائل الحمار تلك ظهرت لتلك المطربة التي شبهت حبيبها بالحمار بقولها:(بحبك يا حمار) وهي أغنية لطيفة، كانت قد تسببت في طلاق كثير من النساء وحتى يروى أن عروسا أحضرت معها (كاسيتها) وخبأته كمفاجأة لعريسها ووضعته في آلة التسجيل، مما كان السبب في طلاقها الفوري ورجوعها إلى بيت أبيها، والحمار ما رأوه مع ذلك إلا صابراً على ما قُدِّر عليه، راضياً بما قسم له، لا يستغل أيام الحرب، ليسرق شعير إخوانه الحمير، ولا يغُش ولا يرتشي، ولا يخون، ولا يعرف المكر، ولا الحسد، ولا يتظاهر بالدين ليصل إلى الدنيا، ولا يتخذ العمل في المصالح العامة سُلَّماً إلى المناصب، وهو

يطيل التأمل، وهو لا يؤذي أبناء جنسه بتدوين فلسفته، ويأتي حين يُصَوِّتُ بسحجات و صيحات لها في موسيقى الحمير جمالٌ، ولكنه لا يزعم أنه من كبار الملحنين، ولكنه لا يزعم أنه مجدد في البلاغة كما يزعم بعض مشايخ بني آدم، لئلا يقال له: اخرس، فما تجديدك إلا نهيق. وقد قيل في المثل السائر(وقف حمار الشيخ عند العقبة)، أنا بدوري أقف هنا لعلي أعود ثانية أتبحر في فلسفة الحمير لعلي أصبح فيلسوف الحمير، وتطبق شهرتي شهرة ابن سينا والفارابي، وأكون أول من وضع أصول هذا العلم وفلسفته.

---

*اقتباس بعض من أفكار المقال من كتاب عرار شاعر الأردن (تأليف البدوي الملثم)، وكتاب مقالات في كلمات (الشيخ علي الطنطاوي) - بتصرف –

الذَّنب .. و .. الأذناب

في جلسة عامرة عند أحد الأصدقاء، وقد اجتمع الكثير منهم ممن لم نره من سنوات وفترات طويلة، وطالت ساعات الجلسة تلك، وتشعبت الأحاديث فيما بين ذكريات الطفولة والدّراسة، وتطرق الحديث عن شخص، أتعب أيامه بشقاوة غير معهودة، من أكل للحقوق ونصب واحتيال، وكذب و دجل، واختلفت الآراء في هذا الشخص، حتى قالوا عنه: أنه صلُح و تاب عن قبيح أفعاله، فاندفع أحدهم بحماس، بقوله: (سيبقى ذَنَبُ الكلب أعوج، ولو وضعوه في القالب مائة عام) وهنا توقفت عند الحس المرهف و لتحسس مثل تلك الحالات الاجتماعية، ما حسُن منها وما قَبُح، ومثل تلك المقولة و التي ما صدرت إلاّ عن تجربة وخبرة طويلة في أطباع البشر، حتى قيل قديماً (إنّ الطبع غلب التطبّع).

وفي المَثَلِ: (ما لي ذَنْبٌ إلاَّ ذَنْبُ صُحْر)، و صُحْرٌ: اسْمُ ابْنَةِ لُقْمَانَ بن عادٍ.ومن باب المزح، يقال: لمن تتجمع عليه المصائب الكثيرة: (هذه ذنوبُ قديمة) بمعنى أن هذه عقوبة لتلك الذنوب التي سبقت، ومن هنا انطلقت للبحث في مادة (ذ – ن - ب) وهذه الأحرف التي تشكل كلمة (ذَنب) و لأغوص في أعماق هذا المعنى، بدأت البحث

بمختار الصحاح الذي جاء فيه، أنّ مادة: ذنب- (التَذْنوب) كالمفعول، وهو البُسْر الذي بدأ به الإرطاب من قِبَلِ ذّنَبِه، وقد (ذّنّبَتِ) البُسرة بفتح الذال(تذنيباً) فهي (مُذَنِّبة) و (الذَنوب) النصيب، وهو أيضا الدلو الملآى بالماء، وقيل التي فيها ماء قريب من المِلْء ،تؤنث وتذكر، ولا يقال لها و هي فارغة (ذَنوبُ)، ولكن في المصطلح الشرعي، استخدمت الكلمة بمعنى المعصية للذي يخالف أوامر الله وتعاليم رسله وأنبيائه، وكانت هناك درجات لهذه الذنوب و منها الصغير ومنا الكبير الذي وصل لدرجة الكبائر التي إن فعلها شخص قد يستحق بفعلته دخول جهنم، أو أن يعفو الله عنه.

ومن هنا كان دعاء المؤمنين في آخر سور البقرة (ولا تحمل علينا إِصراً) أَي عُقُوبةَ ذَنْبٍ تَشُقُّ علينا. وقوله تعالى: (ويَضَعُ عنهم إِصْرَهم)أَي ما عُقِدَ من عَقْد ثقيل والإِصر: الذَّنْب والثِّقْلُ، وجمعه آصارٌ، أما الذّنْبُ والذي هو الإثم والإصر فنجمعه على صيغة ذُنوب والذّنَبّ والذي نقصد به ذيل كل دابة لها ذنب كالفيل والحمار والكلب والنمس والثعلب وكثيرة هي فإننا نجمعها على صيغة أذناب، وعلى اعتبار أن الذّنَب جزء يأتي في مؤخرة كل المخلوقات التي خلق الله لها الذيل، فقد استخدم في هذا المعنى مصطلحاً مجازياً لمجموعة البشر الذين يتبعون جهة ما، وأطلقوا عليهم مصطلح (الأذناب) أي التابعين لجهة ما يأتمرون بأوامرها، ويلتزمون بطاعتها، وهم في غالب الظن أنهم مأجورون، قد قبضوا ثمن خدماتهم مسبقاً، وقد يتأخر القبض في كثير من الأحيان لحين تنفيذ الخطط، وكذلك كانوا قديماً يستخدمون ذيل الفيل للعقوبات، ويقوم

مقام السوط وقد حظي ذيل الفيل بسمعة سيئة لدى الطلاّب القدامي، حينما كان يستخدمه بعض المعلمين لمعاقبة طلابهم، ولو أنهم زاولوا مهنة التعليم في الوقت الحاضر مع تطبيق الأساليب التربوية الحديثة، التي تحرم عقوبة الضرب، بكل تأكيد سيكون مصيرهم السجن، وفي مرحلة الدراسة، وفي درس الرياضة كانت إحدى الألعاب أن يتشكل التلاميذ على شكل دائرة كبيرة يهرولون وهم يصفقون و يغنّون (فات الثعلب فات فات، بذيلو سبع لفّات)، و لم نكن ندرك ما نُغَنّيه حتى جلست هنا أمام الذنب والأذناب، وتأملت الكلمات والحركات التي تبين مكر الثعالب، وكبر ذيله المكسو بالفرو نسبة لحجم جسم الثعلب الماكر الصغير، وعلى عظم حجم الفيل الذي اكتسب مهابة في قلوب الناس منذ القديم، عندما استخدم أبرهة لهدم الكعبة المشرفة، وناب العاج الذي حرمت تجارته عالمياً لكي تحافظ على الفيل وأنواعه النادرة من الانقراض، ورغم فوائده الكثيرة، لكن ذيله قد سبب له هذه النقطة السوداء في نفوس التلاميذ، وبما أن الثعلب الماكر المؤذي و المخرب لكثير من الممتلكات في الحقول، و لا تزال صورة ذلك الديك الجميل، الذي أغراه الثعلب بالصياح ماثلة أمام عيني، مع ذلك فقد حظي بأغنية أطفال جميلة اقترنت باللعب والمرح والسرور.

وكذلك في هذا المقام فقد ورد في الأثر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في باب علامات يوم القيامة و الظلم الذي يفشو على أيدي الحكام وأعوانهم يسوقون الناس بقوّة الأدوات، وبأيديهم أذناب الإبل، يضربون الناس بها.

وقد ورد كذلك في مقام أذناب الإبل والبقر، كناية عن كثرة الأموال وانشغال الناس بها عن أوامر الله، مما يستوجب عقوبته. والحِنْثُ ذَنْبٌ عَظِيْمٌ، وحَنِثَ في يَمِيْنِه إذا لم يُبْرِرْها،وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: (وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ)الواقعة ٤٦، و الذنب (العظيم) هو الشرك، أي ليس لي ذَنْبٌ. فإذا قلنا ذَنَبٌ أجرد فهي مثل رأس أصلع، وأصل ذَنَبُ الطائر يقال له (الزِّمكِّي) ويقال لما غلظ من الشعر كشعر ذَنَب الفرس (الهُلْب)، وإذا قص ذلك الشعر في ذيل الفرس يقال له:(حَذَفَ ذَنَبَ الفَرَسِ)، و الحَذْفُ قَطْعُ الشَّيْءِ من الطَّرَفِ، كحَذْفِ ذَنَبِ الدّابَّةِ. والعَزَالان: الريشتَانِ اللتانِ في طَرَفِ ذَنَبِ العُقَاب، وجَمْعُها (أعزِلَة).و الكُسْعَةُ: الريشُ المجْتَمِعُ الأبيضُ تحتَ ذَنَب الطيْر. والنُكْتَةُ البَيْضاءُ، و عَسكْتُ ذَنَبَ الدّابَّةِ: أي عَقَدْتَه، ومن ينتقل للفن والعزف على العود فإننا نجد أن أجود أوتاره ما أخذ من ذنب الفرس، و الربابة الآلة الشعبية ذات الصوت الجميل الذي يترافق مع قصيدة من شاعر شعبي يقولها باللهجة المحكية.

وأما المذنبات والشهب والنيازك التي تتهاوى إلى الكرة الأرضية، فكثيراً ما تثير الرعب في قلوب البشر من سرعتها ووميضها الساطع، وهنا تكون الوقفة الجميلة للتأمل العميق أمام روعة اللغة العربية التي تستوعب كل أدوات الحياة، وهي قادرة على أن تستوعب لغة العلم الحديث، وكانت جامعة دمشق رائدة في تعريب العلوم بكل أنواعها وأشكالها، ومما يجعلنا نطلق العنان لمخاوفنا الكثيرة تجاه كثير من القضايا المعاصرة، وخصوصاً العولمة

وانتشار وسائل الاتصال السريعة و الانترنت ، وتدفق السيل الجارف من المعلومات ودخول أنماط جديدة في كل المجالات بدءاً من تعلم اللغات الأجنبية، والانصراف عن لغتنا العربية، والتي هي الوعاء الحقيقي لحياتنا وتاريخنا. مما سيكون له السيّء الذي ينعكس على حاضرنا ومستقبلنا.

العدل .. شمس الحياة

عند مطالعتي لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: [**إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون، فلعل يكون بعضكم ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فأحكم له من حق أخيه شيئاً، فإنما اقطع له قطعة من النار فلا يأخذها**]. بالتوقّف التأمليّ أمام عظمة هذا البيان النبويّ، الذي يبيّن أنه نبي معصوم فيما يبلغ عن ربّه، وأمين به وعليه، ولكنّ بشريّته المتمثّلة في الحياة الإجتماعية وما يحدث فيها من خلافات، فيما بين الناس على كثير من الأمور الحياتيّة، والتي تتجدّد ولن تنقضي إلا بانقضاء هذه الحياة عن الأرض، وتخاصم الفرقاء ووصولهم للقاضي الذي يكون منهم واحد في الجنة واثنان في النار، لعظم المسؤوليّة المُلقاة على عاتقهم، من إحقاق للحق و دحض الباطل وبيان فساده، وإعطاء كل ذي حق حقه، بما يملك القاضي من سلطة مادية ومعنوية، في كافة أوجه الحياة. ومن تتاح له ساعة من الوقت أن يتوقف أمام قصر العدل في أي مدينة، له أن يتأمل الوجوه الداخلة والخارجة زرافات ووحدانا، مع المحامين أو بغيرهم، ومنهم مكسور مهيض الجناح، ومنهم الذي تعلو البسمة محياه، على انتصار سجّله على خصمه، بحق أو غيره، ومنهم من يعلو صوته بالشتائم لضياع حقه فيما بين أيدي المحامين الذين سلبوه أمواله، وبعد ذلك خسران قضيته العادلة، على يد قاض مُرْتشٍ، تاهت به السبل بحيث أنه انحرف عن جادة الصواب، بأن

مدّ يده في خفية و غفلة عن أعين القانون ليحكم بهواه، وينصر الباطل على الحق، فهو بذلك الشيطان الأخرس الذي عرف الحق وسكت عنه، بل و نصر الباطل، تبّت يداه من وحش آدمي، يأكل أموال الناس بالباطل، و يشرع باسم القانون طريقاً ممهداً للباطل وأهله، فإذا فسد القضاء في أية أمة فعلى الدنيا السلام؛ لأن الخلل يكون قد حدث في البوصلة التي منها يرى حال الأمّة، إذا كانت معافاة أو مضطربة. ومما هو معروف فإن العدل هو أحد أسماء الله الحسنى، والذي هو العدل المطلق، وقد ورد العدل بمعانٍ مُتعدّدة وهي على التوالي، الحُكْمُ والحِكْمَةُ: العَدْلُ والحِلْمُ.

والإقْسَاطُ: العَدْلُ في القِسْمَة والحُكْم. والجَبْرُ: خِلافُ العَدْلِ. والجَوْرُ: نَقِيْضُ العَدْلِ، والعدل خلاف الجَوَر. يقال: عَدَلَ عليه في القضيّة فهو عادِلٌ. وبسط الوالي عَدْلَهُ ومَعْدِلَتَهُ. وفلان من أهل المَعْدَلَةِ، أي من أهل العَدْلِ. ورجلٌ عَدْلٌ، أي رِضاً ومَقْنَعٌ في الشهادة. وهو في الأصل مصدرٌ. وقومٌ عَدْلٌ وعُدولٌ أيضاً، وهو جمع عَدْلٍ. وقد عَدُلَ الرجلُ بالضم عَدالَةً. قال الأخفش: العِدْلُ بالكسر: المِثْلُ. والعَدْلُ بالفتح، أصلهم مصدر قولك: عَدَلْتُ بهذا عَدْلاً حسناً، تجعله اسماً للمِثْلِ؛ لتفرّق بينه وبين عِدْلِ المتاع. وكقول البُحتري:

وأمَّةٌ كان قُبْحُ الجَوْرِ يُسْخِطها ... دَهراً فأصْبَحَ حُسْنُ العَدْلِ يُرْضيها

وقال الفراء: العَدْلُ بالفتح ما عادَلَ الشيءَ من غير جنسه. والعِدْلُ بالكسر: المِثْلُ. تقول: عندي عِدْلُ غلامِك وعِدْلُ شاتِكَ، إذا كانَ غلاماً يَعْدِلُ غلاماً وشاةً تعدل شاةً. فإذا أردت قيمتَه من غير جنسه نصبت العين، وربَّما كسرها بعض العرب وكأنَّه منهم غلطٌ. قال:

وقد أجمعوا على واحد الأعْدُلِ أنه عِدْلٌ بالكسر. والعَديلُ: الذي يُعادِلُكَ في الوزن والقَدْر. يقال: فلانٌ يُعادِلُ أمره عِدالاً ويُقَسِّمُهُ، أي يُمَيِّلُ بين أمرين أيَّهما يأتي. و العِدالُ: أن يقول واحدٌ فيها بقيةٌ، ويقول الآخر: ليس فيها بقيَّةٌ. وعَدَلَ عن الطريق: جارَ. وانْعَدَلَ عنه مثله. وعَدَلَ الفحلُ عن الإبل، إذا ترك الضِراب. وعادَلْتُ بين الشيئين. وعَدَلْتُ فلاناً بفلان، إذا سوَّيتْ بينهما. وتَعْديلُ الشيء: تقويمه. يقال عَدَّلْتُهُ فاعْتَدَلَ، أي قوَّمته فاستقام. وكلُّ مثقَّفٍ مُعْتَدِلٌ. وتَعْديلُ الشهود: أن تقول إنَّهم عُدولٌ. ولا يُقْبَلْ منها صَرْفٌ ولا عَدْلٌ. فالصَرفُ التَوبَةُ، والعدلُ: الفديةُ. ومنه قوله تعالى: "وإنْ تَعْدِلْ كلَّ عَدْلٍ لا يؤخَذْ منها"، أي تَفْدِ كلَّ فِداءٍ. وقوله تعالى: "أوْ عَدْلُ ذلك صِياماً " أي فداء ذلك. والعادِلُ: المشركُ الذي يَعْدِلُ بربّه، ومنه قول تلك المرأة للحجاج: إنك لَقاسِطٌ عادِلٌ. القُسوطُ: الجَورُ والعدولُ عن الحقّ. وقد قَسَطَ يَقْسِطُ قُسوطاً. قال الله تعالى: "وأمَّا القاسِطونَ لجهنَّمَ حَطَبا".

والقِسْطُ بالكسر: العَدْلُ. قال الله تعالى: "وأمَّا القاسِطونَ لجهنَّمَ حَطَبا"، ومنه: أقْسَطَ الرجلُ فهو مُقْسِطٌ. ومنه قوله تعالى: "إنَّ الله يُحِبُّ المُقْسِطين". والقوامُ: العَدْلُ. قال تعالى: "وكان بين ذلك قَواما" وقد تبين مما سبق في تبيان المعاني الكثيرة للعدل، هو المساواة في جميع الأمور، فالعودة للغة وأصول الكلام تتضح المعاني الدالة على مقالتنا.

وقد رجعت للمادة اللغوية (معجم الصحاح، والمحيط في اللغة). وبذلك يكون العدل أساس الملك، وهو الذي يساوي بين كافة الفئات والطبقات؛ بما يضمن لكل حقٍّ حقه في الحياة الكريمة بعيداً عن الظلم والتعسف، وهو مطلوب ومرغوب به في كل شيء. ويتسع المقام، للكثير في معاني العدل وشواهده، ولكن توخيت الاختصار هروباً من الإطالة.

إرادة الشعب

إذا الشعب يوماً أراد الحياة = فلا بد أن يستجيب القدر

كان هذا البيت مطلع قصيدة أبو القاسم الشابّي رحمه الله، من تونس الخضراء التي قفزت إلى مقدمة الأحداث في العالم في بداية العام ٢٠١١ م، وتفاعلت الأحداث وتسارعت، بعدما حرق نفسه الشاب محمد البوعزيزي احتجاجاً على الظلم الذي أحس به، وعانى من تبعاته، وكانت الشرارة التي أشعلت شمال إفريقيا ولم تتوقف حتى تطايرت أنظمة، وأصبحت في ذمّة التاريخ، وما استوقفني في هذه المعمعة، هو الشعب، واستغرقت في التفكير بمعنى الكلمة التي تستوجب البحث، وفي الرجوع إلى مورد اللغة فيكون الشَّعْبُ: ما تَشَعَّبَ من قبائل العرب والعجم، والجمعُ الشعوبُ، والشُعوبيَّةُ: فِرْقَة لا تُفَضِّلُ العربَ على العجم. وأما الذي في الحديث: أنَّ رجلاً من الشُّعوب أَسْلَمَ، فإنّه يعني من العجم. والشَعْبُ: القبيلة العظيمةُ، وهو أبو القبائل الذي يُنْسَبونَ إليه، أي يَجْمَعُهُمْ ويَضُمُّهُمْ، و قد تم التفصيل في معنى الشعب من أحد علماء اللغة، وهو أبو عبيد عن ابن الكلبيّ: الشَعْبُ أكبر من القبيلة، ثم الفصيلةُ، ثم العِمارَةُ، ثم البَطْنُ، ثم الفَخِذُ. وشَعْبُ الرَأْسِ: شَأْنُهُ الذي يضم قبائِلَهُ. والشَعْبُ: الصَدْعُ في الشيء، وإصلاحُه أيضاً الشَعْبُ، ومُصْلِحُهُ الشَعَّابُ، والآلَةُ مِشْعَبٌ. وشَعَبْتُ الشيءَ: فَرَّقْتُهُ. وشَعَبْتُهُ: جمعته، وهو من الأضداد. تقول: التَأَمَ شَعْبُهُمْ، إذا اجتمعوا بعد التَفَرُّقِ؛ وتفرق شعبُهُمْ، إذا تفرَّقوا بعد

الاجتماع. وفي الحديث: "ما هذه الفُتْيا التي شَعَبْتَ بها الناسَ" أي فَرَّقْتَهُمْ. والتَشَعُّبُ: التفرُّقُ؛ و الإنشعاب مثله. وأَشْعَبَ الرجُلُ، إذا مات أو فارق فِراقاً لا يَرجِعُ. والشِعْبُ بالكسر: الطريق في الجبل، والجمع الشِعابُ. وفي المثل: شَغَلَتْ شِعابي جَدْوايَ، أي شَغَلَتْ كثرةُ المَؤُونَةِ عَطائِي عن الناس، وشعبانُ اسم الشهر الذي يسبق رمضان، والجمع شَعْباناتٌ. وقولهم: شَعَّبَ الأميرُ رسولاً إلى موضع كذا، أي أرسله. وسيدنا ابراهيم معناه في اللغات القديمة أبو الشعب، وقصة نبي الله شعيب عليه السلام مع قومه: **(وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره، قد جاءتكم بينة من ربكم، فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم،...)**، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطي هذه الأفاعيل القبيحة من بخس الناس أشياءهم وإخافتهم لهم في سبلهم وطرقاتهم، فآمن به بعضهم وكفر أكثرهم، حتى أحل الله بهم البأس الشديد. وكذلك لم يسلم النبي محمد ـ صلى الله عليه ـ من أذى قومه في بداية الدعوة في مكّة فبعد وفاة زوجته خديجة وعمّه أبي طالب ـ وهو ما سمي بعام الحزن ـ اتّفقت قريش على محاصرة النبيّ وأصحابه، فيما يسمى بشِعْبِ أبي طالب، وهو ما يعني محاصرة الدعوة وصاحبها لكي لا ينتقل تأثيره إلى الناس في مكة أو خارجها وشِعاباً جمع شِعْب بكسر فسكون، وهو الطريق الضَّيق بين الجَبلين، والشِعْبُ أيضاً: الحَيُّ العظيمُ، وقامت دولة الإسلام واتسعت بعد الفتوحات، وقامت في أيام العباسيين الحركات الشعوبية **(كالزنج والقرامطة)**، وهما مما كان لهما من تفتيت لجهود الأمة وإحداث الفتن والقتل وترويع الآمنين، حديثًا ظهر مصطلح(الشّعبوي) وهو دلالة على الشعبيّ، ومن أشهر الطفيليين في التاريخ هو أشعب الذي جاء ذكره في كتاب" البخلاء" للجاحظ وذكر طرائفه المضحكة.

ومع بداية عصر النهضة في أوربا فقد ظهر مفهوم الديمقراطية وهو ما يعني سلطة الشعب، أو هي حكم الشعب للشعب، أما الشَعبيّات فهي السكن الشعبيّ، وفي المفهوم الذي كان سائداً في الجماهيرية الليبية هي التجمعات الشعبية الكبرى كالمحافظات في الدول الأخرى والشعبيّات هي أحد مظاهر سلطة الشعب، وفي كثير من الدول كسوريا مثلاً البرلمان يسمى مجلس الشعب؛ لأنه انبثق عن الشعب بطريقة ديمقراطية صندوق الإقتراع، و في إبان استقلال سوريّة كان هناك حزب الشعب الذي برزت من خلاله بعض قيادات الاستقلال، وكذلك في بانغلاديش هناك حزب الشعب، وليس ببعيد عنا ما ابتدعه اليهود من أنهم شعب الله المختار، والذي هم كسلالة فوق الجنس البشري.

ومما وصلنا من الهدي النبوي، أن (الحياء شعبةٌ من شُعَبِ الإيمان)، أي أن الحياء هو أحد طرق الإيمان، وعن أبى هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (من مات، ولم يغز، و لم يحدث نفسه بغزو، مات على شعبة من النفاق)- رواه مسلم.

ولا يغيب عن بالنا ـ ما دام البحث في كلمة الشعب ـ أن لا ننسى قصيدة أبي الطيب المتنبي **"شِعْبُ بَوّان"** وهي إحدى قصائده، حيث مدح فيها عَضُدَ الدولة، وللعلم فإنّ أحكام القضاء في سوريا تبدأ **"باسم الشعب في سورية"**، لما للشعب من أهميّة في الحياة العامّة، ولا يغيب عن بالنا ذلك الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة رضي الله

عنه، وفي منطقتنا حوران هناك عائلة تحمل اسم الشعباني، وأخرى الشعابين وأهمّهم على الإطلاق صديقي إبراهيم الشعابين.

ولا يفوتني أن أستعيد فترة صعود نجم المطرب المصري (شعبان عبد الرحيم) الملقب (شعبلو)، في حين أصدرت بعض الصحف الإسرائيلية تقريراً عن أعدائها داخل مصر فذكرت (شعبلو، وعمرو موسى)، يوم أن كان وزيراً للخارجية، وأتذكّر ذلك الممثل المصري الرصين يوسف شعبان ومواطنته الممثلة عفاف شعيب، ولو أن أحد الحسناوات أرادت شراء المجوهرات فبكل تأكيد ستمرّ على مجوهرات الشُعيبيّ، والتي تحمل اسم عائلة صاحبها.

ومهما تفرقت السبل والشعاب فإن درب الحق واضح، لا يعمى عنه إلا مطموس البصيرة والمجادل الذي يتقدمه هواه في كل مناحي حياته، وتبقى الشعوب هي المادة الأساسية لكل التجمعات البشرية أياً كانت تلك الأشكال، وإرادة الشعوب جزء من إرادة الله.

الميـــدان

الجهة الجنوبيّة المحاذية لقلعة بصرى، تسمى الميدان، في صغري لم أكن أعلم ما تعنيه تلك الكلمة، حين ذاك، حيث لم يكن هناك في المنطقة أي بناء سكني، فقد كانت منطقة بيادر وكروم عنب، ولكن بمجيء بناء الفندق، أبرزوا مكان الميدان، بعد ذلك فهمت أنه ميدان لسباق الخيل، وذلك في عهد قديم من تاريخ بصرى، وهو يمثل الحقبة النبطية، ومن بعدها الرومانية والبيزنطية والإسلامية، حيث كانت المدينة في أوج ازدهارها الحضاري، و بعد ذلك اندثر بفعل الخراب والدمار من جراء الحروب والزلازل، والميدان الآن هو قطعة أرض خلاء، فقط محاطة بسياج حجري، ومقارنة افتراضية مع ميدان سباق الخيل في مدينة أبوظبي التي عملت بها لعدة سنوات، هنا حمحمة الخيل وصهيلها وتصفيق المشجعين وحفلات تكريم المتسابقين، بينما ميدان بصرى لا يزال يعيش على أطلال تاريخ عريق، وجمود حاضره. وفُرْسَانُ المَيْدَانِ، و وَكَّى الفرسُ المَيْدانَ مَلأَه، و أوكى الفرس الميدان جرياً، والمِقْوَسُ: هو المَيْدان. والمِقْوَس - أيضاً - : حَبْلٌ تُصَفُّ عليه الخيلُ عند السِباق، أي هو الخط الذي يقف عنده المتسابقون، أو خط البداية بانتظار إطلاق الصافرة أو طلقة من مسدس أو إشارة ما. يبدو أن الميدان هو

المكان المتسع الذي يستخدم للسباقات، وفي المدن الحديثة بتخطيطها العمراني الجميل، فقد أصبحت تعبر عن الساحة الواسعة، وفي وسطها النصب الذي يحيط به الدوّار بشكله الدائري، وذلك بهدف تنظيم مرور السيارات بكافة الاتجاهات، وذلك بضبط الحركة من خلال إشارات المرور، وقد بزرت كلمة الميدان التي تصدرت الفضائيات الإخبارية، وذلك حين احتلال بغداد، والتركيز على ميدان الفردوس بصوره التي تكررت على مدار أكثر من شهر، وإلهاء الناس بتكسير التماثيل، بينما يد الغدر، كانت هناك تنهب محتويات المتحف العراقي، وتنهش تاريخ العراق، وتقتل شعب العراق، ولا تزال صور التظاهرات الطلابية في ميدان(تيانمين) في وسط العاصمة الصينية بكين، والقمع الشديد لهم من قوات الشرطة، ميدان (تيانمين) مثله كمثل الميدان الأحمر في موسكو يمثل هيبة الدولة التي تبطش بمن يخرج عن طاعتها أو يفكر.

ولكن الأمر اختلف في ميدان التحرير بالقاهرة، اعتصمت الجماهير على مدار أسبوعين ونصف، ظهرت من خلال ذلك مصطلح البلطجية الذي يشير إلى مثيري الشغب بين المعتمين وقتل الكثير من الناس. وإذا تحولنا من الاستخدام المكاني لكلمة الميدان إلى الاستخدام المجازي إلى ميدان فقه اللغة والذي أوسع من ميدان البحث النحوي إذ كان النحو لا يقنع إلا بما اصطُلِحَ عليه بالصحيح أما كتاب " الخصائص " لابن جِنّى فهو مجموعة مختلفة من مباحث نظرية تدخل في ميدان " فقه اللغة" عن العربِ عُموماً أَو خُصوصاً فالعَمَلُ على الثابِت عنهم لأَنّهم أَئمّة اللّسانِ ولو رجعنا لميدان اللغة

في معاجمها وقواميسها لاستجلاء أكثر عن كلمة الميدان لكان المَيْدَانُ بالفتح ويُكْسَر أَي ما يعرف بالمَيَادِينُ وقد اخْتُلِف في وَزْنِه فقيل فَعْلاَن من مَاد يَمِيدُ إِذا تَلَوَّى واضطَرَبَ ومعناه أَنّ الخَيْلَ تَجولُ فيه وتَتَثَنَّى مُتَعطِّفَةً وتَضْطَرِبُ في جَوَلاَنِها، وقيل وزنه فَلْعَانُ من المَدَى وهو الغايةُ؛ لأَن الخَيْلَ تَنْتَهِي فيه إِلى غَاياتِها من الجَرْيِ والجَوَلاَنِ وأَصْلُه مَدْيَانٌ فقُدِّمَت اللام إِلى مَوْضِع العَيْنِ فصار مَيْدَاناً. والمَيْدَانُ والمَوْضِعُ الَّذِي تَجْرِي مِنْه الخَيْلُ للسَّبْقِ: مِقْوَسٌ أَيضاً. ومِن المَجَازِ: عُرِضَ فُلانٌ علَى المِقْوَسِ: هو حَبْلٌ تُصَفُّ عَلَيْهِ الخَيْلُ فِي المَحَلِّ الذِي تَجْرِي منه عِنْدَ السِّبَاق، وقيل الميدان لأن الخيل تودن فيه أي تضرب، و حي الميدان الدمشقيّ الشهير، وشارِعُ المَيْدان محَلَّتانِ ببغداد الثانيةُ بجانبِ المَيْدَانُ الشَّرقيِّ منها. قال ياقوت: قد خرُبَت، والأُولى من جهةِ الأنبار ولذا أُضيفَت إليه. وشارِعُ دارِ الرَّقيق: مَحِلَّةٌ غَرْبِيَّ بغداد، أَيضاً مَحَلَّةٌ بِبغدَادَ مِن ناحِيَة بابِ الأَزَجِ، ويُعرَف بشارع المَيْدَان.

منها عبدُ الرحْمنِ بن جامع بن غُنَيْمَة المَيْدَانيّ، وكان يكتب اسمه غُنَيمْة، والمَيْدَانُ مَحَلَّةٌ بِنَيْسَابُورَ وتُعْرَف بِمَيْدَانِ زِيَادٍ منها أَبو الفَضْلِ محّمدُ بن أَحمدَ المَيْدَانِيُّ. والمَيْدَانُ أَيضاً مَحَلَّةٌ بأَصْفَهَانَ، منها أَبو الفَضْلِ الأَمير والميدان أيضاً محلة عظيمة بخوارزم خربت. ومَيْدَان: مدينةٌ في أَقصَى بلادِ ما وراءَ النَّهْرِ قُرْب (إِسْبِيجَابَ)، المَيْدَانُ: شاعِرٌ فَقْعَسِيٌّ في بني أَسَدِ بن خُزَيْمَةَ. وأشهر الميادين على الإطلاق هي ميادين الحروب والمعارك و الجهاد، كما أن الشاعر بشار بن برد، أجاد في وصف ميدان المعركة، بقوله:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا = وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقد تغلغل الميدان في الذاكرة الشعبية، وذلك من خلال ما وصلنا من مقولات على شكل أمثلة متداولة، كقولهم: (ما بقي في الميدان غير حديدان)*أي كل الفرسان تراجعوا ولم يبق غير الفارس الصنديد (حديدان) ولمن أراد التحدي، يقولون له: (هذا أبو زيدروهذا الميدان)*، ومعلوم من خلال ذلك إشارة إلى أبي زيد الهلاليّ، وفي هاتين المقولتين إشارة من الأولى للصمود، والثانية للتحدّي.

و إذا ادْلهمّت الأمور وتشعبّت طرقها، فسيبقى ميدان العلم هي الأساس في بناء كل تلك الحضارات، وميادينها على اختلافها، وذلك من خلال فرسانه من طلبة العلم في جميع الأفرع، والتي من خلالها يخدمون أممهم بكل إخلاص وتفانٍ، ومهما استخدمت واستجلبت كل فنون الكتابة في تبيان رحابة الميدان، فإن ذلك لن يَفِيَهُ حقه، وستجد كثيراً ممن يقرأ، يقول في نفسه لو أنه كتب ذلك لكان أفضل. ولكل مجتهد نصيب، وهذا اجتهادي.

زنقة.. زنقة ..

برزت في الآونة الأخيرة كلمة (زنقة.. زنقة) في وسائل الإعلام، و تناقلتها الألسن علي سبيل الفكاهة والنكتة، ولبيان واستجلاء دلالة هذه الكلمة العربية المتداولة في المشرق بدلالتها أنها بمعنى الضيق، يقال فلان مزنوق أي في ضيق من حاله، و في دول المغرب العربي دلالتها على الزقاق، وبالعودة لمعين اللغة لاستجلاء المعنى وإماطة لثام الغموض عنها، فقد وجدت أن الزنق والزنقة و الزناق بشكل عام قد أتت بكل معانيها بمعنى الضيق و الضيِّق والتضييق، والمعنى الذي قصد بالزنقة على الفضائيات هو الطريق الضيق والذي نقول عنه زقاق، والزَنَقَةُ: السِكَّةُ الضيّقة. والزَّنَقةِ وهو ميل في جِدارٍ في سِكَّة أَو عُرْقوب وادٍ، وفي حديث عثمان بن عفّان رضي الله عنه: **(مَنْ يَشْتَرِي هذه الزَّنَقَةَ فَيَزِيدَها في المسجد؟)** والزنَقَةُ من الأوْدِيَةِ المَضِيْقُ، و الزِّناقُ حبل يوضع تحت حنك البعير أو الفرس أو البغل يُجْذَب به و (الزِّناقة) حلقة تجعل في الجُلَيدة هناك تحت الحنك الأَسفل ثم يجعل فيها خيط يشد في رأْس الجَمُوح منها زَنَقه يَزْنُقه زَنْقاً، وهذا هو اللجام، والزَنَقُ: موضع الزِناقِ، و زنق وردت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: [وإن جهنم يُقَادُ بها مزْ نُوقة] المَزْنوق وهو المَائلُ شِقّةُ لا يَذْكر اللّه، وقيل إِن جهنم يُقادُ بها مَزْنوقة والمَزْنوقُ المربوط بالزِّناق.

الرأيُ الزنِيْقُ: المُحْكَم. والزنَاقُ: من الحَلْي الفضيّة للنَساء، ضَرْبٌ من الحُلِيّ وهو المِخْنقة، وزَنقْت على فلان: أي ضَيقْت عليه، و أزْنَقْتُ بِمِثْلِه. والزنَق: أسَلَةُ نَصْل السهْم، والجميع الزُّنُوْقُ. والمَزْنُوْقُ: اسم فَرَسُ عامِرِ بن الطفَيْل، و رَأْيٌ زَنِيقٌ مُحْكَم رَصِينٌ وأَمر زَنِيق وَثِيق، الزُّنُق العقولُ التامّة، وإِذا ضيّق الرجل على عياله فقراً أَو بخلاً، و زَنِيق اسم رجل.

وها قد وقفنا بتلك الإطلالة على الزنقة الضيقة من اللغة في هذه الصفحة، والتي رُدّت كل معانيها للضيق، وطريق وواد وسكة زنق و زنقة أي ضيق، ودعوة لكل شخص أن لا يزنق على أخيه في الإنسانية، ومن زنقه الدين فهولا يستطيع الإيفاء، ومن زنقه البول حصره، ومن زنقه زمانه وضاقت عليه سبل العيش، فما من سبيل له إلاّ الصبر والجد في العمل، ومن جدّ وجدْ ومن سار على الدرب وصل، وإذا فرّج شخص على آخر، فيقولون: (فكّ له زنقته)، اللهم لا تزنق علينا أبواب رحمتك ورزقك. آمين ..

الفضل .. والفضلاء

جاءتني ردود على مجموعـــــة مشاركاتي من أحد الأصدقاء، وتبدأ بقوله: "أخي المفضال"، وقد توقفت عند ذلك الأدب الجمّ والتواضع الشديد، الذي أسر قلبي، ولم أستطع مغادرة ذلك الخطاب الرفيع، دون الولوج إلى فحوى ما تفضل به ذلك الفاضل المفضال، ووجدتني متجهاً للتفكير العميق، للبحث في هذا المعنى الذي استغرقني، وَرَجُلٌ مِفْضَالٌ: كَثِيرُ الخَيْرِ، وأهل الفضل هم أهل الخير في أي مجتمع، وغير بعيد من هذا حلف الفضول الذي تداعت له القبائل في أيام الجاهلية لنصرة المظلومين، وعندما ذكر أمام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "لو دعيت إليه لأجبت"؛ لأن هذا الحلف كان بمثابة عقد اجتماعي على نصرة المظلوم وإغاثة الملهوف، وهذا بعض مما جاء به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أخلاق وتعاليم الإسلام، ومن فضل الله على عباده أن بعث فيهم الرسل لترسيخ الهدي السماوي فيما بينهم، ليعم العدل والإخاء والمساواة، قال تعالى: [إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ] البقرة٢٤٣، و لأهمية كلمة الفضل وتداولها على نطاق واسع في حياتنا لا بد من التعريج على أصولها وما يتفرع عنها في اللغة العربية، وأكتفي فقط بمصدر واحد هو فقه اللغة وسر العربية،

للثعالبي، والفَضْلُ: مَعْروفٌ. والفِضَالُ: اسْمٌ للمَفَاضِلِ. والفَضِيْلَةُ: الدَّرَجَةُ في الفَضْل. وفَضَلَ يَفْضُلُ.. وُيقال: فَضِلَ يَفْضِلُ - كقولك: حَسِبَ يَحْسِبُ - نادِرٌ. وأفْضَلَ فلانٌ على فلانٍ: أنَالَهُ من فَضْلِه. وأفْضَلَ من الطَّعام وغيرِه: تَرَكَ منه شَيْئاً، وكذلك اسْتَفْضَلَ. والتَّفَضُّلُ: التَوَشُحُ. ورَجُلٌ فُضُلٌ: مُتَفَضِّلٌ، وامْرَأةٌ مُتَفَضِّلَةٌ. وثَوْبٌ فُضُلٌ: وهو أنْ يُخَالِفَ بَيْنَ طَرَفَيْهِ على عاتِقِه و يتَوَشَّحَ به. والمِفْضَلُ: الثَّوْبُ الذي تَتَفَضَّلُ به المَرْأةُ. وهي المِلْحَفَةُ أيضاً. و الفُضّالى: المُتَفَضِّلُونَ بثِيابِهم. وجاءَ في فِضْلَتِه: أي مُتَفَضِّلاً في ثَوْبِه. الصَّرْفُ في الدَّراهِمِ: الفَضْلُ والزِيَادَةُ السرْوُ: سَخَاءٌ في مُرُوْءةٍ، سَرَا يَسْرو؛ فهو سَرِيٌّ وهُمْ سَرَاةٌ. و السرَاوَةُ: الفَضْلُ والزِّيَادَةُ و المَثَالَةُ: الفَضْلُ، مَثِيْلٌ بَيِّنُ المَثَالَةِ. و مُثَلاَءُ القَوْمِ: خِيَارُهم. نبل: النُّبْلُ: في الفَضْلِ والفَضِيْلَةِ، والنَّبَالَةُ أعَمُّ. وهو أيضاً: مَصْدَرُ الشَّيْءِ النَّبِيْلِ الجَسِيْم. والنَّبلُ: النَّبِيْلُ، وقَوْمٌ نِبَالٌ ونُبلاَءُ. وتَنَبَّلَ الرَّجُلُ: تَخَيَّرَ وأخَذَ الأنْبَلَ فالأنْبَلَ، وكذلك انْتَبَلَ ونَبَلَ. وعَارَضْتُه في البَيْع فَعَرَضْتُه، عَرْضاً: غَبَنْتُه وصار الفَضْلُ في يدي، والسَّيِّدُ الكثيرُ الخَيْرِ الواسِعُ الفَضل. ومما يستوقفني بعد التأمل بكل طرق اللغة بالنسبة لكلمة الفضل كلها جاءت بالمعاني الطيبة، ومن زار شخصاً فيدق الباب، يجيء الصوت من الداخل تفضل، وإذا جلس وجاء فنجان القهوة العربية فيكون التنبيه على تناولها تفضل، وإذا وضعنا الطعام أو أي شيء من لوازم الضيافة، نقول له: "تفضل"، وهذا ما ارتبط بكثير من معاني الكرم العربي، وإذا استعرنا أي شيء أو غرض فعندما نعيده لأصحابه فأول كلمة نقولها: هي "تفضل"

وبعدها تأتي كلمات الشكر والثناء، وقد استخدم العرب الأوائل الكلمة لعظمها في نفوسهم في تسمية أبنائهم، فكان الأشهر على الإطلاق هو الفضل بن العباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، والقاضي الفضيل بن عياض، وهو من أشهر القضاة في تاريخ القضاء فعلى الأقل في تاريخ الأمّة الإسلاميّة.

وفي مجال الأدب والشعر نجد هناك القصائد المسماة " المفضليّات" نسبة للمفضّل الضبّي، أما وإذا عرفنا فيما تقدّم أن أحد معاني الفضل هو الزيادة، فقد نحى الناس في استخدام هذا المعنى فيما زاد عن حاجاتهم ومن سَقْط المتاع وأطلق على ذلك "الفضلات"، وكثيراً ما أشير بها إلى الزبالة أو فضلات البطن وفضلات الطعام، وكذلك استخدم بمعنى آخر ألا وهو الفضوليون، وهم ممن يسعى لتتبع عورات الآخرين أو ممن يحضر وليمة وهو ليس مدعواً لها، ولو عادت بنا الذكرى قليلاً للمطربة "شريفة فاضل"، والمطرب الشاب"فضل شاكر" بأغانياتهما الغزليّة الجميلة، وأفلام المخرج (محمد فاضل) حينما نقلت للعالم نموذج حياة الريف المصري. ومهما إدلهمّت الأمور وتغير الكثير في الحياة الحالية، فسيبقى الفضل وأهله الفضلاء، لهم كبير الوزن في نفوس الناس ممن يعرفهم أو يسمع بهم، وهم صمام الأمان الحقيقي الذي يعمل على ترسيخ قيم السلم الاجتماعي، بما يدخلون لحل المشاكل بين الآخرين وفض خلافاتهم التي لا تنتهي ما توالى الليل والنهار. وأما العفة وحسن الأخلاق فقد أشير إليها فقد أصبح مصطلح الفضيلة هو المعبّر عن ذلك، حتى رأينا في بعض الدول أن بعض الأحزاب

السياسية قد تسمى بحزب "الفضيلة"، و أخيراً فقد حضرني ذلك المثل الشعبي المتداول عندنا في بصرى القائل: (العزيمة لأبو سويلم وتفضل يا عقلة الريشان)، ونعني به أن الوليمة لضيف عزيز ويبدو أنه من شيوخ البدو واسمه أبو سويلم، وعلى شرف أبو سويلم تفضل يا عقلة الريشان، وبعد أن تبيّنتُ كل تلك المعاني الجليلة للفضل، فاشمخ عالياً بمن هم من أهله، ألا وهم أخوالي عائلة" الفاضل" الأفاضل، وقاهم الله الشر، وجعل الخير على أيديهم نبعاً لا ينضب.

الطّلُّ .. والأطلال

يا فؤادي لا تسل أين الهوى، كان صرحاً من خيال فهوى، بهذا البيت الجميل العميق تبدأ أم كلثوم تشدو، برائعة الشاعر إبراهيم ناجي، تلك القصيدة القديمة المتجددة، والتي لا تمل الأذن من سماعها؛ لأنها تحلق بعيداً في عالم جميل من الرومانسية، بشفافية الروح المنسجمة مع دواعي القلب، وما زالت الأطلال ندية كالندى، عبقة كالورد تعشعش في ثنايا الزمان والمكان، مما حدا بمنظمة اليونسكو للثقافة والعلوم، لجعل قصيدة الأطلال بصوت أم كلثوم من التراث العالمي، وبعد ذلك ترجمت لكل لغات الدنيا.

وكانت قصائد العرب الأوائل قديماً، تبدأ بالوقوف على الأطلال، وأول من وقف على الأطلال هو الملك الظليل امرؤ القيس، الذي وقف و استوقف، وبكى واستبكى، وذلك في بداية معلقته الشهيرة: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل .. بسقط اللّوى بين الدخول فحومل.

وفي دخولنا لدوحة الأطلال لنتقصَ ذلك المعنى في مضانه، ستكون البداية من عند الآية الكريمة [وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] - البقرة ٢٦٥ - أي إذا لم يصبها المطر الشديد الوابل فالمطر الخفيف وهو الطل فإذا أصابها يكفيها، لتثمر وتزكو سواء أكثر المطر أم قل

فكذلك نفقات من ذكر تزكو عند الله كثرت أم قلّت. وفي العودة لمعين اللغة الصافي، فقط أتوقف عند كتاب "فقه اللغة و سر العربية" للثعالبي فيكون أول معنى للطل طلأ و هو أَوَّلُ المَطَرِ رَشٌّ وَطَشٌّ ثُمَّ طَلّ وَرَذاذ ثمَّ نَضْح ونَضْخ (وهو قَطْر بَيْنَ قَطْرَيْنِ) ثمَّ هَطْلٌ وَ تَهْنانً ثمَّ وَابِلٌ، فيكون الطَل: المَطَرُ الضَعِيْفُ القَطْرِ الدّائِمُ.. والطَّلُّ: المَطْلُ للديَاتِ وإبْطالُها. وطُل دَمُه فهو مَطْلُوْل. والطِّلُ - بالكَسْر - : مِثْلُه. وأطِلَّ، وطَلَّ الدمُ نَفْسُه. وذَهَبَ دَمُه طِلاً: أي هَدَراً. وشَيْء طَل: أي طَرِيء ناعِمٌ. وأطْلَلْتُ عليه: ألْحَحْتُ. والإطْلالُ: الإشْرَافُ على الشيْءِ. وأطَلَّ على حَقَي فَذَهَبَ به: أي ألْمَا عليه. وطَلَلُ الدّار: ما شَخَصَ من آثارِها، والجَميعُ الأطْلالُ و الطُّلُوْلُ. وطَلَلُ السَّفِيْنَةِ: جِلالُها، والإنْسَانِ: شَخْصُه. و تَطَالَلْتُ للشيْءِ وتَطَاوَلْتُ: بمعنىً. و طَلالَة الرَّجُلِ: وَجْهُه وعُنُقُه. وهو الحُسْنُ أيضاً. و الطَلالَةُ - أيضاً - : الحَلاوة والفَرَحُ، وليستْ له طَلالَةٌ: أي لَيْسَ له ما يُفْرِح به. و الطَلِيْلُ: الحلْوُ؛ في كَلام هُذَيْل. ورَجُلَ طَل، وامْرَأةَ طَلّةٌ: حَسَنَةٌ لَطِيْفَةٌ طَرِبَةٌ. وخَمْرٌ طَلَّةٌ: لَذِيْذَةٌ. ومِيَاهٌ طَلةٌ: عَذْبَةٌ. و الطَلةُ: امْرَأةُ الرَّجُلِ. والرطْبَةُ من الرِّيَاح. وما ذُقْتُ عِنْدَهُ طُلاً، وما بها طُل: وهو اللَّبَنُ. و الطَّلْطَلَةُ: تَحْريك اليَدَيْنِ في المَشْي. وطُلاء بالوَرْسِ: أي طُلِيَ به. والطلاّءُ: الدمُ نَفْسُه، وقيل: شِبْهُ جُلَيْدَةٍ على وَجْهِه.. ومَشى على طَلَلِ الماءِ: أي على ظَهْرِه.. و التطَالُ: الاطلاع من فَوْقِ المَكانِ.

وإذا أطلّت الفتنة بمكان فالتعاسة واللعنات تكون قد حلّت به وبأهله، والفتنة تكون أشبه بالنار التي تلتهم كل شيء في طريقها، حتى يقيض الله من يطفئ نار تلك الفتنة ويخمدها إلى الأبد، وعندما مالت الأندلس برأسها للذة العيش وبحبوحته، والتفت للتكاثر فقد حاقت الفتنة بأنوار طليطلة التي قضت نَحْبَها مع أخواتها قرطبة واشبيلية،

وكانت نهاية المجد الذي انكسر، وانحنى لموجة التعصب الصليبي الحاقد الذي قتل وأباد حضارة عريقة، بعد أن كانت قبلة الدنيا في عصرها.

وفي تراثنا يستعملون كلمة " طلَّ " بمعنى من زار شخصاً آخر، وخصوصاً في حالة المرض أو غيره، وإذا أخذ له شيئاً من الفواكه أو الطعام فتسمى(مطلّة)، كما يستخدمونه لمن ارتقى سطح البيت أو سور أو شرفة، فيقولون: "طل " أي نظر من علٍ، و يتطلطل على بيت الجيران أو غيره، وكذلك لمن أراد تنبيه آخر لينظر إليه يقول له "طِلْ " أي انظر ، ولم أبارح ذلك المكان وأنا أترحم على جارتنا الحجة "طلّة" تلك المرأة الرائعة، التي كانت كقابلة تساعد النساء على الولادة ومن أصابه الوجع في رأسه يذهب لكي تُسَمّي عليه أي ترقيه، ولم أكن أعلم معنى اسمها إلاّ الآن بعد أن ولجت في دهاليز اللغة الفريدة لتكون طَلّةٌ تلك المرأة الحَسَنة اللَطِيْفَة الطَرِنَة، و الطَلَةُ أيضاً امْرَأةُ الرَّجُلِ، فكانت اسماً على مسمى رحمها الله. وكان الملك طلال بن الشريف حسين هو أشهر من حمل هذا الاسم الجميل، و تكون طَلالَة الرَّجُلِ: وَجْهُه وعُنُقُه. وهو الحُسْنُ أيضاً. والأمير طلال أرسلان ومواطنه الصحفي طلال سلمان، وعندما تكون متجهاً من مدينة السويداء في جنوب سوريا إلى مدينة دمشق لا بد من المرور بقرية المطلّة الصغيرة التي تتربع في سهل فسيح عندما تجتازه وأنت في السيارة، يأتيك شدو الصبّوحة (أهلا بها الطلّي أهلاً، أهلا بهالعين الكحلا)، وما إن تصل دمشق وتصل عند محلات التسجيلات، حتى تسمع ضجيج المطرب "علي الديك" بأغنيته التي اكتسحت الساحة الشعبية: علّوش(طل الصبيح و لك علّوش)، كذلك من طلى بيته بالدهان و الأصبغة الملونة يكون قد جدد ونظر للحياة بتفاؤل، ومن أنّب شخصاً على فعل فيقول له: (بَيْنٌ يطلي هامتك) أي

الهم والغم يلبسك من أعلى إلى أسفل جسمك. والمَدينُ الذي لا يؤدي ما عليه من ديون مستحقة في وقتها فهو المَطْلُ ومماطل، وإذا أصاب الطَل -هو المَطَرُ الضَعِيْفُ وهو القَطْرِ الدّائِمُ- الأرْضُ تكون قد ارتوت، و حلّ الخير و أمرعت الربوع والنجود، وفرح الفلاحون عند حصادهم لموسم الغلال، وتتحسن أحوالهم وتكثر الأموال بين أيديهم، وشكروا الله على نعمه وآلائه.

نعمة النسيان ..

انتقلت إلى رحمة الله جارتنا الحاجة "مَنْسِيّة" أم عمر، وعلى ما أذكر أنها كانت منحنية القامة، بوجهها الطلق الجميل، والمزين بنقوش الوشم الجميلة التي تضفى جمالاً كان سائداً في مثل تلك الأيام الماضية، حيث لم يعد الوشم من الزينة المتداولة على نطاق شعبي واسع، إلاّ أن الوشم دخل حديثاً، وعلى نطاق معين من الحالة الإجتماعية الأرستقراطية، التي تتبنى تقليد الوافد من العادات الغريبة، عنا مهما كان غثاً أو سميناً، من باب التباهي، والتميز عن باقي فئات المجتمع. وكي لا أبتعد عن جوهر الموضوع الذي أنا بصدده، هو اسم جارتنا أم عمر الذي يعيدني لنسيان تلك الطفولة الحائرة والمعذبة، حيث أن النسيان هو أحد نعم الله عز و جل على الإنسان، كما أنه لا تغيب كثير من الحوادث عن ساحة الذاكرة مؤقتاً، لكي ترتاح من طغيان الهموم والأحزان على فكر وقلب أي إنسان، و لكن يستحضرها في وقت تغيب الأفراح والسرور عن ساحة الذاكرة، أي بمعنى إذا حلّ الحزن، تقلص الفرح.

وفي هذا المقام حضرني حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ:
"رُفِع عن أمتي الخطأ والنسيان و ما استكرهوا عليه".

أي أن الله لن يحاسب العبد على فعل قام به مجبراً دون إرادته، وكذلك ورد من أكل أو شرب ناسياً في رمضان فقط أطعمه الله وصيامه جائز على أساس أن يمسك بقية يومه عن شهوتي البطن والفرج.

و كما يقال: في الحياة فإنه لا سرور ولا حزن يدوم، فالإنسان يعيش ضمن دائرة العواطف وتقلبّاتها في جزئيّات وكليّات حياته اليوميّة، وقد وردت الآية الكريمة في آخر سورة البقرة: (لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)، البقرة٢٨٦، ومعنى ذلك كما يلي: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) أي ما تسعه قدرتها (لها ما كسبت) من الخير أي ثوابه (وعليها ما اكتسبت) من الشر أي وزره ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه ، قولوا (ربنا لا تؤاخذنا) بالعقاب (إن نسينا أو أخطأنا) تركنا الصواب لا عن عمد كما آخذت به من قبلنا وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة كما ورد في الحديث فسؤاله اعتراف بنعمة الله (ربنا ولا تحمل علينا إصرًا) أمرا يثقل علينا حمله (كما حملته على الذين من قبلنا) أي بني إسرائيل من قتل النفس في التوبة وإخراج ربع المال في الزكاة وقرض موضع النجاسة (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة) قوة (لنا به) من التكاليف والبلاء (واعف عنا) امح ذنوبنا (واغفر لنا وارحمنا) في الرحمة زيادة على المغفرة (أنت مولانا) سيدنا ومتولي أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) بإقامة الحجة والغلبة في قتالهم فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء ، وفي الحديث "لما نزلت هذا الآية فقرأها صلى الله عليه وسلم قيل له عقب كل كلمة قد فعلت(كما ورد في التفسير

الميسر)، وفي الرجوع لمادة نسي في اللغة كما وردت في المعجم المحيط، نَسِيَ فلان. وإنَه لَنَسِي: كَثِيرُ النِّسْيَانِ، ونَسٍ: كذلك. والنَسْيُ و النِّسْيُ: الشَيْءُ المَنْسِي. وسُميَ الإنسانُ اشْتِقاقاً من النِّسْيَانِ، وهو في الأصْلِ: إنْسِيَانٌ، ودَلِيْلُه قَوْلُهم: أنَاسِيُ. وامْرَأةٌ نَسِي: تَنْسى. وإنْسَان العَيْنِ: جَمْعُه أنَاسِيُّ. والمُنْسِي: الذي يَصِرُ خِلْفَيْنِ أو ثَلاثَةً. والنَّسَا: عِرْقٌ في الفَخِذَيْنِ يَسْتَمِرُّ إلى الرِجْلِ، وهُما نَسَيَانِ ونَسَوَانِ، والجَميعُ الأنْسَاءُ. وناقَةٌ نَسْيَاءُ وجَمَلٌ أنْسى: وهو الذي يَأْخُذُ في نَسَاهُ داء حَتّى يُقْطِعَ. و الأنْسَى: عِرْقٌ في الساقِ السُفْلى. ونَسَيْتُه: أصَبْتُ نَسَاه.

وهناك معنى آخر متفرع عن هذا الطرح: (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِئُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) - التوبة ٣٧ - (إنما النسيء) أي التأخير لحرمة شهر إلى آخره كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم إذا حل وهم في القتال إلى صفر (زيادة في الكفر) لكفرهم بحكم الله فيه (يُضل) بضم الياء وفتحها (به الذين كفروا يحلونه) أي النسيء (عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا) يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله (عدة) عدد (ما حرم الله) من الأشهر فلا يزيدوا على تحريم أربعة ولا ينقصوا ولا ينظروا إلى أعيانها (فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم) فظنوه حسناً (والله لا يهدي القوم الكافرين). وفضيلة النسيان تنسينا في كثيرة من الأحيان ظلم من ظلمونا، لتقدم الحالة الإنسانية رحمة بهم، والمسامح كريم.

قراءة في الأفكار

(١)

أنا أفكر إذن أنا موجود، ولكن ما أفكر به ليس هو على سوية واحدة من الأفكار تجاه القضايا المختلفة وما هو ارتباطي بها، بما لها من تأثير على خصوصية حياتي، و ما يتعلق بها من الطرق الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الدينية، وما يمكنني في تلك المقالة من رصد هذه الجوانب التي أرتبط بها من خلال تواجدي في هذا الكون والتي لا يمكن أن يخرج عن دائرتها أياً كان. فإذا أطلقنا الأحكام على تلك الأفكار ممكن أن نقول عن بعضها أنها أفكار حيّة، بما لها من قابلية على التعامل بها وتطبيقها في يسرٍ وسهولة، ويقابلها الأفكار الميتة التي أثبتت أنها غير ممكنة التطبيق، كما ان الأفكار الخالدة هي التي تستلهم روح الحياة فتبقى ببقائها، بينما الأفكار الاستهلاكية التي تأتي كوجبة خفيفة لمرحلة مؤقتة تستهلك فقط لحاجتها الوقتيّة. وإذا كانت الأفكار تعمل لما هو خير المجتمع ورفعته فتكون أفكاراً خيّرة، على خلاف تلك الشريرة التي تغرس الشر وتحرض عليه، وإذا كانت أفكاراً تستشرف رؤى المستقبل توصف بأنّها تقدمية، وإذا قابلتها الأفكار التي تريد أن تعود بنا

لجمود القرون التي خلت، فإنها تكون رجعية، لجمودها وعدم اتّساقها مع تقدم الحياة، فهي متكلسة غير قادرة على العطاء، وإذا جاءت الأفكار بالسلم الأهلي والاجتماعي فهي أفكار مسالمة نابذة للعنف، وتقابلها الأفكار العدوانية التي تستهدف زرع الخراب والدمار لتحقيق المصالح الشخصية على حساب الآخرين.أما الأفكار التي تقدم الجديد وتنبذ العنف والشر فتكون أفكاراً بنّاءة بينما التي تحض على الخراب والدمار في مختلف الجوانب فتكون هدّامة، لكن إذا وصفنا بعض الأفكار بأنها عملية فلأنها سهلة التطبيق بعيدة عن التكلف، ويقابلها العقيمة التي لا تأخذ بها لا حقاً ولا باطلاً، أما إذا مفكرونا يفكرون بالتخطيط للرقي ببلدنا فنقول: إنها أفكار وطنيّة ترتكز على حب الوطن، وصاحبها مستعدّ للتضحية من أجل وطنه بالغالي والرخيص، وإذا ما أتت من خارج الحدود فنصفها بأنها أفكار مستوردة لا تتطابق مع واقعنا بالكثير من جوانبها، ومن خطط ودرس في الجانب الاجتماعي نصف أفكاره بأنها اجتماعية، وإذا خططت ومشت في طريق السياسة فهي تعتبر أفكاراً سياسية. وإذا كانت تخطط في المجال الاقتصادي وتدرس نظرياته وخططه فهي أفكار اقتصادية، وإذا وضعت القوانين الناظمة لحركة المجتمع فتكون أفكاراً قانونية، وإذا جاءنا أحد المفكرين بفكرة قد أخذها أو سرقها من أي مصدر فنطلق عليها أفكاراً مقتبسة،وإذا كانت خلاف ذلك قد ابتكرها من فكرة فتكون مبتكرة، وإذا كانت تتثاءب غير قادرة على العطاء فتكون أفكاراً كسولة على خلاف تلك النشطة، أما إذا كانت الأفكار مشرقة نديّة خيّرة سهلة، فهي تكون جيدة أو إذا

كانت على غير ما وصفنا فتكون رديئة؛ لأنها سيئة ولا تقدم أي شيء وتستهلك الوقت والجهد، أما إذا كان هناك مفكرون لا يؤمنون بالوحدة بل تفكيرهم قد انحصر في إطار القطرية الضيقة التي لا تتطلع لما يقطن وراء الحدود مما تجمعنا بهم أخوة الدين واللغة والتاريخ والمصير فتكون تلك الأفكار قطرية، بينما إذا كانت تعالج لهموم الأمة وتتطلع لما وراء الحدود لتشمل كل مجتمعات الأمة فتكون أفكاراً قومية. ولكن ظهرت بعد فترة القرون الوسطى الأفكار الرأسمالية التي عملت على قيادة المجتمعات الأوربية باتجاه الثورة، وكان في الجانب الآخر الأفكار الاشتراكية التي عملت على تأميم المصانع والشركات لصالح العمال والفلاحين، ولكن الأفكار التي عملت على نشر الثقافة في ربوع مجتمعاتها فنطلق عليها لقب ثقافية على خلاف أفكار الجهل.

قراءة في الأفكار

(٢)

"أنا أفكر إذاً أنا موجود"، فالأفكار هي السر في حركة بناء الحضارة الإنسانية، وإذا كانت متداولة على نطاق شعبي ولها النصيب الكبير في قلوب الناس تعتبر أفكاراً شعبية، أما إذا كان يؤمن بتلك الأفكار مجموعة من المفكرين والمثقفين نطلق عليها أفكار النخبة، فإذا كانت تلك الأفكار تقدم الخير للجميع وليس لها غايات بعيدة أو قريبة فهي أفكار نظيفة وعلى نقيضتها تلك التي نطلق عليها وَسِخَه ، وإذا لم تنهض الفكرة بنفسها فهي ضعيفة، أما إذا أفصحت عن نفسها ووجدت لها مكاناً بين الأفكار الأخرى فتكون أفكاراً قوية، وإذا أمكننا تطبيق تلك الأفكار على أرض الواقع فتكون أفكاراً حقيقية، بينما إذا كانت غير ممكنة التطبيق أو خيالية جداً فهي وهمية، وإذا نطقت ألسنة الأطفال الجميلة بفكرة بسيطة وسهلة فهي أفكار الطفولة، أما إذا كانت أفكاراً مكرورة وقديمة، ولم تأت بالجديد فهي أفكار قد شاخت و نصفها بأفكار الشيخوخة، والأفكار البيضاء تتسم بالنصاعة والنقاء، أما إذا كانت خلاف ذلك فهي سوداء، أما إذا صادفتنا الأفكار العقيمة والتي تستعصي على الفهم وعلى التطبيق ولم تتطابق مع غيرها بقليل أو كثير في شيء وجافة،

لكنها إذا كانت تتوالد منها الأفكار وتفتح مساحات واسعة من الأفق وبُعْدِ النظر فهي الأفكار المُوَلّدة.

بينما الأفكار المضيئة هي التي تتلألأ لتفصح عن نفسها بيسر وسهولة، بينما الظلامية منها ما تنشأ في ظروف مشبوهة في غياب الوضوح والعلنية، وهناك الأفكار التي تنأى بنفسها عن الجدال و المراء والتعقيد وسهلة الفهم ويتسع صدرها لمحدثيها وتفهم منهم ويفهمون عليها فهي الأفكار الهادئة، بينما الصاخبة هي التي تكون كالطبل الأجوف ذات صوت عالٍ ومدوٍ وقليلة الخير فقط هي للإعلان عن نفسها لتكون في الصدارة مهما كلفها ذلك، ولكن الأفكار التي تكون ذات جوانب كثيرة وطرق عديدة توصل لبر الأمان فهي الأفكار المفصلة على خلاف تلك المجملة والتي غالباً ما يكتنفها الغموض، فإذا جاءت تلك الأفكار ضمن شروط مسبقة أو غير مسبقة فهي أفكار مقيدة في الغالب تضيق فيها مساحة الحوار والصوت الآخر على خلاف وصيفتها تلك التي تنطلق على سجيتها بدون عُقَدٍ وشروط فنسميها الأفكار المنطلقة وهي جميلة ومحببة لذوي المهارات والابتكارات والفنانين والمبدعين، ويجيء البعض بأفكار عادية لا ترقى للعمل على الإتيان بالجديد والمبهر، ويقابلها تلك الأفكار السوبر التي تخلق من الأجواء العادية، أجواء الإبداع والتطلع إلى الأفق المشرق وتزرع الأمل من جديد أو جنون الانطلاق، وهي قريبة لا يفصلها إلا خيط عن الأفكار المجنونة التي تنطلق على خلاف الواقع بدرجات كبيرة بينما إذا كانت تحتكم للعقل والمنطق فهي أفكار عقلانية أو معقولة.

وإذا كان المفكر يمشي على هدي ديني بإمكاننا أن نصف أفكاره بالدينية، ولكن إذا ابتعدت أفكاره عن الأديان وحاربت مبادئ الدين فهي أفكار علمانية، وهي تستقي من مرجعيتها البشرية، ولا تبتعد عن هذا الخط تلك الأفكار الإيمانية والملحدة إلا ببعض الشكل عن الدينية والعلمانية، أما إذا كانت الأفكار ذات ألق يبهر ناظريه فتكون أفكاراً نيّرة على خلاف تلك الخافتة والتي تقترب من السكون والموت، وهناك من يأتي بالحلول السريعة والعملية ومن كان ذو تفكير بطيء يستغرق الوقت الطويل، وهو يفكر دون اتخاذ قرار فتكون أفكاره بطيئة.

وننطلق هنا لمقام جديد وهو مقام الحوار الذي يستند إلى سماع الآخر بهدوء للوصول إلى نتائج مرضية، بعيداً عن التشنج وتورّم الأنا، والبحث عن سبل الارتقاء بالذات وبالأوطان إلى ما فيه الخير للجميع فهذه أفكار للحوار، وهناك بعضاً من الأفكار لتكون فقط للجدال و المراء والشقاق والنفاق فهي أفكارٌ فقط للشجار، وهي غالباً ما تعمل على شق الصف، و زرع الخراب والدمار والبلبلة في الصفوف، وهي تعمل على الهدم ولا تبني بل تهدم ما بُني، وتجيء بعض الأفكار بالجديد والخير والرؤية الشاملة للمستقبل وإضاءة الحاضر وبيان محاسنه ومساوئه، وتفصح عن نفسها بكل قوة وتحترم نفسها والآخر فهي أفكار فاعلة، ولكن إذا انطلقت الفكرة وانبثقت عن أفكار مبتعدة في تكوينها عن الواقع أو وقعت تحت تأثير الحدث فتكون أفكاراً منفعلة، وهي جاءت لظرف ما ولا تنطبق على آخر فهي منفعلة بغيرها، وما يثيره البعض من أفكار عليلة

ضعيفة لا تعبر إلا عن نفسها و ليس باستطاعتها معالجة أي شيء فتكون مريضة بينما وصيفتها التي تكون على خلاف ذلك. ومن جاء النصيحة لأخيه بأن همس بأذنه بعيداً عن التقريع والفضيحة ولوجه الله فنعتبرها أفكاراً هامسة فهي مليئة بالخير والحب، بينما من يعمل على خلاف تلك الهامسة فيكون صاخباً منطلقاً من أفكاره الصاخبة، والبعض يأتي بالأفكار التي تزرع المشاكل لمجتمعه وأمته من خراب ودمار وهي تكون وبالاً على الجميع، بينما من يأتي بالحلول الهادئة والخيرة لمعالجة المشاكل وفتح نافذة في الجدار فهي تكون كالدواء للمريض وتكون أفكار دواء .

وختام الأفكار، إن الخير والشر هما الميزان الذي توضع فيه كافة الأفكار، فإذا ما حققت العدالة الاجتماعية والرخاء والرفاهية فهي بناءة وخيرة، وإذا ما كانت سبباً في شقاء المجتمعات فهي غير ذلك، وهذا ما بزغ في ذهني من قراءة لموضوع الأفكار ..، وهناك متسع للباحث في هذا المجال أن يصنّف ويُركّب ويحلّل؛ لتجلية الأمر على أفضل وجه، وأحسن نتيجة.

الثورة أنثى الثور

أتابع بشغف اللقاءات التي تجريها بعض الفضائيات مع الشاعر سعيد عقل، بطريقة إلقائه المحببة والحُبلى بالأفكار الإقليمية، التي تتناقض بكثير عما تربينا عليه من الفكر العربي القومي، ذو الاتجاه الوحدوي، وما جمال رفع يده وهو يقرأ إلا شيئاً مثيراً أمام ثورة شَعْرِهِ المنفوش بطريقة تميزه عما رأيت منذ وعيت صورته، لا تغير ولا تبدل. ورأيته ثائرَ الرأس، إذا رأيتَ الرجل وقد اشْعانَّ شَعرُ رأسِه أي أصبح كالشُعنون. وثارَ الشَّعرُ: قامَ. وهُوَ ثائرُ الرَّأْسِ وفي الحديث [جاءه رجلٌ من أَهل نَجْدٍ ثائرَ الرأْس يسأَله عن الإِيمان] أَي منتشر شَعر الرأْس قائمَهُ، وبعد ذلك وعلى سبيل التندر كنت أقول لأحد الأصدقاء، تخيّل أن الثورة مؤنث الثور الحيوان، فنظر إليّ بشيء من الغرابة يشوبها شيء من السخرية، وضحكنا لمثل هذا التندر للتفسير الذي لم يكن يستند لديّ لأدنى معرفة بجذور تلك الكلمة في اللغة العربية، أثارتني تلك الفكرة مما جعلتني أعود لمعين اللغة النابض، ووجدت أن الثَور: الذكر من البقر، والأنثى ثَوْرَةٌ، والجمع ثِوَرَةٌ وثيرَةٌ وثيرانٌ، وثَيَرَةٌ أيضاً، والجمع ثِوَرَةٌ. (ثور) ثارَ الشيءُ ثَوْراً و ثُؤوراً وثَوَراناً وتَثَوَّرَ هاج. وثَوْرُ الشَّفَقِ: ما ثارَ منه. وإذا سقط ثَوْرُ الشفق فهو انتشار الشفق و ثَورانُهُ، ويقال مُعْظَمُهُ، وهو إيذانُ بالعتمة إذا خيّمت على الكون، وفي الحديث

[صلاة العشاء الآخرة إذا سَقَط ثَوْرُ الشَّفَقِ] وهو انتشار الشفق و ثَورانهُ حُمْرَته، فإذا غاب حَلَّتْ صلاة العشاء الآخرة، وقال في المغرب ما لم يَسْقُطْ ثَوْرُ الشَّفَقِ، وفي الحديث [ضُمُّوا نَواشِئَكم في ثَوْرةِ العِشَاءِ] أي صِبْيانَكم وأَحْداثَكُم النَّشْءُ أَحْداثُ الناس(أي حديثي السن)، يقال للواحد أَيضاً هو نَشْءُ سَوْءٍ للمفرد وهؤلاء نَشْءُ سَوْءٍ للجمع،. ويقال : ثَرْوَةٌ من رجال ثرْوَةٌ من مال بهذا المعنى وثورَةٌ من رجال وثَرْوةٌ يعني: عَدَدٌ كثيرٌ وثَرْوةٌ من مالٍ لا غير، ما أقرب المعنيين باقترابهما على أرض الواقع، فيما بين الثروات و الثورات، فبلاد الثروات قد أنشأت دولاً جديدة ومدناً جديدة، بجماليات نادرة، وجعلت بلادها من أجمل بلاد الدنيا، وجعلت الرفاه لشعوبها مضرب المثل في العالم أجمع بينما المقابل للثروات هي الثورات التي عملت في بعض دول العالم إلى تسلط قادة الثورات على شعوبها و اللعب بمقدرات بلادهم، وجعلوها مطيّة لنزواتهم و طيشهم ونزقهم، لبناء إمبراطوريات دكتاتورية يضرب المثل بظلمها، حيث ظلمت أوطانها وشعوبها، وجرّت الويلات وزرعت الخراب والدمار على كل الأصعدة، وبعودتنا للغة الأصيلة حتى استطعنا فهم عمق دلالة الثورة والثروة، وتتوارد تلك المعاني ثائرة من معاجمها، والجَمِيْعُ الأَثْوَارُ والثِّوَرَةُ. والثَوْرُ: قطعة من الأُقِطِ وهو اللبن الجامد المستحجر، وهو ما يطلق عليه في حوران (الكثي، الجميد) وهو من المونة الضرورية التي كانت تخزن لأوقات الشتاء وللمناسبات التي تحتاج لصنع الطعام، ويعتبر الأَقِطُ هو روح المنسف الحوراني رمز الكرم والضيافة، ولا يزال الجميد متداولاً على نطاق واسع، و الثور

بُرْجٌ من بُرُوْجِ السَّمَاءِ. و الثور كذلك هو السَّيِّدُ و به كُنِّيَ عَمْرُو بنُ مَعْدِي كَرِبَ أبا ثَوْرٍ. وهو أيضاً الرَّجُلُ البَلِيْدُ، و هو كذلك أكَمَةٌ بَيْضَاءُ. ومَصْدَرُ ثَارَ يَثُوْرُ ثَوْراً وثَوَرَاناً، وثارَ الدُّخَانُ والغُبَارُ والدَّمُ: إذا تَفَشَّى فيه وظَهَرَ.. وثارَ فَرِيْصُ رَقَبَتِه: إذا انْتَفَخَ من الغَضَبِ (جمعها فرائص) والبَقَرَةُ: الثَّوْرَةُ ويُقال للبَقَرَةِ: مُثِيْرَةٌ؛ لأنَّها تُثِيْرُ الأرْضَ تَقْلِبُها للزِّرَاعَةِ، وأَرض مَثْوَرَةٌ كثيرة الثَّيرانِ واسْتَثَرْتُ صَيْداً: أثَرْته. وأَثَرْتُ الأسَدَ والرَّجُلَ. و ثَاوَرْتُ فلاناً: أي ساوَرْته. وثور الماء العَرْمَضُ على وَجْهِ الماءِ و العَرْمَضُ: الطُّحلُبُ، وهو الأخضر الذي يخرج من أسفل الماء حتَّى يعلوه. أَرض مُثارَةٌ إذا أُثيرت بالسِّنِّ وهي الحديدة التي تحرث بها الأَرض (المحراث) وأَثارَ الأَرضَ قَلَبَها على الحَبِّ بعدما فُتحت مرّة وقال الله عز وجل [وأَثارُوا الأَرضَ] أَي حرثوها وزرعوها واستخرجوا منها بركاتها، و أَنْزال زَرْعِها وثَوَّرَ البَرْكَ واستثارها أَي أَزعجها وأَنهضها، وفي الحديث [فرأَيت الماء يَثُور من بين أَصابعه]، أَي يَنْبُعُ بقوّة وشدّة، وثارَتْ نَفْسُه: إذا جاشَتْ. و الثَّوّارَتَانِ: الخَرْقَانِ النّافِذَانِ في أوْسَاطِ الوَرِكَيْنِ. و الثَّوّارَةُ الخَوْرَانُ، و فلانٌ في ثُوّارِ شَرٍّ: وهو الكَثِيْرُ، وثارَ ثَوَّرُهم وثُوّارُهم وثَوْرُهم: أي ثارَ شَرُّهم. وكذلكَ ثَوِيْرُهم و ثائرُهم: إذا كَثُرُوا وزادُوا وضَخُمَ أمْرُهم. والثَّوْرَةُ: العَدَدُ الكَثِيْرُ. والثُّوّارُ: النّارُ. والثَّوْرُ البياض الذي في أَسفل ظُفْرِ الإنسان، وثَوْرٌ حيٌّ من تميم وبَنُو ثَورٍ بَطنٌ من الرَّبابِ وإليهم نسب سفيان الثَّوري، وثَوْر أَبو قبيلة من مُضَر، وهو ثور بن عَبْدِ مَناةَ بن أُدِّ بن طابِخَةَ بن إلياس بن مُضَر وهم رهط سفيان الثوري، وثَوْرٌ بناحية الحجاز جبل

قريب من مكة يسمى ثَوْرَ أَطْحَل غيره ثَوْرٌ جبل بمكة وفيه الغار نسب إِليه ثَوْرُ بنُ عبد مناة لأَنه نَزَلَهُ وفي الحديث [أنه حَرَّمَ ما بين عَيْرٍ إِلى ثَوْرٍ] هما جبلان أَما عير فجبل معروف بالمدينة وأَما ثوْر فالمعروف أَنه بمكة وفيه الغار الذي بات فيه سيدنا رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما هاجر، وهو المذكور في القرآن، وقيل إن عَيْراً جبل بمكة ويكون المراد أَنه حرم من المدينة قدر ما بين عير وثور من مكة أَو حرم المدينة تحريماً مثل تحريم ما بين عير وثور بمكة، ثارَ الغبار يَثورُ ثَوْراً وثَوَراناً، أي سطَع. وأَثارَهُ غيره. وثارَتْ بفلان الحَصْبَةُ. وثارَ به الناسُ، أي وثَبوا عليه. و المُثاوَرَةُ: المواثبةُ. يقال: انتظِرْ حتَّى تسكن هذه الثورةُ، وهي الهَيْجُ. وثَوَّرَ فلانٌ عليهم الشرَّ، أي هيَّجه وأظهره. وثوّر القرآنَ، أي بحث عَنْ علمه. وفي حديث عبدالله [أَثِيرُوا القرآن فإِن فيه خبر الأَولين والآخرين]، وفي رواية علم [الأَوَّلين والآخرين]، وفي حديث آخر [من أَراد العلم فلْيُثَوِّر القرآن] قال شمر: " تَثْوِيرُ القرآن قراءته و مفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه". وقيل : "لِيُنَقِّرْ عنه ويُفَكِّرْ في معانيه وتفسيره وقراءته". وقول سيدنا علي كرم الله وجهه [إِنما أُكِلْتُ يومَ أُكِلَ الثَّوْرُ الأَبْيَضُ] عنى به عثمان رضي الله عنه لأَنه كان سَيِّداً وجعله أَبيض لأَنه كان أَشيب وقد يجوز أَن يعني به الشهرة يستعار للإِنسان، وثوّرَ البَرْكَ(الإبل الباركة) واستَثارها أي أزعجها وأنهضها. وثارت نفسُه، أي جشأت. وثار ثائِرُهُ، أي هاج غضبُه. وثَورُ الغَضَب حِدَّته والثَّائر الغضبان، ويقال للغضبان أَهْيَجَ ما يكونُ قد ثار ثائِرُه، وثار الدُّخَانُ والغُبار وغيرهما، يَثُور ثَوْراً و

ثُوراً وثَوراناً ظهر وسطع وثارَ القَطَا من مَجْثَمِه وثارَ الجَرادُ ثَوْراً وانْثار ظَهَرَ والثَّوْرُ ثَوَرَانُ الحَصْبَةِ وثارَتِ الحَصْبَةُ ويقال ثَوَّرْتُ كُدُورَةَ الماء فَثارَ وأَثَرْتُ السَّبُعَ والصَّيْدَ إذا هِجْتَه وأَثَرْتُ فلاناً إذا هَيَّجْتَهُ لأَمر واسْتَثَرْتُ الصَّيْدَ إذا أَثَرْتَهُ أَيضاً وثَوَّرْتُ الأَمر بَحَثْتُه، وأَثَرْتُ البعير أُثيرُه إِثارةً فَثارَ يَثُورُ وتَثَوَّرَ تَثَوُّراً إذا كان باركاً وبعثه فانبعث وأَثارَ الترابَ بقوائمهِ إِثارَةً بَحَثه، تُثِيرُ الأَرضَ وقال الله تعالى في صفة بقرة بني إسرائيل [تثير الأَرض ولا تسقي الحرث]، وبهذا تكون الثورة أنثى الثور وهي من الهياج والتهييج بالغضب وقد كانت اسماً لبعض الأشخاص، وقد أشير بها إلى الوقت كثور العشاء وثورة الشفق، وكذلك للعمل بحراثة و زراعة الأرض، وهي التنمية الحقيقة للمجتمعات بما يكون فيه الخير للجميع. وثورة الشك قصيدة الشاعر الأمير عبدالله الفيصل، تلك الرائعة التي ما ملّ من سماعها من أحب صوت أم كلثوم كوكب الشرق.

الطُرطور ..

الطُرطور: بضم الطاء، قلنسوة للأعراب طويلة دقيقة الرأس، هذا المعنى القاموسي لها، أما استخدام الناس لها في الحياة اليومية، يستدلون بها على الشخص التافه، وكما يبدو أن هذه القلنسوة في أساسها وافدة على العرب من الأمم المجاورة كالفرس. فقد كان يلبسها المغفلون والحمقى، وأصبحت صفة لازمة لهم مقابل العمائم العربية، وهكذا خلدت في ذهن الناس أنها من الأشياء التافهة وبالتالي صفة القلنسوة أصبحت بداية صفة لمن يلبسها ومن ثم ذهبت القلنسوة وبقيت الصفة ملازمة للشخص الذي يراد وصفه بالطرطور أي التافه الذي يعني شيئاً لواصفه، ومن هنا فقد درج في فترة حرب الخليج الثانية هذا المصطلح على لسان الوزير العراقي محمد سعيد الصحاف في تصريحاته عن الجنود الأمريكيين بوصفهم بالطراطير. والحاجة المخلعة يقال لها مطرطرة، والسيارة التعبانة من القدم وكثرة الخدمة ويصدر من حركتها أصوات غير عادية، يقال لها سيارة مطرطرة أي أنها لا تصلح للخدمة، حتى اللبن الحامض من الحرارة تظهر فقاعات على وجهه يقولون عنه مطرطر. يبدو من كون تخصيص هذا النوع من أغطية الرأس

للمغفلين أنَّ الرسومات التي كنا نراها للشهير (جحا) كانت تزيِّن رأسه بهذا الشكل من الأغطية . ثم إنَّ إخوتنا المصريين يسمون هذا الشكل من الأغطية، و الذي درج استخدامه في حفلات الأطفال باسم طَرطور - بفتح الطاء - أعتقد من كلمة طرطور ولدت كلمة طرطيرة .. التي تزكم الأنوف بدخانها .. وتزعج الناس بصوتها ..رغم هذه المساوىء .. فهي عملية جدا بالنسبة للأرياف .. خصوصا الأنواع غير المكشوفة منها الطرطيرة من الأشياء المطرطرة، وهي في صنف الطراطير من الأشياء التافهة كذلك ذكرني أحد الأخوة بصلصة الطرطور (الطحينة+ الحامض+ اللبن+ الملح)، ويسألني عن تسميتها، فقلت: وبالله استعين، يبدو من اسمها أن من أكلها هو أحد الطراطير، و نسبت إليه هذا بالضبط ما يدعونه بالعراق بالنسبة للدف .. عندما يرتخي الجلد فيه.. وأيضا يعرضونه للتسخين على الشمعة أو نار فحم زاوية دلال القهوة في الديوان أو المنقلة.. كنت أشاهد هذا في الديوان عندما يأتي المداحون مع دف وفحم، لعمل أمسيات مدح للنبي - صلى الله عليه وسلم - .. حيث يدفئون الدفوف على حرارة جمر دلال القهوة .. كما يسمى الدعي (وهو الشقي المستهتر الذي يدعي القوة كذبا) طرطور حينما يكسر شوكته رجل آخر، وفي العراق يُقال للسّفيه والجبان وغير المؤدب: طـرطـور .. والذي يخاف السير في الليل وخصوصا في الأماكن النائية كالصحراء والأرياف .. يسمى طـرطـور وفي مكائن الديزل لسحب الماء من شاطئ النهر ونقله إلى الساقية .. لها خرطوم .. فيه جزء يسمى طـرطـور، وقد يكون هناك أشياء كثيرة

أخرى تحت نفس المسمى لكن لا تخطر على البال حاليا.. نستخدم كلمة طرطور للإشارة للشخص الذي لا يملك أية سلطة: أي لا يحل ولا يربط، تستخدم كلمة طرطور للشخص ضعيف الشخصية والذي ليس له رأي، ومحكوم من قبل الآخرين (روح روح .. تعال تعال)، هنا يقصد بكلمة روح أي اذهب.

الأماكن ..

أول الصرخات الثلاث تكون في أول مكان عند فض الظلمات، ولكل منا صرخته ومكانه، وهذه الصرخة هي التشكل علاقتنا الوثيقة بالمكان.

قال امرؤ القيس:

قِفا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزِل = بسقط اللِّوى بينَ الدخولِ فَحَوْمَلِ

هذا البيت من الشعر هو افتتاحية معلّقة امرئ القيس، وهو أول من وقف واستوقف وبكى واستبكى، ومن عادة العرب في بداية قصائدهم الوقوف على الأطلال، أما موقعي الدّخول و حوْمل هما جبلان صغيران لا تزل آثارهما باقية إلى الآن هناك في الجزيرة العربية.

فمهما ارتحلنا تبقى الأماكن التي ألفناها سابقاً، تحتل زاوية من أنفسنا، نشتاق إليها فنتخيّل صورتها التي نستحضرها من سجل الذاكرة، ومن ذلك ما قاله الشاعر:

كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى = وحنينه أبداً لأوّل منزل

فالأول له علاقة متداخلة في وجداننا المنزل الأول والحبيب الأول، وكما قيل في الأمثال: (مسقط الرأس غالي) أي المكان الذي ولد فيه الإنسان، وما ميسون بنت بَحْدَلْ، تلك المرأة الأعرابية التي تزوّجتْ أحد الأمراء الأمويين، وهي ترفل في نعيم القصور، ولكنها في لحظة وقفت فيها مع نفسها، وأصابها الحنين لبيئتها الأساسية ، وأنشدت تقول:

لَبَيْتٌ تخفُقُ الأرياحُ فيه = أحبَّ إليّ من قصر مُنيف

وبذلك كون الأماكن تسكن دواخلنا فهي مرتحلة معنا، لا يمكن أن تغادرنا، وإن نحن غادرناها، نغادرها ولا تغادرنا، تلحّ علينا بالعودة إليها إن نحن ابتعدنا عنها .

ومما يلفت الانتباه هو مجتمع النّوَرْ(الغَجَرْ)، أنه منغلق على نفسه، بخصوصية يشوبها الغموض في الكثير من جوانبها، كالاعتقادات والعادات والتقاليد، وكثير من جوانب حياتهم، مما قد نسج حولهم الكثير من التكهنات والتفسيرات التي ربما لا تستند إلى أساس متين، مثلاً يرتحلون في قائظة النهار عند الهجير وتتعالى أصواتهم و قرقعتهم التي تتعدى أماكنهم على أطراف القرى إلى أماكن بعيدة، والرجل يركب والمرأة تمشي مهما طال السفر، وتقضي كل حياتها تمشي على رجليها، وهم ينصبون خيامهم إلى جوار الطريق لأنهم راحلون لا محالة، مغادرون من مكانهم إلى مكان آخر، مهما أحبّوا مكانهم الجديد، وهم لا يتزوّجون من غيرهم ولا يُزوّجون لغير ملّتهم، كيلا يرتبطوا ويضطرون للعودة من أجل رؤية أولادهم

مستقبلاً حينما يشتد بهم الحنين، كذلك لا يزرعون شجرة أو يربّوا دابة سوى الحمير لخدمتهم و الكلاب لحراستهم؛ لأن الشجرة والدابة تشُدّان بني آدم إليهما، حياتهم لا تسمح بذلك، فهم دائمي الارتحال وكل البلاد والأماكن لهم مفتوحة دون قيد أو شرط.

فالأماكن تحرق أشواقنا إليها، فهي مسقط الرأس و مدارج وملاعب الصبا، وفيها تُخْتَزنُ الذكريات بِحُلوِها و مُرّها، و بذلك تجعلنا نحثّ رواحلنا من أقاصي الدنيا، حتى ننيخها برحابها ونقول: (سقى الله أيام زمان).

أمنية الإسكندر ..

أحببته واتّخذته صديقاً، في كلّ مرة ألتقيه أدعو له بالصحة والعافية، و أشدّ ما جعلني أتوجّه إليه بهذه المشاعر الفيّاضة والمحبة، دأبه ومثابرته وسعة إطلاعه، وهذا الفيلسوف الذي بَنَيْتُ له في مُخيّلتي صورة كصورة المعرّي أو إيبكتيتوس أو ديوجين، وكثيراً ما فاقت سيرة الفيلسوف منهم أسمى النظريات التي صاغها و أجمل الآراء التي وضعها .

فأبو العلاء المعرّي طبّق أفكاره في سيرته بأحسن مما ضمّنها في لزومياته وقبله كان سقراط الذي تجرّع السمّ راضياً، ورفض أن يهرب من حكم القانون حتى ولو كان القانون جائراً.

أما (إيبكتيتوس) الفيلسوف العبد، فقد لخّص كل الفلسفة الرواقيّة في حكايته مع سيّده الغاشم (إيبافروديت) فقد وضع ذلك السيّد ساق عبده (إيبكتيتوس) في آلة للتعذيب محاولاً أن ينتزع منه صرخة استرحام، ولكن الفيلسوف تحمّل الألم برزانة وهدوء، وهو يقول لسيّده: إنّك ستكسرها، ولما انكسرت ساق (إيبكتيتوس)، كان كل ما قاله (لإيبافروديت) لقد قلتُ لك هذا.

و لكن (ديوجين) كان بيته عبارة عن برميل فارغ، وأثاثه كان رداءه الذي يلبسه في النهار ويلتحف به في الليل، وكان يحمل مصباحه في

وضح النهار، فإذا سأله سائل عن ذلك كان يقول: إني أبحث عن رجل، وكانت آنِيَةَ بيته الوحيدة كأس يشرب بها الماء.

وذات مرة رأى صبياً يشرب الماء من النبع في حفنة كفّه، فألقى الكأس بعيداً، وقال: لقد تعلمتُ من هذا الصبي أني لا زلت أحتفظ بما لا يلزمني.

حُبّي لصديقي جعلني أتمنى أن يكون فيلسوفاً حقيقياً مختلفاً عن الكثير بينما فلاسفة اليوم موظفون بِيَاقَاتٍ بيضاء وربطات عنق حريرية، يتحدثون: في خلود الروح والمُثُل العليا، بينما هم متعلقون بترف العيش والملذات الدنيوية، إنّهم كرجال السياسة الذين يُلقون التصريحات في التقشّف وهم منغمسون في الطيّبات، والأُبّهة بل كثيراً منهم أي من فلاسفة اليوم أعني: قد اتّخذ الفلسفة معبراً إلى السياسة ثم إلى الحكم بنزواته ومفاسده ومهالكه.

والنموذج الراقي الذي أرتضيه لنفسي وأصدقائي بشكل عام هو نموذج ديوجين الذي كان ابن الشعب البسيط ، الحُرّ لهذا كان كل ما يطلبه هو أن يتنفس الهواء طلقاً، ويتمتع بضوء الشمس ودفئها، ولكنه مثل أبناء الشعب كان يجد دون الهواء الطلق ودون الشمس سدوداً يقيمها الحكّام والأباطرة من أمثال الإسكندر، وقد حفظت الأجيال كلمة (لديوجين) قالها لذلك الغازي الكبير، لأنها الكلمة التي يُسَرّ كلّ فرد أن يقولها لِمَن يتولوْن أمره إذا كانوا بحجة هذا التولّي يكتمون أنفاسه ويحرمونه هواء الحرية ونور المعرفة، تلك الكلمة قالها (ديوجين) حين وقف الإسكندر على رأسه في (كورنثيا)، في

صباح يوم بارد و سأله: هل لك رغبة فأحققها يا ديوجين؟ فتطلّع الفيلسوف إلى الإسكندر الذي وقف بينه وبين الشمس ، فحجب عنه ضوءها وحرارتها، وقال بكلّ بساطة: نعم، رغبتي هي أن تبتعد عن شمسي.

بالمقابل قال الإسكندر مرةً: لو لم أكنْ الإسكندر، لوددت أن أكون ديوجين، والحق أنني وددت أن أكون مرآةً تعكس أصدقائي، وأرى صورتي بمرآة وجوه أصدقائي، وأنا الكتاب الأبيض الذي يُقرأ بسهولة، و بأي طريقة تُعجب القارئ، وآخر أمنية أتمناها أن تكون كأمنية الإسكندر.

درب الجهير .. درب الحب

يقال: "بأن مصر هي هبة النيل:، وأقول: "بأن بصرى هي هبة الجهير"، هذا النبع الجوفي المتموضع عند الخاصرة الشمالية الغربية للمدينة قديماً. وقد كانت تنهل منه، إضافة ما حولها من القرى والعربان التي تفد لري ماشيتها، وإذا أردت أن تصل لمياه الجهير، فلا بد لك أن تنزل ما يقرب العشرين درجة، تفيض الحياة في الجهير في الربيع بعد ذوبان الثلوج على جبل العرب، وتفيض معه العيون التي تقرب منه، لأنها مثل الجهير منطقتها أخفض المناطق في بصرى. ويبقى النبع يفيض حياة وحباً، لكنه في منتصف الصيف وأواخره تقل مياهه النابعة، حتى كان يضطر الكثير من النساء للدخول إلى المغارة التي تمتد عدة أمتار في جوف صخري تحت الأرض لملء تنكات الماء (سطل) والنساء كان يطلق عليهن (ملاّيات)، أي يملأن الماء للبيوت على رؤوسهن أو بواسطة الحمير. وذلك العمل يبدأ من الصباح الباكر عند طلوع الشمس عدة نقلات، وفي المساء (طبعاً، هذا قبل دخول صنابير المياه للبيوت) كذلك دورة أخرى من جلب المياه، وهنا يكون الشباب قد أنهوا أعمالهم ولبسوا أحلى الثياب عندهم ورشّوا على أنفسهم كالونياء (ريف دور- أو - درال أم البنت) وتزينوا، ويخرجون زرافات ووحدانا، ومنهم من يكون يبحث عن عروس، ومنهم من يذهب ليرى ويغازل من يحبها، بالطبع يكون اللقاء مع الزحمة، بالعيون و

بالإشارات أو بطرف العيون، أو بالابتسامات، بالطبع يحدث كثيراً من المضايقات للنساء من بعض الشباب، مما يستدعي حالات من المشاجرات، وذلك انتصاراً للأعراض وصونها، وأحيأنا أخرى من المتنافسين على حب فتاة صبوحة، وكان درب الجهير هو المتنفس الوحيد في بصرى، حيث لم يكن هناك الحدائق أو أماكن للنزهات، و كل الناس يعملون بالفلاحة والزراعة، وإمكانيات الناس متقاربة في طريقة معاشهم اليومي، وفي المأكل والملبس، حتى يروى أن هناك ثلاثة شبان في عائلة واحدة، وليس عندهم ملابس خاصة للطلعة، إلا قميص وبنطلون (طقم واحد فقط) يتداورون على لبس البنطلون والقميص كل واحد ساعة يخرج إلى طريق الجهير مشوار ويعود للبيت، ويخلعهم ليلبسها الأخ الثاني وهكذا .. تلك أيام عاشها الآباء والأجداد بصعوبتها، وانتزاع لقمة الخبز بالقوة والجهد والتعب والكد، وامتزجت مياه الجهير بقلوبهم بتربة بصرى الحمراء التي رووها بدمائهم وأرواحهم دفاعاً عن حياضها.

ولكن اليوم تغيرت الحال لرغد العيش وهناءته ، حيث لم يعد هناك فرق يذكر بين ابن الريف الفلاح، وابن المدينة التاجر والموظف، وما عدت ترى في الريف إلا مظاهر المدينة وبريقها .. وأسمع أمي عندما تتذكر أيام الماضي فتقول: (سقى الله تلك الأيام).

الرشد و الإرشاد

توقّفت طويلاً أمام كلمة الرشد ومنها الرشاد، والتي هي الحق والعدل و هي على نقيض الغيّ والضلال. وأعتقد جازماً أن الخلفاء الراشدين الأربعة (أبو بكر وعمر وعثمان و علي)، رضي الله عنهم جميعاً، الذين خلفوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد وفاته، قد أطلقت عليهم صفة الرشد، لأنهم ساروا على نهج القرآن وسنّة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أرشدهم الله لطريقه القويم الذي يعدّ نبراساً يحتذي وهو الحالة المُثلى من العدل والمساواة.

وأذكر في صغري مقهى أبي راشد في مدينتي بصرى الشام، والذي يعد من أوائل المقاهي التي افتتحت في القرية آنذاك، وكانت من الأشياء المستهجنة لدى الفلاحين، الذين لا يحبون ولا يلتفتون لمثل تلك الأماكن، حيث أن المضافات هي المسيطرة على حياة الريف ولا تزال، وينظرون بازدراء إلى من يجلسون في تلك المقاهي على اعتبار أنهم (عواطليّة) لا يحبون العمل، ويميلون للنوم و الكسل.

ومن كلمة الرشد والتي هي في الأساس صفة فيها الكثير من الكمال في عقول الناس، وقد اتخذوا واستنبطوا منها الأسماء، فهذا العالم الأندلسي ابن رشد الذي ملأ الدنيا علماً، وهناك راشد، ورشاد، ورشدي، ورشيد، ومرشد، ورشدان، حتى النساء نِلْن منها شرف التسمية (رشيده و رِشدَه).

لكن المرشد أصلاً هو الدليل للطريق أو الحاجة أو البحث، وقد تطور المعنى ليصبح المرشد أي المخبر السرّي الذي يتجسس على أبناء مجتمعه، وهذه الطائفة مؤذية للآخرين، و تتصف بالقماءة ودناءة الأخلاق والتملق والكذب، وينالون كره الناس على شنيع أفعالهم، و يدارونهم خوفاً من أذاهم ومن أقلامهم المسمومة. و ما بين الرشد والرشاد زمان، فالرشد يكون صفة ترافق من هم فوق سن الطفولة والمراهقة ويعنى به كل من ليس به مرض أو عاهة عقلية تمنعه من التصرف السليم، والرشاد هو مضمون واجتهاد وخبرة حياة وثقافة والتماس معارف ليكون الإنسان مستنيراً راشداً بكل مقومات الحياة. والرشاد غير الإرشاد لأن الأخيرة تعني التوجيه من عالم أو مثقف أو مسؤول أو نظام إلى الآخرين لينقل إليهم ما يعرفه بُغْيَة توجيههم إلى ما يرى صحته، وهو ما نتبيّنه فيما قلته عن المرشد الروحي أي القدوة.

وفي أوقات الأزمات تطلب الحكومات من مواطنيها ترشيد الاستهلاك في الماء والكهرباء والمجالات الأخرى، وظهرت جمعيات حماية المستهلك، لإرشادهم من الوقوع في براثن

الاستغلال، ويقولون في المثل الشعبي: (بدها تدبير، و لو كنت على خرزة البير).

وفي مصر الناصرية ظهرت وزارة الإرشاد القومي، وكذلك في السعودية ظهرت هيئة الوعظ و الإرشاد الديني. أما في صغري كنت أرى عقود الليرات الذهبية تتلألأ على أعناق، وصدور بعض النساء، وكانوا يسمون تلك الليرات بالرشاديّة، نسبة للسلطان العثماني محمد رشاد.

و في الربيع فقد يطيب لنا المذاق الحاد لنبات الرشاد الذي نلتقطه من بين الصخور على حوّاف وادي الزيدي(١)، ويقال أن له الكثير من الفوائد الطبية.

وينسب حجر الرشيد إلى قرية الرشيد، حيث عثر عليه عام ١٧٩٩، فهو يحمل مرسوماً لبطليموس الخامس كتب باليونانية والهيروغليفية. وقام العالم الفرنسي جان فرنسوا شامبليون بفك رموز اللغة الهيروغليفية عبر مقارنة النص اليوناني بالنص الهيروغليفي، وهذا النص يحكي عن حياة المصريين القدماء.

وفي العام (١٩٢٢م) زحفت قوات الأمير عبد العزيز آل سعود على إمارة بني رشيد في منطقة حايل، وكان أميرها عبيد الرشيد، وبعد حروب ومعارك طاحنة سقطت إمارة بني رشيد، وأصبحت في ذمة التاريخ، وأفل نجم ودور أسرة أل رشيد، لصالح أسرة آل سعود التي أسست المملكة العربية السعودية، وفي تراثنا الحوراني

بعض الأهازيج التي تخص عبيد الرشيد، ومنها (يا سيف سلِّمْ لي على عبيد الرشيد).

وفي الآونة الأخيرة ظهر مصطلح سياسي موشىً بصبغة دينية ذات صبغة روحية، وهو(المرشد الروحي- والمرشد الأعلى)، وكذلك أضيفت وظيفة المرشد النفسي في وزارة التربية، وفقاً لأساليب التربية الحديثة، وأصبح خريجي طلبة الفلسفة وعلم النفس يقومون بهذه الوظيفة الجديدة، فيؤدون النصيحة والتوجيه لمن يلزمهم ذلك من طلبة المدارس.

من خلال تجوالنا في أروقة اللغة العربية الجميلة، فقد تذوقنا حلاوة معانيها والعديد من تطبيقاتها في حياتنا العامة، فلنحافظ عليها لأنها أحد مقومات وجودنا كأمة.

---

*- وادي الزيدي : يقع شمال بصرى الشام بحوالي خمسة كيلومترات، في بلدة جمّرين، وينبع من جبل حوران ويصب في وادي اليرموك.

الأجهزة ..

لمّا أراد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إرسال جيش العسرة إلى تبوك طلب من أثرياء المسلمين تجهيز هذا الجيش بسبب شدة الحر وشدة الجدب في ذلك العام، و كان النصيب الأكبر من التجهيز للصحابي الجليل عثمان بن عفّان رضي الله عنه. كما أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (من جهّز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خَلَفَ غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا).

وقد نهت الشريعة الإسلامية وكل الأديان السماوية، حتى العهود والمواثيق في أروقة المحافل الدولية الحديثة، عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال في الحروب أو الإجهاز على الجرحى من جيش العدو.

أمّا جهاز العروس فهو عبارة عن مجموعة الأغراض والأشياء والملابس التي تكون قد هيأتها لبيت الزوجية، يأخذونه قبيل ذهابها لبيت زوجها.

هذا وقد استخدمت الكلمة في عدّة مجالات اصطلاحية، لأسباب أهمها وهو التوسع في كافة مجالات الحياة، فالقدماء لم يعرفوا

الأجهزة الكهربائية أو الإلكترونية على مختلف أنواعها، ولو قلت لهم: شيئاً من هذا القبيل، لظنوا بك شراً وفي سلامة عقلك وتفكيرك.

وقيام الدول القوية استتبع إنشاء أجهزة للإدارات المختلفة، فكانت الأجهزة الرقابية التي تراقب أداء إدارات الدولة وموظفيها، وتضع يدها على التقصير والمخالفات والاختلاسات، وتحيلها بموجب تقارير إلى الأجهزة القضائية التي تقضي بالعقوبة المناسبة لمثل تلك الجرائم، وهذه الأجهزة الرقابية فإن سلطتها لا يستطيع أيّ مُوظّف مهما علا أن يقف في وجهها.

بينما الأجهزة الأمنيّة تقوم بمهماتها في الداخل كجهاز الأمن الداخليّ، أما خارج الحدود فهناك جهاز الأمن الخارجيّ، بينما جهاز الإستخبارات العسكريّة المُتخصّص بشؤون الجيوش، ومراقبة الحدود، و التنصُّت على العدو، و التجسُّس على الوحدات العسكريّة المعادية.

وفي معظم أجهزة الدول المدنيّة منها والعسكريّة، هناك مفهوم الجاهزيّة الذي يعني التهيئة للطوارئ، وهي برامج الصيانّة الدورية للمعدات، و كذلك التدريب المستمرّ للطواقم المُعَوّل عليها الدعم (اللّوجيستي).

كذلك كلمة جهاز راحت تطلق على مجموعة الموظفين في الدوائر الحكومية، أما اتساع المدن بشكل كبير في العصر الحديث، فقد ظهرت على أطرافها ضواحي المساكن الجاهزة و المسبقة الصنع.

وانتشرت في تلك المدن المطاعم السريعة التي تبيع الأطعمة الجاهزة، حتى أن الألبسة الجاهزة صارت هي المفضلة لدى معظم الناس وذلك لسهولة تداولها وتشكيلاتها وموديلاتها التي ترضي جميع الأذواق، وكذلك أزاحت همّاً كبيراً من طول الانتظار لدى الخياطين .

ومن أراد الخروج للعمل أو السفر أو زيارة الأهل والأصدقاء يتجهز بجميل لباسه وتمشيط شعره ورشّ عطره المفضل.

كما أن الأطفال قبيل دخولهم المدرسة يدخلون الروضة تجهيزاً وتحضيراً للصف الأول، أما مدرسة التجهيز الأولى للبنين فقد أقيمت سنة ١٩٣٣م على تخوم شارع الملك فؤاد في دمشق مدرسة التجهيز الأولى للبنين، وقد سميت بالتجهيز؛ لأنه أقيم فيها أول معرض صناعي و تجاري في مدينة دمشق، ولعل هذا المعرض كان نواة لمعرض دمشق الدولي فيما بعد ولذلك كانت تسمى: المعرض .. أو تجهيز المعرض، و بقي هذا الاسم ملازماً لها حتى حملت اسم ثانوية جودة الهاشمي، وقد تخرج فيها الكثير من رجالات العلم والحكم في سوريا.

هذه وقفة قصيرة وإطلالة على جذر كلمة، حاولت من خلالها تسليط الضوء على استخدامات الكلمة لغة واصطلاحاً، مما يبين عظمة لغتنا.

شقائق النعمان..

تعتبر مسرحية "شقائق النعمان" التي كتبها الشاعر محمد الماغوط وهي آخر مسرحية قام ببطولتها الفنّان دريد لحام، وأعلن اعتزاله ولكنه عاد للتمثيل في مسلسله عودة غوّار، وأبو الهنا اللذيْن لم يحظيا بالنجاح المتوقع لهما جماهيرياً.

وشقائق النعمان هي الورود الحمراء الجميلة، وقد أضيف لها اسم النعمان؛ لأن الملك النعمان بن المنذر كان قد حمى أرضاً فكثرت ونَمَتْ فيها هذه الورود فاقترنت باسمه، وشقائق النعمان واحد و جمعه سواء.

ولمّا وُلِّيَ الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق كانت أول خطبة له في مسجد الكوفة الجامع، ومنها قوله: **"يا أهل العراق، يا أهل النفاق والشقاق و مساوئ الأخلاق"**، وهددهم بأن يسمعوا ويطيعوا، أو أنه سيجعل من الدماء بِرَكاً تغوص به العمائم واللحى، وكان من أمره الشدة والقسوة .

وفي جلسة قراءة تأملية طالت في كتاب نهج البلاغة، الذي كتبه و جمعه الشريف الرضي، وهو منسوب لأمير المؤمنين سيدنا علي بن

أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ وتوقفت عند الخطبة الشقشقية والتي تشتمل على الشكوى من أمر الخلافة، ثم ترجيح صبره عنها، ثم مبايعة الناس له.

وفي تسميتها بهذا الاسم ، قال الفيروز أبادي في القاموس المحيط عند تفسيرها : الشقشقة بالكسر شيء كالريح يخرجه البعير من فيه إذا هاج، والخطبة الشقشقية العلويّه لقوله لابن عباس: لو اطردتْ مقالتك من حيث أفضيت يا ابن عباس ، هيهات ، تلك شقشقة هدرت ثم قرّتْ.

وفي مالطة العام ١٩٩٥م قامت قوات الموساد الإسرائيلية، باغتيال المناضل الفلسطيني فتحي الشقاقي مؤسس حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية، واعتبروا اغتياله نصراً، وقد اغتالوا قبله الكثير من القادة الفلسطينيين، ولكن ذلك لم يثن الفلسطينيين عن متابعة السير في طريق النضال ومقاومة الاحتلال.

كما أن (الشُقاق) مرضٌ يصيب الدواب بأرساغها وربما ارتفع إلى الأعلى و(الشُقوق) كثيراً ما تصيب أيدي وأرجل العمال والفلاحين والكادحين و غيرهم. و هم يكسبون لقمة عيشهم بالكد والتعب. وكذلك تصيب الشقوق الأرض إذا يبست و جفّتْ، وجدران البيوت إذا تقادم عليها الزمن. أما الوجع الذي يصيب نصف الرأس ونصف الوجه فيطلق عليه اسم (الشقيقة).والشقيق هو الأخ من الأب والأم ومثله الأخت الشقيقة.

ومن شق عصا الطاعة على إمامه فهو من خرج عن طاعته و أصبح في الصف المغاير لذلك، وكثيراً ما يقوم الإمام بملاحقة مثل هؤلاء واعتبارهم مناوئين وخارجين على القانون.

وقد ورد في الحديث عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله: " النساء شقائق الرجال" وهو حديث صحيح، والمعنى ـ والله أعلم ـ أنهن مثيلات الرجال إلاّ ما استثناه الشارع، كالإرث والشهادة وغيرهما مما جاءت به الأدلة.أما قول طرفة بن العبد:

فإن مت فانعيني بما أنا أهله ـ وشقي علي الجيب يا ا بنة معبد

وهذه الحالة من شق الجيب في حالة فقد أب أو أخ أو زوج، تلجأ بعض النساء لفعل ذلك من شدة الحزن والجزع، وهذه العادة من عادات الجاهلية التي نهت عنها الشريعة الإسلامية على اعتبار أنها من عادات الجاهلية، والشاهد من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم :"ليس منّا من شقّ الجيوب، ولطم الخدود، ودعا بدعوة الجاهلية".

والشِّق بالكسر نصف الشيء، والناحية من الجبل كذلك. والشق من الجسم الجانب الأيمن أو اليسر، والشق من بيت الشَّعْر(خيمة البدو) الجانب والقسم منه المخصص للنساء أو للضيوف، ومن حصلت له المشقة في أمر ما، فعليه أن يجالد ويصبر حتى يتخطاها، والشُّقة من الثياب والشُّقة أيضا السفر البعيد، واشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه، ويشقشق العصفور بصوته إذا شدا وزقزق.

وقد استحدثت اصطلاحات جديدة استعمالاً لكلمة (شق)، فقد تلجأ الدول والحكومات والشركات إلى شق الطرق والجسور والأنفاق والسكك والحديدية.

وأصبحت الشقق السكنية الجاهزة في المدن والضواحي السكنية هي أمنية كل مواطن عليه أن يدفع تعب عمره ومما جناه حتى يحصل عليها.

وشعبياً اتخذوا من كلمة شق بمعنى الزيارة للمريض، فيقولون." شق عليه"، هنا جاء استخدامها مغايراً لمعنى شق عليه بمعنى أتعبه و أرهقه، وكثيراً ما تجزع الأمهات من أفعال أولادهن ، فيهددن بقولهن:" سأشق الثوب وأخرج منه" وهو كناية عن العار الذي سيلحق بهم إن لم يمتثلوا لأمرها. ومن يتخاصم مع شخص ويغضب منه لدرجة كبيرة، يقول مهدداً:" سأشقة نصفين".

أبحرت في لجة الكلمة وحاولت الولوج للكثير مما استحضرني من معانيها المتعددة، وذلك حسب ما استطعت، وإذا وجد التقصير فمن نفسي، والله المستعان.

الأسوار ..

بصرى الشام تلك المدينة المُنزوية في أقصى جنوب سوريا، وجنوب شرق هضبة حوران، ما زالت تحتفظ بالكثير من الآثار التي خلّفها تزاوج الحضارات فيها، وأكبر شاهد على ذلك هو المدرج وقلعته ودير الراهب بحيرا، والمعبد النبطي، والجامع العمري، وما البوابة النبطية شرقًا، وباب الهوى غرباً ما هما إلا من بقايا سور تلك المدينة الهامة والتاريخية، ولم يتبق منه إلا القليل في بعض الأماكن، وذلك بسبب الحروب والزلازل التي هدمت تلك الأسوار.

أما أسوار القسطنطينية المنيعة، والحصينة حفظتها، وحَمَتْها من الغزو المتكرر في محاولة النيل من صمودها، طالت السنوات من عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي بشّر بفتحها، وكانت أولى الحملات الإسلامية لفتحها في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية، إلى أن جاء عهد السلطان العثماني الخامس محمد الفاتح، وفاز ببشارة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ العام٨٥٧هـ الموافق ١٤٥٣م.

فبذلك يكون السُور هو حائط المدينة وجمعه أسوار وسيران، ولم يتوان الناس ببناء الأسوار لبيوتهم، لحفظها من أعين المتلصصين على حرماتهم، وحفاظاً على أموالهم، وممتلكاتهم من اللصوص و الحرامية.

ومن عجائب الدنيا السبع سور الصين العظيم والذي ينسب بناؤه إلى ذي القرنين، ويمتد لعدة آلاف من الكيلومترات، وما زال متماسكا في الكثير من أجزائه، و قد استثمر كمزار سياحي يدر من الأموال على الصين.

رغم كراهيتي للأسوار والحواجز والموانع، لكن سور الأزبكية في مدينة القاهرة من الأماكن المحببة لقلبي؛ لأنه معلمٌ ثقافي مضيء مشهور ببيع الكتب الجديد والمستعملة وكل شيء في هذا المجال، وأصبح مقصداً وقبلةً للأدباء والكتّاب والشعراء والمثقفين. أما قصيدة الشاعر السوري محمد نجيب المراد (الأسوار) وهي إحدى ثلاث قصائد فاز بها في مسابقة شاعر العرب على إحدى الفضائيات والتي تقدم فيها على (١٢٠٠) شاعر من مختلف البلاد العربية.

وحاضراً اصطلح على رمزية الأسوار للسجون والمعتقلات التي تقيمها الدكتاتوريات، والتي تقفل آفاق الحياة أمام العقل والتفكير.

والقرآن الكريم مكوّن من ١١٤ سورة، وجمعها سُوَرْ وهي مَنْزِلَةٌ بعد مَنزِلةٍ، متتالية مقطوعة عن بعضها ومنفصلة كل واحدة عن الأخرى، وكذلك كل منزلة من البناء.

ومن أشهر الزعماء العرب في التاريخ الحديث هو الرئيس السوداني الأسبق المشير عبد الرحمن سِوَار الذهب، عندما قاد انقلاباً على الرئيس جعفر النميري وخلعه، وبذلك يكون قد فتح عهداً جديداً للسودان، وبقي في الرئاسة لفترة انتقالية لمدة سنتين، بعدها قام بتسليم الحكم لحكومة مدنية منتخبة، وحاز هذا المشير على احترام جميع شرفاء العالم كله؛ لأنه وفّى بتعهداته والتزاماته، وهو سوار تفتخر به الأمة العربية، وكان عبدالله بن الزبير يتصرف وكأنه مستقل عن الدولة الأموية، وكان لا يقطع أمرًا دون المُسَوّرْ بن مخرمة وكأنه مستشار له وناصح أمين، رضي الله عنهما.

و إسوارة العروسة تلك الأغنية التي تشدو بها المطربة فيروز، وهي تتحدث عن العروس و بهائها و قرقعة وبريق الأساور على يديها و هي تتمايل برقصتها أمام عريسها يوم زفافها. وعندما يقوم العريس بإلباس الإسوارة لعروسته يكون قد سوّرها تسويراً.

وفي هذا المجال تكون الآية الكريمة (فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ - وقد قرئت أيضاً أساورةٍ -) حيث أن السوار و أسورة هي جمع، وجمع الجمع أساورة. أما الآية الأخرى (يحلون فيها من أساور..) فتكون أساور جمع و واحده إسوار وسوار.

أما من تسوّر الحائط هو من تسلقه بقصد المراقبة والتجسس أو السرقة أو أي شيء آخر، وقد تصيب سوْرة الغضب صاحب السور من شنيع تلك الفعلة التي تنتهك حرمة منزله، وفي هذا المعنى جاءت الآية الكريمة : (وهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ)

والمقصود هو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومحراب داوود أي مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة أي خبرهم وقصتهم، ولكنها بكل تأكيد تختلف عن سوْرة السلطان التي تبث الرعب والخوف من جراء سطوته وسيطرته التي يبسطها على رعاياه.

الروابط والإرتباطات..

الروابط الاجتماعية هي مجموعة الخيوط المعنوية التي تربط الناس فيما بينهم، كروابط الدم والقربى والجوار والصداقة، ويعتبر الزواج رابطاً مقدساً، ومن أعظم الروابط على الإطلاق، على اعتبار إنه يجمع ما بين رجل وامرأة متباعدين نسباً، لكن كلمة الله جعلت منهما نسباً وصهراً، وهي التي فكّت حاجز الحرمة فيما بينهما، و جعلت كل منهما يطّلع على عورة و سوأة الآخر في خلوة حلال، وفيها من الأجر والثواب؛ لأنهما قد صانا نفسيهما، وربطاها برباط العفة، وكان نتيجة ذلك هو إقامة سنة الله في خلقه.

وهنا يمكن ارتباط النتائج بالمقدمات، فإذا كانت المقدمة صحيحة وقائمة على منهج الحق والاستقامة، كانت النتيجة ذرية صالحة نافعة بعضها من بعض.

و معروف تاريخياً أن الأردن هي أرض الرباط على اعتبار أنها ثغر قبالة الروم ذلك العدو المتربص والمتحفز للانقضاض على دولة الإسلام في الجزيرة، و جاءت الحملات الصليبية التي عززت ذلك، وكانت قاعدة لتحرير الأقصى، إلى أن جاءت دولة اسرائيل.

التي اغتصبت الأرض وانتهكت حرمة المقدسات، فمن لازم أرض الرباط هذه أو غيرها فهو المرابط المجاهد في سبيل الله.

ولمّا قامت دولة المرابطين في المغرب العربي على يدي القائد المجاهد يوسف بن تاشفين، فقد امتد سلطانها إلى الأندلس بعد سقوط دويلات الممالك والطوائف، وكان آخرها مملكة بني الأحمر التي كانت بإمرة أبو عبدالله الصغير والذي نفي فيما بعد إلى المغرب وعاش هناك، وقيل أن أصبح يشحد طعامه، ويستجدي أهل الخير، وكان الفضل للمرابطين في تسجيل الكثير من الانتصارات على الفرنجة. ورباط الخيل مكان مرابطتها، ويقال الرباط لمجموعة الخيل الخمس فما فوقها، ومن هنا جاءت تسمية مدينة الرباط التي بنيت مكان المعسكر، وأصبحت حديثاً عاصمة المملكة المغربية. وفي دولة الباكستان يعتبر حزب الرابطة الإسلامية من أكبر الأحزاب السياسية هناك والتي حكمت البلاد.

أما رابطة المحاربين القدماء فهي بمثابة نقابة يتجمع فيها العسكريين المتقاعدين، وتقوم على الاعتناء بشؤونهم المختلفة، وتعمل على تذليل الصعاب التي تواجههم، وحل ما تستطيع من مشاكلهم.

ويعود الفضل للمنشد المرحوم توفيق المنجد صاحب الحنجرة الذهبية والصوت المخملي، في تأسيس فرقة رابطة المنشدين للمدائح والابتهالات الدينية في دمشق، والتي يعود لها الفضل في تدريب أصحاب الموهبة حيث أصبحوا اليوم من كبار المنشدين.

ومع تكاثر المستخدمين للشبكة الدولية للأنترنت، فقد شاعت هناك ثقافة جديدة أدخلت العديد من المفاهيم والكلمات لجميع لغات العالم، ومن ذلك الرابط والروابط، حيث يقصد بها على أنها الرموز، والتي تعتبر عناوين لمواقع تقودك مباشرة عن طريق نافذة العم جوجل للبحث.

وشعبياً تعارفوا على أن المربوط هو المسحور من مشعوذ محترف بطلب من شخص آخر يريد الضرر لذلك الشخص، و لا يقدر على فك الرباط إلا مشعوذ آخر. وفي المثل يقولون: (المربوط يصيح و الفَلْتان يصيح) يعني أن الكل في أزمة ، كذلك قالوا عن شهر شباط (شباط ما على كلامه رباط) لكثرة تقلبات الجو ما بين صحوٍ و ماطر بشكل مفاجئ. ويقولون: (**اربط بكّير بتحلّ بكّير**) أي عندما تكون مباشرة العمل مبكرة يكون الانصراف من العمل مبكراً، والرباط هو الحبل، وخلافه تربط به الدابة، والمربط هو المكان الذي تربط فيه الدواب، ومعروف مربط الخيل ومربط الحمير وغيرها، ومن هنا قالوا: (اربط الحمار بالمكان الذي قال لك عنه صاحبه) بمعنى حفظ التوصية بحذافيرها وعدم التصرف بشيء ينعكس على الموقف، تبقى ربطة العنق (الكرافيته) متفردة بين الرباطات حيث أنها هي الحريرية لوحدها ومنها من تحمل اسم ماركة عالمية فيكون ثمنها باهظاً، و لا يستغني عن لبسها الكثير من الناس، وهي من كمال الزي الرسمي، وأحد مكوناته الأساسية.

وتنعكس أفعال الطابور الخامس المرتبطة خارج حدود الأوطان سلباً على أوطانهم التي يعملون ضدها لارتباط مصالحهم مع العدو، و للشاب أو الشابة إذا كان خاطباً يقال عنه مرتبط، وأصبح المخبرين والمرشدين تطلق عليهم صفة مرتبطين، وعندما تشير بهذه الكلمة على أحدهم يفهم ذلك منها.

العرب .. أمة واحدة

قيل أن العرب هم جيل من الناس، والنسبة إليهم عربي، أمّا سكان البادية منهم فهم ما يطلق عليهم الأعراب، وكلمة الأعراب ليست جمعاً لكلمة العرب.

والعرب على أنواع منهم العرب العاربة الخُلّص بعروبتهم وصحة نسبهم، وهم ما يطلق عليهم (العرب العرباء)، وهم قحطان و عاد و ثمود وطَسْم، و أما العرب المستعربين الذين هم ليسوا بخُلّص، ويطلق عليهم (العرب المُتعرّبة)، وهم العدنانيون هذا رأي، و الراجح في هذا: أن بعضهم قد ذهب إلى أن إسماعيل عليه السلام هو أبو العرب.

ولما جاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو عدناني، وكانت الخلافة في قريش وهم عدنانيون فرجحت كفة العدنانيين، وقيل عن اليمن أنه جد العرب جميعاً، فما من عربي في الكون إلا وله جذور نسب يمانية، والأمة العربية هو المصطلح الذي ضم كافة شعوب العرب ما بين الشرق والغرب، وهم الذين جمعتهم الجغرافيا

والتاريخ واللغة والدين ووحدة المصير المشترك، فكانوا كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر و الحمّى، أو كما قال شوقي:

كلما أنّ في العراق جريحٌ = لمس الشرق جنبه في عُمَانِه

و العامل الأهم في حياة الأمة العربية هو الإسلام الذي لمّ شملهم بعد أن كانوا قبائل تتقاتل وتتنافس، كما في حرب البسوس و داحس والغبراء، و ارتقى بمشاعرهم وسلوكهم وأحاسيسهم فعبدوا الله عز و جلّ بعد أن كانوا يعبدون الأصنام.

ولمّا جاء عصر القوميات الذي غزا أوربا تأثرت الشعوب مما حصل هناك في أوربا . ظهرت نزعة القومية العربية مقابل النزعة القوميّة الطورانيّة (التركية)، أيام الدولة العثمانية التي كانت الجامع المشترك الذي حافظ على وحدة جغرافية الوطن العربي بلا حدود وحرية التنقل فيما بين ولايات الدولة، كانت هذه النزعة سبيلاً لشقّ صف الأمة الإسلامية على أساس عرقي مقيت وكريه، مهد الطريق أمام الاستعمار الأوربي، وقد جعلوا من القومية العربية جبهة مناوئة للإسلام، وكان لهذا الخط الحظ الوافر في شق صف الأمة والتي صنفوها ما بين قومي وعلماني وإسلامي وتقدمي ورجعي، وعادوا بنا إلى سالف تاريخ العرب ما قبل الإسلام، وأصبحت الدول العربية في مرحلة ما بعد الاستعمار الأوربي كيانات قطرية هزيلة متناحرة متنافرة مرتبطة بقوة إما شرقية أو غربية، الأمر الذي خدم أهداف أعداء الأمة.

وإذا أشار شخص إلى كلمة العربية وحدها فيفهم من السياق أنها تعني اللغة العربية، لغة القرآن والتي قاومت عوامل الهدم والتشويه والدعوات المشبوهة لاستبدالها باللهجات العامية، أو الإنفلات من عقال قواعد اللغة الصارمة، أو كتابتها بالحرف اللاتيني كما حصل للغة التركية التي كانت تكتب بالحرف العربي الذي استبدل بالحرف اللاتيني على يدي أتاتورك.

ولما اتّسعت دائرة العلوم احتاج العرب للاطلاع على علوم وآداب الأمم الأخرى فقاموا بحركة ترجمة إلى اللغة العرب و اصطلح على تسميتها بالتعريب، وبالعكس ظهر هناك مصطلح المستشرقين الذين هم من العلماء والأدباء الغربيين الذي اهتموا بالدراسات العربية والإسلامية خصوصاً والشرقية عموماً، وترجموا الكثير منها للغاتهم.

و العرّاب ذلك الشخص الذي يتعهد بكفالة الطفل ورعايته في حال فقد والديه، وذلك أثناء عملية التعميد على يدي الكاهن في الديانة المسيحية. و هو أيضاً الوسيط الذي يقوم بتقريب وجهات النظر، أو عقد صفقات مشبوهة، ولا ننسى ذكر رواية (العرّاب) العالمية للكاتب الروسي تولستوي، و العِرابُ من الإبل والخيل الخالصة النسب وهي منسوبة للعرب، ومن أعرب عن حُجّته فقد أفصح عنها، وهناك من يعرب عن مشاعره وأحاسيسه وعن تقصيره وعن خطئه وعن شكره للآخرين وعن حاجت كثيرة. وفي الحديث الشريف (الثّيّب تُعْرِب عن نفسها) أي تفصح وتبين عن نفسها بلا

ابتذال و تهتك، وذلك حتى يعلم بأمرها الراغبين في الزواج، ومن عرّب على شخص فعله تعريباً أي قبّحه، وفي الحديث (عرّبوا عليه)، أي ردوا عليه بالإنكار لشنيع أفعاله. و المرأة العروب هي المتحببة لزوجها و جمعها (عُرُب)، ومنه الآية الكريمة (عُرُباً أتراباً)، أي متحببات لأزواجهن وكلهن على سنٍّ واحدة، ومن هذه المعاني الجميلة اتخذت الأسماء مثل عروب عُرَيْب وعروبة وعربية والعربي و عريبي وعرابي.

ومن أشهر قرّاء دمشق الشيخ العربي قباني، و نبيل العربي الأمين العام لجامعة الدول العربية، ويعود الفضل لأحمد عرابي القيام بثورة في مصر على الخديوي والإنكليز ١٨٨١م، وقد حققت الثورة الكثير من المطالب التي قامت من أجلها. هذه عجالة أطللت من خلالها على مادة العرب من خلال ما تيسر في المبحث الكبير الذي يحتاج للأسفار الكثيرة من الكتب لتسطير كل ما يدخل في هذا المجال، ولعله يكون فيها من الفائدة التي توخيتها راجياً من المولى أن يكون خالصاً لوجهه.

خبرنـي .. يا طيـر

تعتبر نشرات الأخبار التي تبثها الفضائيات الكثيرة والمختلفة، الشاغل الأهم للكثير من الجماهير التي تتابع الأحداث المتسارعة، على مدار الساعة في جنبات الكون، وكثيراً ما تترك من الأثر السيء بما تبثه من شائعات مُغرضة في أيام الأزمات والحروب، تسبب في هبوط المعنويات لدى الناس المتأثرين، والذين هم على مساس مباشر بهذه الأحداث، هذه الحرب النفسية التي يستخدمها العدو، بهدف تحطيم النفوس من الداخل حتى تستسلم.

و للمتأمل في كلمة (خَبَرْ) ذات المصدر الثلاثي، فقد يستمتع في الإبحار في المعاني العظيمة والجليلة، والمتمثلة في حياتنا جميعاً. حيث يعتبر (الخَبَر) مفرد الأخبار على الإطلاق، سواء كانت جيدة أم سيئة، وقد أصبح هناك من الخبراء في صياغة الأخبار بما يخدم أهداف المؤسسات، وأجندات مُمَوِّليها سواء كانت داخلية أم خارجية.

و يكون مَنْ (أَخْبَرَ) بكذا، و (خَبّرَه) بمعنى (الاستخبار) وهو السؤال عن الخبر، لم يتوقف المعنى عند السؤال فقط، ولكن من هذا المعنى

نرى أن أجهزة الاستخبارات والمخابرات في كل بلدان العالم الحكومات الخفيّة، تقوم بالتجسس على مواطنيها وخاصة المعارضين لسياسات دولهم وأنظمتهم، حتى وإن كان ذلك ضمن القوانين والدساتير الناظمة للحالة الديمقراطية، بينما الأمر يختلف في الأنظمة الدكتاتورية التي تكون تلك الأجهزة قمعية بوحشية غير مسبوقة من الظلم والسجن والقتل و السّحل والتدمير، كما نرى في معظم دول العالم الثالث، وتتخذ هذه الأجهزة من المخبرين السريّين المرتبطين بها أداة لمراقبة مواطنيها على مدار الساعة، ومنها من تركت العدو يسرح ويمرح، وكثيراً ما يكون هؤلاء المخبرين من فاقدي الضمير، والانتهازيين، والحثالة، الذي يلفقون التُّهم الكاذبة لأهلهم وجيرانهم وأبناء بلدتهم. وعلينا إمعان النظر والتأمل، بين كلمتي (المُخْبِرْ) بمعناها الحالي المألوف لدينا ذات الصيت و الصدى السيء في نفوسنا، وبين كلمة(المَخْبَرْ)، ولأهمية الحركات الإعرابية في تبيان المقصد الذي ننوي الوصول إليه، إذ تعني الكلمة الاخيرة أنها هي الجوهر والأصل.

و لا زالت نفوسنا تتحسر على سقوط العراق الذي وقع فريسة بين أنياب لجنة خبراء وكالة الطاقة النووية الذين كذبوا الكِذبة وصدّقوها، وضاع العراق ضحية لكذبهم، بعد أن أوهموا العالم أجمع، وعلى مدار سنين بالخطر العالمي للنظام العراقي آنذاك على العالم .. وكان .. ما مكان ..!!!!... والخبراء هم المتخصصون في مجالاتهم العلمية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والفنية، وينسحب ذلك على كل شؤون الحياة العامة المختلفة.

و أصبحت مخابر تحليل الدم وزراعة الجراثيم من الأقسام المهمة في كل المشافي، والتي يبني الأطباء على نتائجها تشخيص الحالات المرضية، و قد تعدى اختصاص المخابر ليصير في كل المجالات الحياتية.

وفي نهاية كل عام ينتظر الآباء والأمهات بفارغ الصبر نتيجة اختبارات أبنائهم في كل المراحل الدراسية، و الاختبارات صارت مصطلحاً يستخدم كثيراً في الجامعات والكليات العسكرية، وشركات صناعة الطائرات والسيارات ومختلف المعدات و شركات إعداد الأطعمة، و التي تطلب من خبراء مستأجرين لفحص صلاحية منتجاتها وذلك قبل مرحلة الترويج، وذلك لضمان الجودة حتى تستطيع المنافسة في الأسواق العالمية.

ولكل متأمّل للتاريخ الإسلامي، أن يستعيد تفاصيل معركة خيبر وجلاء اليهود من الجزيرة العربية إلى غير رجعة، حتى أثيرت نداءات (يا لثارات خيبر)، ولا تزال مدينة خيبر قائمة في المملكة العربية السعودية لهذا اليوم.

وقد بقي من جذر كلمة (خبر) كلمة (المُخابَرَة) وهي المُزارعة، وهي الاتفاق في العمل بالأرض مقابل بعض ما تنتج الأرض، و (الخبير) هو النبات، كذلك العالِمٌ بالأمر، وفي الواقع نستخدم مصطلح المخابرة للاتصال الهاتفي، والتخابُر التواصل مع دولة معادية بما يضر مصلحة بلد المُتخابِر ذلك نوع من التجسس لصالح العدو.

ومن سار على الدرب..

وصل

تعتبر السيرة النبوية إحدى المراجع التي نستقي منها الدروس والعبر والعظات لمزاوجتها مع واقعنا، لكن الجانب الأهم أن شخصية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي القدوة الحقيقية التي نتعبد الله بالسير على نهجه واستلهام أفعاله وأقواله؛ لأنها محاطة بيد العناية الإلهية، وما تزال سيرته العطرة غضّةً نديّةً في النفوس المؤمنة و لا تملّ الأجيال من قراءتها وإعادتها مفعمة بروحانية عالية تربط الحاضر بالماضي المشرق الذي ينير بالدروب.

وقد شاعت على نطاق واسع كتب السيرة الذاتية وأصبحت لوناً أدبياً، وقد درج الكُتّاب والمثقفون والسياسيون والعسكريون من كتابة مذكراتهم لشرح رؤيتهم الممتزجة بحياتهم والنهج الذي ساروا عليه و إليه، وتفصيل ما كان، وهي نوع من التدوين الذي يعتبر مرحلة ما قبل التأريخ الذي يكتب على يدي المتخصصين. وهذه الكتابات ممكن أن نطلق عليها شاهد على العصر الذي جرت فيه وترمز إليه.

ومنذ صغري وأنا أتمثل الحكمة: (من جدّ وجَدْ، ومن سار على الدرب وصل)، وكانت تعني لي ولأمثالي الكثير، بينما بُهِت بريقها في النفوس؛ لأن الوصول لم يعُدْ يعني الشيء الكثير فالأحلام تبددت وتحطمت على صخرة ومرارة الواقع المؤلم الذي لا يرحم، والسير في الطريق ينتج عنه الوصول، وقيل: (إن الطريق إلى الوطن أجمل من الوطن)، ومن سار على نهج الحق والهدى فقد اهتدى، وبهذا تكون السيرة النهج والطريق.

و المسيرة تعني المسافة الزمنية، ويقال عن المكان للتدليل على بعده (مسيرة يوم وليلة من هنا)، هذه الجملة تعتبر بمثابة وحدة قياس، وأصبح المسير في المفهوم العسكري للقيام ببلوغ هدف معين بقصد التدريب التكتيكي بقصد التدريب، ويكون ليلاً أو نهاراً لتنفيذ الاستراتيجية العسكرية، ويقال: (بارك الله في مسيرك أو سَيْرك) .

وقد صار يرمز للشخص المُسَيّر وهو الذي يخضع لإرادة الآخرين وفي هذه الحالة يكون مسلوب الإرادة، وأصبح التكنيك الحديث في إدارة المعامل و الآلات على اختلاف أنواعها هو التسيير الذاتي أو الآلي الميكانيكي أو الالكتروني، وتسيير الكون و الخلق وتصريف شؤونهم يكون من الخالق وحده عز و جلّ .

أما المسيرة فترمز لتجمع الحشود المؤيدة لحاكمها، وقد تكون راضية عن سيرته فيهم، عندما يسير فيهم سيرة حسنة فيها العدل و الإنصاف للجميع، و كذلك أطلقت المسيرة على التقدم في جميع

مجالات الحياة، وإذا كانت على خلاف ذلك فهي مظاهرة تكون ضد.

وكثيراً ما يساير الناس بعضهم في المجالس العامة، ومن ساير الآخر فقد جاراه في حركته أو مجلسه أو مقاله أو فعله أو أي شيء آخر من المعاني الجميلة أو السيئة، وقد عُدّتْ المسايرة من العقل، وحسن التصرف في التعامل مع الآخرين، ولكن من سيّره أمرٌ من بلده أي أخرجه وأجلاه.

والقافلة من الإبل وغير ذلك يطلق عليها اسم سيّارة، وهناك النجوم والأفلاك السيّارة في السماء، وحديثاً أصبحت السيارة هي الآلة المعروفة بأشكالها وألوانها المختلفة، و أصبحت من ضرورات الحياة وهي إما خاصة أو عامة، واستتبع ذلك ظهور القوانين الناظمة لها، وشرطة السير أو المرور و التي تعمل على تنظيم عبورها على الطرق داخل المدن، و لكن إشارات المرور قد احتلت تقاطعات الطرق بدل الشرطي الذي كان يقف ويشير بحركات يديه بإيماءات جميلة ومثيرة مترافقة مع صافرته.

وكذلك يكون السير هو المطاط أو الذي يقطع ويُقدّ من الجلد وجمعه سيور، وسائر الناس جميعهم.

أما زواج المسيار والذي ثارت حوله الكثير من الأقاويل المختلفة في السنوات، وناتج ذلك عن عدم دراية وإطلاع على أحكام هذا المسمى من الزواج في مضانّه الحقيقية في كتب وموسوعات الفقه الإسلامي

وأقوال العلماء في هذا المضمار الهام، وببساطة يعتبر زواجاً شرعياً كونه خاضع لشروط الزواج المتعارف عليها، من العقد والمهر والإشهار وولي الأمر والشهود، ولكن خصوصيته تأتي من كون المرأة ممكن أن تتنازل عن حقها عن حقها في مبيت الزوج عندها ليلة كاملة، ويأتي عندها في بيتها لبعض الوقت من النهار، وكذلك ممكن أن تتنازل عن حقها في النفقة، ويتفق كل منهما على تسيير شؤون حياته بنفسه، و ذلك مقابل زوج تأوي إليه ويأوي إليها ويكون سكناً لها وتكون سكناً له، بعيداً عن الانحرافات الخطيرة التي تهدد سلامة وأمن المجتمع.

وتعتبر سارة زوجة سيدنا ابراهيم عليه السلام هي الثانية بعد السيدة هاجر أم اسماعيل، كما أن من قرأ رواية (سارة) للأستاذ العقّاد يرى فيها روعة الأدب الذي يقوم على معالجة قضايا الحياة بعمق ودراية.

بهذه الإلمامة المتواضعة القاصرة، والتي سارت على طريق البحث في جانب من جوانب حياتنا، آملاً من خلالها الوصول إلى عقول الآخرين التي ربما تجد فيها شيئاً من الصواب لعل فيه الفائدة، وهو من توفيق الله، ومن وجد غير ذلك فمن نفسي.

مصارع الإستعباد

يعتبر مجيء الإسلام ثورة عالمية في جميع مجالات الحياة الإنسانية، وعمل على الارتقاء بالإنسان حيث هو مادة الفعل، و الحركة في الكون فحرّره من كافة القيود التي تحدّ من ذاته و قدراته، وأطلق العنان لتخليصه من عبوديته للبشر الذين اغتصبوا حريته وصادروها بفعل غلبتهم وتسلّطهم.

حيث كانت المجتمعات الإنسانية ترزح تحت وطأة السادة والأشراف، أما العبيد والذين لا يملكون من أمر أنفسهم شيئاً يباعون ويُشترَوْن، ويعملون على طاعة أوامر ونزوات الأسياد.

وعنترة العبسيّ لم يشفع له نسب أبيه شدّاد مقابل لون بشرته السوداء حتى انتزع حريته بيده وشجاعته التي ردّت كيد العدوان عن قبيلته عبس.

ومن أعظم المواقف في تاريخ الأمة والبشرية على الإطلاق، موقف سيدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، في حادثة لطم القبطيّ من ابن عمرو بن العاص: [متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار]، وكانت خطة الإسلام عميقة وقوية عملياً من خلال اقترانها بالعبادة و الصدقات، فقد كان سيدنا أبو بكر الصديق ـ رضي الله

عنه ـ يشتري العبيد الذي يعذبون على أيدي أسيادهم في مكة بسبب إسلامهم، ويحررهم من ربقة العبودية ويعتقهم لوجه الله، وما بلال بن رباح إلاّ أشهرهم على الإطلاق.

وفي العصر الحديث يعتبر إعلان مبادئ حقوق الإنسان صحوة ضمير إنساني والذي صدر عن الأمم المتحدة ذات الشِرْعَة العوراء لمنتصري الحرب العالمية الأولى، الذين اتخذوا من الهيئة سيفاً وسوطاً مسلطاً على رقاب الشعوب المغلوبة والمقهورة والمسلوبة، وما سياسة التمييز العنصري التي انتهجتها أمريكا ودولة جنوب أفريقيا رسمياً إلا دلالة على هذا المعنى، ولا ننسى تلك اللافتات المعلنة: "ممنوع دخول الكلاب والسود"، ويعتبر ابراهام لنكولن الرئيس الأمريكي محرر العبيد.

وفي تراثنا يتجلى مثل ذلك في موقف المتنبي العنصري من كافور الإخشيدي عندما هجاه بقوله:

(لا تشتري العبد إلاّ والعصا معه = إنّ العبيد لأنجاسٌ مناكيد)

والعبد ضد الحرّ وجمعه عبيد وأعْبُد و عباد و عُبْدان و عِبْدان، لكن العبادة جاءت بمعنى الطاعة والتعبّد هو التنسّك، وعَبِد أي غضب و أنِفَ.

وقد ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام: (خير الأسماء ما عُبّد وحُمّد) أي اقتران كلمة عبد مع اسم ثاني من أسماء الله الحسنى أو غير ذلك، كعبد الله، وغير ذلك كعبد الحسين وعبد الرسول وعبد

الأمير وعبد المسيح. وما حُمّد على صيغة محمد وأحمد، وعبد الله بن عبد المطلب، والد الرسول الذي توفي، وما زال ابنه محمداً في بطن أمه آمنة بنت وهب.

و كان عبد الرحمن بن ملجم كان قد دخل التاريخ بغدره و اغتيال سيدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه الذي استشهد إثر الطعنات من ذلك المجرم. ومن سلالة سيدنا علي الإمام علي زين بن العابدين أحد أئمة الجعفرية الإثني عشرية، وبعد قرون قامت دولة العُبَيْدَيّين في مصر نسبة إلى عبيد الله والتي انتهجت التشيع مذهباً رسميا لها.

وفي حقبة الاحتلال الفرنسي لسورية ولبنان أصبح محمد علي العابد أول رئيس للجمهورية، ولكن الثورة العربية ٢٠١١م، كانت شرارتها الأولى في تونس إثر حادثة محمد بوعزيزي، فقد أطاحت بالطاغية زين العابدين بن علي.

ومن يطالع موسوعات التراث يصادفه تعبير العبادلة، وهو ما اصطلح عليه من أسماء الصحابة، وهم: (عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاص)، أما عائلة العبادلة المنتشرة في بعض البلدان العربية تعود في نسبها لآل البيت النبويّ.

وتعتبر حاشية العلامة ابن عابدين أهم موسوعة فقهية جامعة لمذهب أبو حنيفة، وقصر عابدين هو قصر الخديوي اسماعيل، و الذي حاصره قائد الثورة العُرابيّة أحمد عُرابي وزير الحربية آنذاك،

حيث قاد الجيش للمطالبة بإصلاحات عامة، واستجاب الخديوي لمعظم مطالبهم.

ومن يقصد المنطقة الغربية من محافظة درعا سيمر بقرية عابدين المتربعة على ضفاف نهر اليرموك صامدة تستنشق عبق المجد والنصر الذي سطّره خالد وأبو عبيدة.

هناك محاكاة جميلة بين حيّ عبدون الراقي في مدينة عمّان المتجاور مع حيّ العبدلي المعروف بنشاطه وحركته الدؤوبة على مدار الساعة، بينما العبدلي نقطة الحدود الكويتية تتجاور مع صفوان نقطة الحدود العراقية جنوب البصرة، هناك كانت داخل مدينة، وهنا نقاط حدود.

و بالرجوع للغة نجد أن العُبودة و العبودية هي الخضوع والذل، و التعبيد التذليل، ويقال الطريق معبد، والاستعباد وهو اتخاذ الشخص عبداً، ومن هذا المعنى جاء كتاب (الاستبداد ومصارع الاستعباد) للمفكر عبدالرحمن الكواكبي الذي كتبه ونشره في مجلة العروة الوثقى في بداية القرن العشرين، والذي يعتبر درةً متلألئة في دجى ليل الأمة المُذْلَهِم، بقوة أفكاره و طروحاته التي عملت على تحرير إرادة الإنسان.

قصــة الدعارة ..

لا تزال البشرية تعاني منذ بدء الخليقة من المشاكل التي تتشابه أسبابها وطرقها، وعند انحدار الذوق البشري إلى حمأة الجسد، فجعل من المرأة سلعة تباع وتشرى كأنها المتاع المستهلك.

ومن ذلك انتشار بيوت الدعارة المرخصة في كثير من المدن، ما يلفت النظر في ذلك في مدننا العربية والإسلامية حديثاً. وباستقصاء تاريخ بيوت الدعارة فقد نقلت لنا الكتب التاريخية، أن هناك إشارة إلى العاهرات في النصوص القديمة، وفي الرسوم الهيروغليفية المصرية، وفي الكتابات السومرية، وفي العهدين القديم و الجديد.

لكن المهنة لم تنتظم إلا في القرن السادس قبل الميلاد في أثينا، عندما أنشأ المشترع سولون المواخير التي تشرف عليها الدولة، وقام بفرض ضريبة على الاتجار بالجسد، لقي هذا الإجراء ارتياحاً في صفوف رجال الأعمال في أثينا؛ لأن هذه التجارة كانت محرمة، وصارت شرعية.

وبمجيء الإسلام فقد ركز على القيم الإنسانية والخلقية الراقية وحارب كل أسباب الزنا الذي يشي باختلاط الأنساب، وكرّم المرأة

كإنسان، وجعل الحساب والعقاب والترغيب والترهيب على أساس الإيمان والتقوى دون النظر إلى الجنس، ولكن الخطاب القرآني جاء شاملاً في قوله تعالى: [إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِين وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً](١) *

[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] (٢)*. كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك و كنّى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذباً؛ لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلد به بين الرجلين ولا يعصينك في معروف طاعة الله ورسوله فبايعهن واستغفر لهن الله عما مضى إن الله غفور بتمحيق ما سلف رحيم بتوفيق ما استئنف. وروى أن رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء وهو على الصفا. وعمرُ قاعد أسفل منه يبايعهن عنه بأمره ويبلغهن عنه. وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعة متنكرة خوفاً من رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ أن يعرفها لما صنعت بحمزة، فقال عليه السلام: أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا، فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيئاً،

فقال عليه السلام: ولا يسرقن. فقالت هند: إن أبا سفيان رجلٌ شحيح وأني أصبت من ماله هنات، فقال أبو سفيان: ما أصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ وعرفها. فقال لها: إنك لهند؟. قالت: نعم، فاعفُ عما سلف يا نبيّ الله، عفا الله عنك. فقال ولا يزنين، فقالت: أو تزني الحرة؟. فقال: ولا يقتلن أولادهن. فقالت: ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ فقال: ولا يأتين ببهتان. فقالت: والله إن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلاّ بالرشد ومكارم الأخلاق. فقال: ولا يعصينك في معروف.

فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا، وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء.

و بالمقابل في مجتمع أثينا فقد جعلوا العاهرات مراتب فكنّ يصنّفن وفقاً للضرائب التي يدفعنها.

أولاً- هناك العاهرات الأقل ثمناً وتدعى (pone) وهي عبدة يملكها أصحاب المواخير. والعرب مثلهم مثل الأمم الأخرى فهم ليسوا بمنأى عن هذا الانحدار الخلقي، وقد استنكروا مثل تلك الأشياء، وقد كان ينظر إلى المرأة الحرّة على أنها لا يمكن أن تتعاطى بأفعال الدعارة، وقد قالوا في ذلك: (تجوع الحرّة ولا تأكل بثديبها).

ثانياً- العاهرات التي تجد زبائنها في الشارع وتدعى (perirpatetike) . وقد كان شائعا في الجاهلية أن هناك بعض

النساء يجلسن على قارعة الطريق أو في بيوت تطلّ عليه. تُؤْذِن طُلاَّبَها بقُحابها وهو سُعالها، قيل للبَغِيِّ قَحْبة، وأصبح هذا اللفظ مؤشراً لفاعل الرذيلة.

ثالثاً - العاهرة التي تأتي في الصدارة من حيث النوعية، والمبلغ الذي يدفع لها وتدعى (hetnifa) أي الأنثى الرقيقة، وهي ترافق رجال الأعمال في أسفارهم، وتتردد إلى المطاعم، وتتمتع بالسيادة المطلقة على أموالها، وتتدخل في حياة المدينة السياسية. وقد شاع كثيراً استخدام كلمة الصديقة أو الصديق على ألسنة الرجال والنساء على السواء، وقد أشار القرآن الكريم لهذا المعنى في الآية: [مُحْصَناتٍ غيرَ مُسافحاتٍ ولا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ] (٣)*، يعني أَن يَتَّخِذْنَ أَصدقاء أخلاء يزنون بهن سراً. والخَدِينُ الصديق، والأَخْدَنُ ذو الأَخْدانِ، وخِدْنُ الجارية صديقها.

وما ستكون عليه ماهية سياسة الدولة التي تتدخل فيها العاهرات. والدَّعارَةُ هي الفِسْقُ، والداعر هو خائن يعيب أَصحابه، دَعِرَ الرجلُ دَعَراً؛ إِذا كان يسرق ويزني ويؤذي الناس، وأَهل الدَّعارَةُ هم أهل الفسادُ والشر، وكذلك يقال للمرأَة الفاجرة عاهِرةٌ و مُعاهِرة ومُسافِحة و عاهَرَها أَتاها ليلاً للفُجور ثم غلب على الزِّنا مطلقاً. وقيل هو: الفجور. ورجل قَحْبٌ وامرأَة قَحْبة كثيرة السُّعال مع الهَرَم. وقيل هما الكثيرا السُّعال مع هَرَم أَو غير هَرَم، و القَحْبة الفاجرة، وأَصلُها من السُّعال أَرادوا أَنها تَسْعُلُ أَو تَتَنَحْنَحُ تَرمُزُ به. وبهذه الجولة في حديقة اللغة، من الفائدة الدلالية والإيحائية لهذه المعاني التي يُشار

إليها باشمئزاز من أصحاب الذوق العفّة، والمعاني الثلاثة التي تناولناها (الخِدْنُ والعاهرة و القَحْبَة)، أصبحت مصطلحات بمجرد أن تتلفظ بإحداها فيذهب الذهن دون مناقشة إلى المواخير والقوّادين و الزناة.

١-الأحزاب٣٥

٢-الممتحنة١٢

٣- النساء ٢٥

تراب حوران .. تراب الوطن

أعرف شاباً كان قد أرسل لوالده يستشيره بأنه يودّ الإقتران بفتاة من خارج بلده، فجاوبه والده: (تراب حوران، ولا طين الجولان) وطين الجولان لما فيه من الخير العميم، ومعدلات الأمطار فيه أكبر من حوران؛ ولمّا كانت تأتي سنين المحل على أهل حوران يأخذون حيواناتهم لتقات بربيع الجولان، ومن هنا نحتوا هذا المعنى المجازي: وهو كناية عن تفضيل بنت البلد لاعتبارات كثيرة، ومهما كانت البنت التي يعرفها، وكذلك إشارة إلى غنى تربة حوران والتي قيل عنها قديماً أيام الرومان (حوران أهراءات روما) أي هي سلة الغذاء، رغم أن معدل خصوبة تربة الجولان أكبر.

ومن الصفات التي تنكح التي تنكح المرأة من أجلها: (المال والجمال والخلق والدين)، ولكن الترغيب كان من خلال الحديث النبوي: (اظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك) ومعنى (تربت يداك) فهو في الأصل دعاء معناه: لصقت يداك بالتراب من شدة الفقر إن لم تفعل، ولكن العرب أصبحت تستعمله لمعان أخر كالمعاتبة والإنكار وتعظيم الأمر والحث على الشيء.

وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرّم الله وجهه – يكنى (أبو تراب) حيث أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل المسجد ووجده مضطجعاً، وقد خلص التراب إلى ظهره، فجعل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويقول له:"اجلس أبا تراب" ، وكان هذا اللقب من أحب الألقاب إلى نفس أمير المؤمنين .

وإذا (ترِبَ) الشيء فيكون قد أصابه التراب، ومنه إذا ترِبَ الرجل فيكون قد بساحته الفقر، وكأنه أصبح لصيق التراب، وإذا حدث عِراكٌ ومنازلة فالغالب يكون قد (ترّب تتريباً) لخصمه، أي لطّخه بالتراب.

أما (التربة الحسينية) التي تنال من التقديس لدى بعض الناس؛ لأنها مجلوبة من تربة كربلاء، حيث مرقد يدنا الحسين رضي الله عنه، ومن لم يستطع الوصول إلى هناك للزيارة والدعاء والصلاة، فيكون قد تبرّك بهذه القطعة بوضع جبينه عليها أثناء الصلاة؛ ولأنها من تراب الأرض الظهور ولها من التفسيرات والرموز ما يضيق المقام عن ذلك.

و(التُرابَة الحلبيّة) المنسوبة إلى مدينة حلب، فهي مستخدمة بشكل واسعة في مجالات التجميل التي يكثر عليها الطلب.

ويكون بذلك (التراب والتوْرب و التوْراب والتوْرب و التيْراب والترباء والتَّرْب و التربة)، كله بمعنى واحد وجمع التراب (أتربة و تِرْبان)، أما أساليب الزراعة الحديثة التي اعتمدت كثيراً على

تحضير التربة أولاً والعناية بها من خلال التسميد، واتّباع الأساليب المتقدمة في سبيل زيادة الإنتاج، وكذلك من خلال التربة الصناعية أيضاً، الذي ينعكس بدوره على تحسين الحياة الاقتصادية.

وكثيراً ما يكون تعبير الدفاع عن تراب الوطن، له الوقع الكبير في نفوس الجنود الحافز، الذي يدفعهم لبذل الغالي والنفيس في الذود عن حياض الوطن وترابه، وعدم التفريط بذرة منه.

وفي الريف بشكل عام كانت البيوت تبنى من الحجارة والطين، حتى أن معظم أبنية دمشق القديمة من الخشب والطين، وفي الخمسينيات من القرن المنصرم، عاد المهندس المعماري (حسن فتحي) من إيطاليا إلى بلده مصر ليضع خبرته العالمية كلبنة في نمو ونهضة بلده، وابتكر ما يسمى (عمارة الفقراء) وتقوم فلسفتها على توافق البناء مع البيئة، ومواده المستخدمة من البيئة، أي من التراب والأخشاب المتوفرة بكثرة، وسهولة تناولها من الجميع بأقل التكاليف، وأطلق على مشروعه اسم (القرية المصرية) التي واجهت صعوبات الروتين الإداري وصعوبات التمويل مما عرقل إكمال المشروع الذي تعثر وتوقف.

وتعتبر الأتارب إحدى القرى التابعة والقريبة من مدينة حلب، وإذا وضع الميّت في قبره و[أتربه]أهله أي أهالوا عليه التراب، ومن[أترب] من الناس أي استغنى، كأنه صار له من المال بقدر التراب، أما [المَتْرَبة] فهي المسكنة والفاقة، ومسكين ذو متربة أي لصق بالتراب.

و الشخص الذي يكون من نفس العمر يقال له: [التّرْب] وهو اللّدة أي المعادل في السن و العمر وجمعه[أتراب] ومنه يكون المعنى للآية الكريمة [عُرُباً أتراباً] أي متحببات لأزواجهن جميلات صغيرات يتعادلن في السن، والآية التي تحكي عن خلق الإنسان:[خلق الإنسان من ماء دافق يخرج من بين الصلب و الترائب] أي من بين عظام الظهر و عظام الصدر.

والذاكرة الشعبية تختزن الكثير من هذه المعاني، فمن اشترى حاجة رخيصة فيقال: (اشتراها بتراب المصاري) أي بسعر رخيص جداً، ومن تشبّث برأيه مُعانداً فيقال له: (اِطْلَعْها من التَربيَة) أي خرج عند المألوف، وأيضاً التُربة يطلقونها اصطلاحاً على المقبرة، و للتعبير عن مقاطعة صديق، وكان قد أتى هذا الصديق في وقت المرض أو عند الوفاة، فيقولون له:

(صديقاً ما بكى عندي و أنا حيّ = ما أريده عند هيلات التراب)، أي عندما يهيلون التُراب على الميّت.

وتبقى التُربة الصالحة هي المجال الحيويّ الأسريّ لتربية الأبناء بشكل صحيح بحنان وصبر؛ حتّى يكونوا لبنة صالحة في مجتمعاتهم، ومهما اجتهدنا في سبر أغوار التُربة فإن الخير الحقيقيّ كامنٌ فيها، ويبقى الغيث و المطر هو الحياة لهذه التربة والتي تعيش وتنتشي من جديد، وتخرج الخير للبشر الذين ينعمون بها.

العرج.. و .. العرجان

الصحابي (عمرو بن الجموح) رضي الله عنه، منعه أبناؤه من الخروج في معركة بدر، وذلك لكبر سنّه، فأصرّ على الخروج للجهاد، فاستعانوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمره بالبقاء في المدينة، فبقي.

وتكرر الأمر عندما أصرّ على الخروج في معركة أُحُدٍ أمام ممانعة أبنائه فلما أكثروا عليه ذهب للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخبره بالتالي: (إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك إلى الجهاد)، فقال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إنّ الله قد عذرك)، فقال: يا رسول، و الله إن لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فأخذ سلاحه، وقال: اللهم ارزقني الشهادة و لا تردّني إلى أهلي. و نال ما تمنى، وكان قد بلغ الثمانين من العمر يومها.

ومن (عَرَج) فهو الذي من كان شيء في رجله فمشي مشية (العُرجان) فإن كان خِلْقَةً فهو أعرج، ووصف مشية الأعرج يقال لها (العَرَجان).

أما الأمير الكبير عبد الرحمن اللّخمي الذي تولى بإقليم المغرب وأحد قادة فتح الأندلس، قيل أنه كان مولىً لامرأة من لَخَمْ، وقيل ولاءه لبني أمية وكان أعرجاً مهيباً، ذا رأي وحزم.

وكذلك تيمورلنك، والذي تبين أن اسمه الأساسي" تيمور" ومعناه بالتترية الحديد، لكن في صغره أصيبت ساقه فأضافوا لاسمه كلمة (لنك) أي الأعرج، و تيمورلنك تكون بمعنى تيمور الأعرج، وهو من أحفاد جنكيز خان ، وولد في مدينة سمرقند ١٣٣٦م، واتخذها عاصمة له لما أصبح سلطاناً على ما وراء النهر ومن ثم امتد نفوذه حتى وصل للشام.

لكن أمير البحر عرّوج و أخيه خير الدين بربروسا، كان لهما الفضل في بناء أسطول إسلامي في البحر المتوسط انطلاقاً من موانئ الجزائر فقاوم نفوذ الفرنجة ولجم تمدد نفوذه باتجاه الجنوب، وكذلك توحيد معظم مدن الساحل تحت إمرتهما بعد تحريرها، و قتل عرّوج في العام ١٥١٨م أثناء حصار مدينة تلمسان الذي دام لمدة ستة أشهر.

أما العرج البَيّن، وهو الذي يمنع البهيمة من مُسايرة السَليمة في ممشاها، والذي يعدّ عيباً يمنع من أن تكون أُضحِيَة، ولا تجزئ، إضافة للعيوب الأخرى المفصلة في كتب الفقه. وقد قيل بعد ما سبق ذكره: (أن كل ذي عاهة جبّار).

ولم تزل أرواح المؤمنين تهفو لزيارة القدس والمسجد الأقصى الأسير، والذي يعدّ أولى القبلتين؛ ولأن النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أُسرِي به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومن ثم عرج به إلى السماء السابعة ارتقاءً، وهو كناية عن امتداد سلسلة التوحيد من خلال الأنبياء جميعاً، وأنهم جميعاً على أمر واحد جاء من مشكاة واحدة. وذلك لما جرى في هذه الليلة المباركة من أمور عظيمة.

والمعراج هو السُلّم، ومنه ليلة المعراج والجمع معارج و معاريج و المعارج أيضاً تكون المصاعد، وتكون سورة المعارج من القرآن الكريم في الجزء التاسع والعشرون منه، وقد حددت في بدايتها مقدار أيام الله [سأل سائل بعذاب واقع، للكافرين ليس له دافع، من الله ذي المعارج، تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة] وليس من المعلوم هل هي بمقدار أيامنا أم لا؟. والله أعلم.

ومن أقام في مدينة الرياض في السعودية، لابد أن يكون قد عرّج على حيّ العُرَيْجَه لزيارة صديق أو القيام بعمل ما. و وادي العَرْجَا يعتبر أحد روافد نهر الأردن الذي يصب في البحر الميّت.

وثقافياً فقد جاء كتاب "عثمان بن عفّان الخليفة المفترى عليه" للكاتب الإسلامي محمد الصادق عرجون، خريدة تاريخيّة فنّدتِ الكثير من الشّبهات المُثارة حول الخليفة الثالث.

وكذلك يعتبر كتاب (الأمير- للكاتب الجزائري واسيني الأعرج)، من الروايات المُهمّة والمتميّزة على صعيد الرواية العربية و العالميّة، المُرتبطة بتاريخ النضال ضد الإستعمار الفرنسيّ، حيث يتحدّث فيها الروائي عن تاريخ الأمير عبد القادر الجزائري و الثورة الجزائريّة.

وفي ذاكرة التراث الشعبي، تكون (العُرْجة) من لوازم زينة المرأة الحورانية في المناسبات والأفراح، وهي كناية عن قطعة قماشية مطرزة بالخرز الناعم والصغير جداً، بألوانه الزاهية و أشكاله الجميلة. وقد ثبتت الليرات الذهبيّة التي تتدلى على الوجه وجوانبه، بعد أن تعتمرها المرأة على رأسها، مع لوازم الزينة الأخرى، مثل (الكردان) الذي يتدلى على الصدر، والجُبّة الحمراء المطرزة، وكحل العيون والأساور المتلألئة على المعاصم أثناء الرقص على إيقاع هادي ومؤثر في النفس ويطرب له العقل. وقيل: (لا تعرُج بين المكرسحين). فمثله كبائع الماء في حارة السقائين. وستبقى العدالة هي ميزان الحياة الصحيح للجميع، ولكنها تكبو حينما و تتكبل إرادتها، و تُرْتهن للانتهازيين الذين اعتلوا قوسها، فأصبحت عرجاء فتضعف عن القيام بواجباتها تجاه حقوق البشر، و صيانتها، وعدالة الكمال هي عدالة الله.

الحلالُ بين .. و .. الحرام بين

سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ سار من مدينة أور في العراق إلى الموقع الذي بنى فيه "الكعبة" المشرفة، والذي أصبح فيما بعد البلد الحرام مكة، والتي احتضنت بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهناك وضع إبراهيم امرأته هاجر وابنه اسماعيل وغادرهما، بعد أن أوكل أمرهما إلى الله، ليعود إليهما بعد سنين طويلة، وقد كبر ابنه، وأراد ذبحه لرؤية رآها وهي أن الله أمره فيها أن يذبح ابنه الوحيد والذي جاءه على كِبَرٍ في سنّه ، ومن ثم قام ببناء الكعبة بمساعدة اسماعيل، وكل ذلك تنفيذ لأمر الله، ودعا إبراهيم عليه السلام: (رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) إبراهيم٣٧.

قبل مجيء الإسلام كانت العرب تعظم الكعبة، وجعلوا من الأشهر الحرُم، وهي:(ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم ورجب) بمثابة هدنة وتحطّ الحرب أوزارها فيها، ويستطيعون زيارة الكعبة ودخول مكة رغم العداوة المتأججة بينهم، و يطوفون بالبيت وهم عراة و يترافق

ذلك مع التصفيق والتصفير، وكان لكل قبيلة منهم تلبية خاصة بتلك القبيلة ويذكر فيها صنم القبيلة.

وقيل رجلٌ (حرام) أي مُحرِمٌ والجمع (حُرُم) ومن الشهور أربعة حُرُم وكانت العرب لا تستحل القتال فيها، إلاّ حيّان من العرب هما(خثعم و طيء)، فإنهما كانا يستحلاّن حرمة الشهور، والمُحرّم هو أول شهر تبدأ به السنة الهجرية.

و (الحُرْمُ) هو الإحرام، وأن يلبس الحاج أو المعتمر الأبيض من الثياب غير المخيط، وهو كناية عن المساواة بين المؤمنين كافة أمام ربهم عند بيته المحرّم، وفيه تجرّد من الدنيا والإقبال على الله وانقطاع العقل والفكر والقلب وكافة الجوارح لله. و(الحُرمة) مالا يحلّ انتهاكه.

وما قصيدة (نهج البردة) للشاعر أحمد شوقي، تعدّ أجمل ما كتب في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، بافتتاحية رائعة:

ريمٌ على القاع بين البان والعلم = أحلّ سفك دمي في الأشهر الحُرُم

والحرامُ ضد الحلال بشكل عام، وهذان الضدان هما حجر الارتكاز في كل الشرائع السماوية ومن بعدها الشرائع السماوية. فالكلّ يؤكد على حرمة دم الإنسان الذي أول ما سفك في تاريخ البشرية على يد قابيل واستمرت هذه السيرة في الحياة التي حادت وتنكبّت لكل الشرائع، والتي لم تتوقف يوما عن الإيغال بوتيرة تفوق كل وصف.

وقد نظمت الشرائع السماوية الحياة بما تليق بكرامة وإنسانية الإنسان، وجعلت كل ضرر للآخرين حرام، وذلك ضمن ضوابط وشروط.. ومن يُسجن فقد حُرم من حريته، وحرماننا من النِّعَم هو بما أصابت أيدينا من الذنوب، ومن حُرِم من رحمة الله فقد هَلَكْ.

ويقولون: (أولاد الحرام لم يتركوا لأولاد الحلال مكان)، ومن أطلقت عليه صفة ابن الحرام فيكون ابن الزنا ولم يعرف أبيه، وكذلك تلق على الشخص الشاذ والقاسي بطباعه وأفعاله وأقواله، ولا يراعي حقوق الآخرين و مؤذياً بإهلاك الحرث والنسل. و (الحِرْمةُ) الغُلمة، حينما يكون الشخص غلاماً ناشئاً، وقد ورد في الحديث: (الذين تُدركهم الساعة، تُبعث عليهم الحِرْمة و يُسلبون الحياء) و الغُلْمة من الغلام وتصرفات الصبيانية لمبتعدة عن مواطن التعقل والمعقول.

و(الحُرْمَّة) مالا يحل انتهاكه، و (حُرْمَة) الرجل حَرَمه وأهله، وقد ظهرت في قصور الحكّام والخلفاء أقسام خاصة بالنساء والحريم أطلق عليها اسم (الحرملك)، ويمنع اقتراب الرجال من غير ذوي المحارم والإقتراب والدخول على أماكن تواجد النساء، وقد نسجت الكثير من الأفكار والخيالات حول عالم الحرملك المثير بأسراره العميقة والكثيرة، وفي المدن الكبرى هناك أسوق الحريم متخصصة في بيع ألبسة والأزياء وأدوات الزّينة للحريم.

وفي صغري كنت أستغرق كثيراً في قصة علي بابا والأربعين حرامي المثيرة بطرافتها، لما فيها الكثير من المواقف النبيلة للبطل

المخلّص للمظلومين و استرداد حقوقهم، و الحراميّة قوم من الناس استحلوا حرمة البيوت والأموال في ظلام الليل، و هو الوقت المفضل لديهم، وكما يقال فالليل ستّار العيوب. ولكن من قرأ في كتاب السياسة بين الحلال والحرام للمفكر تركي الحَمَدْ، لابد له من التوقف والتأمل العميق في الجديد في عالم الفكر، والمثير وأخيراً وليس آخراً، فقد ورد عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: (إنّ الحلال بَيّنٌ وإنّ الحرام بَيّنٌ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحِمَى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لِكُلّ مَلِكٍ حِمَىً، ألا وإنّ حِمَى الله محارمُه، ألا وإن في الجسد مُضْغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

العمود النبطي ..و.. حوريات الماء

يعتبر العمود النبطي خلف البوابة النبطية، أحد الآثار الشامخة في مدينتي بصرى الشام، والشاهدة لحضارة عربية أُبيدت على يد الغزاة الرومان، وغير بعيد منه تقوم أعمدة حوريات معبد الماء و التي ترتفع ١٤ متراً ومحيطها ١٢٠سم تبعث في النفس الدهشة والعجب، باصطفاف عجيب وهي أربعة أعمدة.

وفي الكعبة المشرفة يوجد بداخلها ثلاثة أعمدة مرصوصة في صف واحد، وهي تقريباً في وسط الكعبة مصفوفة من الشمال إلي الجنوب، تكون على اليمين بالنسبة للداخل إلى الكعبة. ومحيط كل عامود منها ١٥٠سم تقريباً وبقطر ٤٤سم ، ولكل منها قاعدة مربعة خشبية منقوشة بالحفر على الخشب ... وهذه الأعمدة الثلاثة مرتفعة إلى السقف الأول الذي يلي الكعبة المشرفة ولا تنفذ من هذا السقف إلى السقف الأعلى الذي يلي السماء، ولكن جعلت عدة أخشاب بعضها فوق بعض على رؤوس هذه الأعمدة الثلاثة من داخل السقفين إلى أن تصل إلى السقف الأعلى، فتكون هذه الأعمدة الثلاثة بهذه الصفة حاملة للسقفين المذكورين.

وكذلك العمود الذي في (مِنَى) موقع رمي الجمرات، وهو يتوسّط الحوض الذي تُرمى به الحَصَوَات رجماً للشيطان، وهو المكان الذي ظهر فيه الشيطان لسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ لكي يُثنيه عن رأيه في إطاعة أمر الله، ويرجع إلى زوجته وابنه بعد أو تركهما لأمر الله.

ومعبد عرش بلقيس، والمعروف بمعبد "الشمس" يُشكّل اليوم على أرض مأرب بأعمدته الستة وساحته وبيت الصلاة وأروقته الفسيحة، معلماً بارزاً للحضارة السبئية القديمة، ويقع في الجنوب الغربي من مدينة مأرب عاصمة مملكة سبأ، ويبعد عنها حوالي ٤ كم، فلم يبق منه إلا ستة أعمدة، و كل عمود قطعة حجرية واحدة، تم نحتها ويبلغ طول العمود حوالي ١٢ متر وتزن أكثر من ٨ طن تقريباً. قال الله تعالى على لسان النبي سليمان عليه الصلاة والسلام: (قَالَ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ).

إرَم ذات العماد هي مدينة عربية كانت مفقودة قبل عمليات البحث المستميتة للكشف عنها وقد كانت تعد من الأساطير بالنسبة لغير المسلمين، حيث أن المسلمين يؤمنون بوجودها بسبب ذكرها في القرآن الكريم. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم، حيث ذكر في القرآن أن سكانها كانوا من العرب البائدة من قبيلة عاد، ويذكر بعض الباحثين أن ملك هذه المدينة كان يدعى شدّاد بن عاد حيث أنه أراد أن يقيم الجنة الموعودة في الأرض، ويقال أن لهذا الملك أخ اسمه شديد بن عاد.

ولكن في مطلع سنة ١٩٩٨م، تم اكتشاف مدينة إرم ذات العماد في منطقة الشصر في صحراء ظفار في سلطنة عُمان، ويبعد مكان الاكتشاف ما يقارب ١٥٠ كيلو متر شمال مدينة صلالة و٨٠ كيلو متر من مدينة ثمريت. وقد ذكرت مدينة إرم وسكانها قوم عاد في القرآن الكريم في أكثر من آية كما في قوله تعالى: (إرم ذات العماد* التي لم يخلق مثلها في البلاد) سورة الفجر. وفي تفسير ما جاء عن قوم (عاد) في القرآن الكريم، فذكروا أنّهم كانوا من(العرب البائدة) وهو تعبير يضم كثيراً من الأمم التي اندثرت قبل بعثة النبي محمد ـ صلي الله عليه وسلم ـ بمئات السنين، ومنهم قوم عاد، وثمود وعلموا من آيات القرآن الكريم أن مساكن قوم عاد كانت بالأحقاف (جمع حقف أي: الرمل المائل)، وهي جزء من جنوب شرقي الربع الخالي بين حضرموت جنوبا، والربع الخالي شمالا، وعمان شرقا، أي ظفار حاليا ، كما علموا من القرآن الكريم أن نبيهم كان سيدنا هود عليه السلام، وقيل: أن عاد هو أبيهم، وقيل: أن إرَم أمهم، وقيل اسم بلدته.

وفي زيارتي لمدينة طرابلس الغرب قبل سنوات إبّان بداية الألفيّة الثانية، وقفت باندهاش عجيب أمام مجموعة من العمارات الشاهقة في الوسط التجاري، والتي سميّت "ذات العماد" كون كلّ عمارة منها تقوم على عمود واحد.

وفي أيّام الحروب الصليبيّة، برز القائد عماد الدين زنكي، وهو من أبرز قادة الأمة. إذ عمل أولاً على توحيد الصفوف، ومن ثم تحرير

بلاد الشام وتوحيدها للمعركة الكبرى. كما شاع اسم عماد بين الناس، وكذلك أصبحت رتبة العماد في بعض البلاد كسورية مثلاً من أرفع الرتب العسكرية، والعِماد ما يُعْتَمَد عليه في رسم الخطط العسكرية وتنظيم الجيوش .

وقد جرى تعميد السيد المسيح على الضفة الشرقية لبحيرة طبريا في نهر الأردن، و كلمة المعمودية تعنى (الإغتسال أو التطهير)، و المعموديّة في الديانة المسيحيّة هي سرّ إلهيّ من أسرار الكنيسة، ويتوجب على كل مسيحي أن يُعمّد كختم لإيمانه، والمعموديّة طقس الغسل بالماء للتطهير الدينيّ، أي أنّ المعموديّة في العهد الجديد حلّت محل الختان في العهد القديم.

ويُعتبر نظام العُمُوديّة في جمهورية مصر، يماثل نظام المخترة (المخاتير) في الدول الأخرى، والذي يكون أولى حلقات التواصل فيما بين السلطات وبين الناس وكل معاملة تبدأ من عند المختار(العمدة)، وفي السنوات الأخيرة أصبحت بعض النسوة في مقام العمدة. والعمدة ما يُعتمد عليه، ومن عَمَد إلى شيء فيكون قد قصده، وعمود القوم يكون عميدهم فهو سيّدهم، وقد شاع استعمال تعبير عميد الأسرة لمن يكون وجيهاً بين أهله وأقاربه، وأصبحت العميد رتبة عسكرية، وابن العميد هو جرجس بن العميد، وهو أحد علماء اللغة العربية والقبطية، وقد عاصر السلاطين الأيوبيين، من أهم مؤلفاته "مختصر البيان في تحقيق الإيمان" أو(الحاوي)، وكتاب (أخبار الأيوبيين)، و فريضة الصلاة هي عماد الدين من أقامها فقد

أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين، وعَنْ أبي الدرداء، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم :(**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ عَمُودَ الإِسْلامِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، وَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي فَحَمَلَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلا وَإِنَّ الإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ، بِالشَّام**).

اللهم احفظ الشام وأهلها من الفتن و أهل الفتن.

لو سرت بنا.. إلى.. برك الغماد

تعدّ معركة بدر الكبرى من أعظم المشاهد على الإطلاق في تاريخ الإسلام لعظيم الأثر الذي تركته فيما بعد، وانعكس على مستقبل الإسلام في الجزيرة العربية وكان موقف "صاحب المقام المحمود" المقداد بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ حينما وقف، وقال: يا رسول الله امْضِ لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: "اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، بل نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، والذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغِماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، و لنقاتلنّ عن يمينك وعن يسارك وبين يديك حتى يفتح الله لك". فاستبشر وتهلل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبَرْكُ الغماد بفتح الباء وكسرها وتضم الغين وتكسر وهو اسم موضع باليمن، وقيل هو موضع وراء مكة بخمس ليال. وكل ذلك كناية عن التصميم على ثبات الموقف، وعدم التراجع عن الجهاد في سبيل الله. و في اللغة تكون البِرْكة كالحوض، والجمع البِرَكْ، وقيل سميّت بذلك لإقامة الماء فيها.

والبَرْكُة الدبّاغة وبرْكة الحّاج، هما من المعالم السياحية الرائعة في مدينتي بصرى الشام، وهما من الآثار الرومانية التي أنشئت لتخزين المياه المتحدرة من مرتفعات جبل حوران، مما ساهم في ازدهار المدينة على مرّ العصور المتعاقبة، إلى جانب منهل الجهير؛ ولأنها شحيحة بمصادر المياه بسبب ارتفاعها لحوالي ٩٠٠ متر فوق سطح البحر.

ونحن معاشر الفلاحين، فقد كانت الجِمال هي أحد مكونات حياتنا، فإذا بَرَكَ البعير أي استناخه، وهذا يحتاج للشدة و القوة التي كان يمتاز بها جارنا الحج منوّخ الذي طعن في التسعين وكان لا يزال قويّ البنية الجسدية، وهو الذي لم يزر الطبيب في حياته ـ رحمه الله تعالى ـ وفي الأمثال الشعبية يقولون: (إذا قام جمل بَرَكَ مكانه آخر).

وفي مواسم الحصاد في الصيف، تكون أكداس الزرع المحصود قد تجمعت في البيادر التي نقصدها، لأخذ البُرْكَة، وهي عبارة عن حفنات من القمح أو الشعير أو أي شيء، نأخذه لشراء الحلويات وما يروق لنا، ومن مرّ من جانب جماعة الحصّادين أو عمّال البيدر، فينادي عليهم: (على البَركةْ أو حلّتْ البَرَكة) أي دعاء لهم بأن تحلّ البركات عليهم والنماء، وكذلك التبريكات هي دعاء بالبركة، ويقال: (بارك) الله لك وفيك وعليك وباركك، هذا ما يحصل في المناسبات والأفراح، من الأهل والأصدقاء والأحبة.

وهناك في الجانب الشرقي الشمالي لبصرى الشام، المعلم الروحي (مَبْرك الناقة)، وهو المكان الذي يعتقد الناس أنه المكان الذي بَرَكتْ

فيه ناقة الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما زار بصرى في التجارة مع عمّه أبي طالب، حينما التقى بالراهب بحيرا، أو في المرّة الثانية عندما جاء في تجارة السيّدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، والأثبت تاريخياً، أنه المكان الذي بركت فيه الناقة التي حملت نسخة مصحف الشام التي وزعها سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه على الأمصار، وهي محفوظة للآن في متحف إستانبول الإسلاميّ. وقد بُنِيَ في العهد الأيوبي على هذا المكان مدرسة علميّة ومسجد وقاعات للدرس.

وسورة المُلك في القرآن الكريم كذلك يطلقون عليها سورة تبارك، لأنها تبتدئ (تبارك الذي بيده المُلْك)، ومن تبرّكَ به، يكون قد تيمّن به، ومن ذلك فإنه لا يجوز التبرك بقبور الأولياء والصالحين، أو استجداء الخير أو شفاء مرض، فإنه من ألوان الشرك والبدع المخالفة لروح العقيدة والتوحيد.

أما المناضل و السياسي المغربي المهدي بن بركة المولود ١٩٢٠م، كان ضمن الوفد المغربي المفاوض للفرنسيين للجلاء عن المغرب، وتكللت الجهود في الجلاء الفرنسي التّام عن البلاد وإعلان الاستقلال، وعودة الملك محمد الخامس للمغرب، ولكن في العام ١٩٦٥ اختفى المهدي في شمال فرنسا ولا يزال مصيره مجهولاً.

وهناك مجموعة من الأسماء مشتقّة من هذا الجذر اللغوي(برك)، مثل (مبارك، مبروك، مبروكة، بَرَكَة، بريك ... إلخ).

إطلالة جميلة ورائعة توخيت فيها الإلمام بشيء من جوانب الجذر اللغوي الجميل وتسليط الضوء من خلاله على مختلف الاستخدامات في الحياة، أرجو أن أكون قد قاربت التوفيق..

الولاية.. و .. الولاة

تعود بي الذاكرة إلى الخوف الذي كان يداهمني ليلاً، عندما أمرّ من جانب قبر أحد الأولياء، تكاد الدماء تتجمد في عروقي، وقدماي تصطّكان ببعضهما، وأنفاسي حرّى بصعوبة بالغة تخرج وتدخل، مترافقة مع دقات قلبي المتوتر متسرّعاً، عوضاً عن التعثر بالحجارة الناتئة في الزقاق، ولساني لا يتوقف عن تلاوة آية الكرسي والمعوّذات، حتى أتجاوز تلك النقطة المعتمة المخيفة، و المستكنّة في عقلي وقلبي مما أسمع من الروايات الكثيرة المتناقلة عن هذه القبور، والاعتقادات المتداولة على ألسنة أهل بصرى الذين ينسجون من وَهْمِ خيالاتهم من المعجزات الخارقة لأصحاب هذه القبور، والتي كثيراً لا تتفق مع العقل.

وبهذا يكون الوَلْيُ بسكون اللام القُرب والدنّو، ويقال تباعد بعد وَلْيِ، ومن ذلك أولياء الله القريبين من الله ورضاه [أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ] يونس٦٢. و الوَلِيّ اسم من أسماء الله الحسنى، ومنه أصبح كلمة عبد لأحد هذه الأسماء لازمة، فيكون اسم عبد الولي، حيث أن العبودية لا تكون إلاّ لله وحده.

و لا يزال الوالي في بعض الدول يتمتع بالقيام على شؤون ولايته، ومن أوْلاه هذا المنصب، فوَلِيَهُ هو فأصبح والياً على البلد يأمر فيطاع، وينهي فيسمع كلامه، أما كلمة إمارة، بمعنى ولاية، معروفة ومتداولة، فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يؤمر على السرايا ويبعث على أموال الزكاة السُّعاةُ، وهذا النوع من الإمارة يمكن أن يسمى بـ (إمارة المهمة) أي أن إمارة هؤلاء الرجال من المسلمين كانت تنتهي بانتهاء المهمة التي نُدِبوا إليها. وهناك نوع آخر من أنواع الإمارة يقترب كثيرا من مفهوم الإمارة اليوم، وهو ما يمكن أن يسمى بإمارة الولاية. ولا تزال إمارة عُمان والجزائر وتونس، وبعض الدول العربية تعمل بهذا النظام الإداري ذي المنشأ العربي أساساً، كما أن هناك دولة الإمارات العربية المتحدة التي تتشكل من سبع إمارات في اتحاد (كونفدرالي)، لكل إمارة أميرها يتمتع بخصوصية داخل إمارته وهناك الوزارات السيادية و الاتحادية تمثل الدولة كافة، كما أن إمارة موناكو لا تزال تحظى باستقلال شبه تام، ضمن السيادة الفرنسية. أما بصرى الشام فقد كانت عاصمة الولاية العربية، إبان حكم الإمبراطور تراجان، بعد أن اتخذها الأنباط العرب عاصمة تجارية لهم، بينما بقيت البتراء عاصمتهم السياسية.

ومن وَلِيَ أمرَ شخص آخر يعتبر وَلِيُّ أمره، والأب وليُّ أمر ابنه و ابنته، فهو مسؤول عنهم عُرفاً وقانوناً ما داموا تحت السن القانونية، كما أنه لا نكاح إلاّ بِوَلِيٍّ أي الأب أو من يقوم مقامه و الوُلْيا في المرأة، وكثيراً مال يطلقون على النساء الولايا، ومنهم من يدعو

بطريقة الرجاء لأمر ما: (الله يستر على وَلَاياك)، وكل من وَلِيَ أمْرَ واحدٍ فهو وَلِيّهُ.

وعلى هذا تكون الوِلَاية هي السلطان، والوَلاية و الوِلاية، بالكسر أو الفتح النُّصْرة. وولي الأمر الحاكم وأي سلطة عليا للرئاسة مهما تعدّدَتْ أسماؤها و أشكالها، وإطاعته واجبة في كل مصلحة وطاعة، وهذا المعنى يعززه الخطاب الأول لسيدنا أبو بكر عند مبايعته: (أطيعوني ما أطعت الله فيكم)، ومن طلب الولاية لا يُوَلّى. وقد ورد عن النبي ـ صلى الله عليه سلم ـ: (من وَلِيَ من أمر أمتي شيئاً، فشقّ عليهم، فأشقق عليه)، والمشقة تكون بالظلم والجور.

ويتعدد مفهوم الولاية، فمن ولاّه الأمير بعمل ما، وإذا ولاّه ببيع الشيء، وقد تولّى العمل، ومن تولّى عن أمر فقد أعرض عنه، ومن ولّى هارباً فقد أدبر، والتولّي يوم الزحف عند ملاقاة العدو من الكبائر، وقوله تعالى: (ولكلٍّ وجْهَةٌ هو مُوَليّها)، أي مستقبلها بوجهه، ومنه الوَلْيُ ضد العدوّ.

وفي العهد الأموي ظهرت طبقة الموالي، وهم من المولدين ما بين العرب والأعاجم و المولى المُعتِقُ والمُعتَق، وابن العمّ و الناصرُ والجار والحليف، ومنه الولاءُ للمُعتِقِ، ورجلٌ وِلاء أي تابع، والوِلاء في فعل الأشياء أي متتابعة، ومن توالت عليه الأيام فتكون قد تتابعت، و المتوالي مصطلح يطلق على من يعتنق المذهب الشيعي، وهو من المتابِعَة لمذهب آل بيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتكون بتفسير آخر، أي مُتْ وأنت مُوالٍ لِعَلِيٍّ، وكلها من المتابعة،

أما معنى الولاء و البراء، أي ولاء المؤمنين ومتابعتهم لبعضهم على أن يكونوا يداً واحدةً على من هم سواهم، و البراء من الكُفّار.

ومن الأسماء الرقيقة المحببة للنفس و التي ظهرت حديثاً اسم ولاء ويستخدمونه للمؤنث والمذكر، على خلاف براء والذي يبدو أنه فقط للمذكر، حيث يعتبر البراء بن عازب من سادات الصحابة.

أما فئة السياسيين و القادة العسكريين أو المهووسين الطامحين لِتَسَنُّم الإمارة و القيادة؛ فيقومون بالاستيلاء على مقاليد الحكم مستخدمين الدسائس والمؤامرات والوعود، للقفز لِسدّة الحكم منقلبين على الشرعية أو الوضع الموجود. وهو بذلك يكون قد بلغ الغاية، وبسط شِرْعَةَ الغلبة والقهر .

و الاستيلاء على مقاليد الحكم والأرض والأشياء والاستحواذ على كل شيء في الحياة أخذه بالقوة والغلبة. والمُوالاة هم أهل الأمر والحكم، ومن يضرب بسيفهم ويدور في فلكهم من المنتفعين وأصحاب المصالح، وهم حلف ضد المعاداة

(المعارضة)، في أي أمر يكون، وتعتبر المُولاة في الوضوء بتتابع تنفيذ أركانه مباشرة بلا فاصل طويل.

سعادة غامرة تتجلى بقلبي وأنا أتجول في رحاب تلك المادة اللغوية الجميلة والتي كانت سبباً في توارد الأفكار وتوليد بعضها، على ضوء استخداماتها وهي من صميم تفرعاتها، مقاربة ودنو من كلمة وَلَى، ويُقالُ: (تباعدٌ بعد وَلْيٍ).

الصراف الآلي ..

أصبحت المصارف بأنواعها في العصر الحاضر ذات مصداقيةٍ كبيرة لدى الناس على مختلف انتماءاتهم، من خلال سريّة تعاملها مع زبائنها، وتأدية طلباتهم من المال في أي وقت يطلبون تأديتها، حتى بإمكانهم سحْبُ النقود وإن كان رصيدهم فارغاً من الأموال. فكلمة البنك التي شاعت كثيراً، حتى كأنها من أصل عربي، ولكنها في طريقها للتعريب، فهو مستودع أمين لكي يودعوا فيها أموالهم وأشيائهم الثمينة التي يدخرونها بالمصارف بدلاً من بيوتهم. وأصبحت المصارف تقوم بكافة التمويلات للمشاريع التجارية والصناعية والعمرانية.

واتخذت المصارف كل التسهيلات التي توفر الوقت والجهد على عملائها بوجود أجهزة الصرّاف الآلي، التي تعمل على مدار الساعة، من خلال بطاقات - الفيزا كارد - التي تؤهلك بالتعامل مع حسابك في معظم دول العالم من خلال الربط بين شبكة المصارف، وأثناء تواجدي للعمل في أبو ظبي، كانت تستهويني متعة التسوق في الأسواق الكبيرة والجميلة، بما تحتوي من كل الأشياء التي نعرفها أو لا نعرفها. بيسرٍ وسهوله بطريقة عرضها المغرية

للشراء، تشتري ما يناسبك وحسب قدرتك المادية، حيث أن لكل حاجة سعرها مكتوب عليها، وكثيراً لم أكن أحمل في جيوبي النقود، بل أناولهم بطاقة الصراف الآلية (الفيزا كارد)، وأدفع لهم قيمة مشترياتي، وقد استغرب بعضهم مني وصف المصارف بأنها سجون حصينة للأموال، أو إذا تلطفنا فممكن أن تكون قلعة حصينة، ولكن مع ذلك نسمع كثيراً عن عمليات السطو، و النّصب والاحتيال على المصارف والبنوك.

وأعتى هذه البنوك على الإطلاق هو البنك الدولي، والذي يبدو أنه كثيراً ما يفرض الشروط القاسية على الدول المقترضة، تنفيذاً لأجندات الدول الممولة، ومن خلال هذه المؤسسة الدولية تبدو ملامح السيطرة والهيمنة الاستعمارية على مقدرات البلدان المحتاجة وسبيلاً لمصادرة قرارها السيادي.

و قريب من مجال المصارف محلات تصريف العملات وتحويلها، وهي تعتبر جديدة نوعاً ما على مجتمعاتنا، وعملها يعتبر مصغراً وموازياً لعمل المصارف الكبيرة، وإن كان بدرجة أقل، وذلك من خلال التطور الذي حدث في السنوات الأخيرة من سرعة انتقال الأموال بين الدول من خلال سرعة الاتصالات الحديثة بكافة أشكالها. والصيرفي والصرّاف يطلقان على الرجل الذي يقوم بعملية استبدال العملات، ويقال: صرفتُ الدراهم والدنانير، وبين الدرهمين صرفٌ، أي فضل لجودة أحدهما، وهؤلاء القوم هم طائفة الصيارفة و الصرّافون. ولكن من طلب صَرْفَ الحديث فهو المُتَشَدّق به، أو

تزيينه بالزيادة فيه أو النقصان، حيث ممكن أن يصل لدرجة الكذب والتزوير، ولم أكن أفقهُ معنى كلمة (بِتَصَرّف) المكتوبة تحت نص منقول أو مترجم، و بهذه الصيغة، بل كنت أحملها على أنه ترجمها بأسلوبه، بما يتناسب مع مقصوده من الترجمة ويخدم هدفه.

ومن يعمل سوءً وهو مستخدم بأحد وظائف الدولة فإنه يُصرف من الخدمة العامة صرفاً تعسفياَ، وكذلك عندما ينصرف الطلاب من مدارسهم عائدين لبيوتهم، وساعة الانصراف في العمل هي الإذن بانتهاء الدوام. وصرفتُ الرجل عني فانصرف، والمُنْصَرَف المكان والمصدر، ومن أطلق يد آخر في أموره و أمواله يتصرف بها كيف يشاء.

والخمر وكل مادة تكون صِرْفاً إذا لم يخالطها شيء، وحكاية صوت الباب ونابُ البعير ورأس القلم والريشة هو الصريف، وهو غير الصرير، وتعتبر كل أبواب الخير من مصارف الزكاة.

و الصّرْفُ التوبة، يقال لا يُقبل منه صرف ولا عدلٌ، وهو كذلك الحيلة، ومنه قولهم: (إنه ليتصرّف بالأمور)، وقال تعالى:[فلا يستطيعون صرفاً ولا نصراً] - الفرقان١٩- .

ومهما أوتينا من قوة فلن نستطيع رد صروف الدهر ونوائبه و حدَثانه، فما لنا من الدعاء بُدٌّ بأن يصرف الله عنّا سيّئها، وتصريف الرياح تقليبها جنوباً وشمالاً حارةً وباردةً.

ولا يزال نظام المُتَصَرِفِيّة الإداري العثماني أصلاً معمولاً به في الأردن، وهي جزء من التقسيمات الإدارية تتبع لمحافظة، والمُتَصَرّف هو رأس الهرم في متصرفيّته و أمره مطاع. وهذه التقسيمات المدنية لها من شبكات الصرف الصحي التي أصبحت لازمة لكل تجمّع سكني، من أجل الحفاظ على الصحة العامة والبيئة.

وفي مجتمعنا الفلاحي بحياته وبساطته المثيرة للنفس، فإن البقرة بما لها من حضور في حياتهم، فإذا أَصْرَفَتْ أو طلبت الصراف من خلال علامات تبدو عليها، فتكون جاهزة للتلقيح الطبيعي بأن ينزوَ عليها العالول - ذكر البقر- بطريقة لا تخلو من الإثارة لمن يحضر تلك العملية

والمتتبع بالقراءة لبداية عصر النهضة والتنوير العربي منذ منتصف القرن الثامن عشر، لا يمكن إلا أن الأديب يعقوب صرّوف أحد أركانها.

اللهم اصرف عنا الشرور والأحزان والفتن ما ظهر وما بطن، وطيّب حياتنا بالأخلاق الجميلة، واصرف عنا سيئها.

اللهم آمين

شاهد على العصر ..

المتتبع للقنوات الفضائية لا بد أن تروق له بعض البرامج، والتي تستأثر باهتمام الكثيرين مثلي، ومن ذلك برنامج شاهد على العصر، وهو وثائقي بطريقة المحاورة لتكون شهادة من الضيف على عصره الذي عاش فيه، وهو بمثابة شاهد عيان بغض النظر عن مصداقيته، ولكن على الأقل يكون صادقاً من وجهة نظره، وهو بذلك يحكي عن خبر قاطع، كونه شهد الحدث وعاينه، فهو يكون شَهِدَ الأمر شهوداً، أي حضره فهو شاهدٌ.

وهو على خلاف سمعان عبد البصير(عادل إمام) في فيلم (شاهد ما شافش حاجة) الذي يبتلى بجريمة هو لم يرتكبها، وكان منها بريئاً، ولا تزال تلك المشاهد تضحكني وأنا أتذكرها، رغم تباعد الزمان بمشاهدتها.

أما من يطلب منه الإدلاء بشهادته أمام القضاء أو في أقسام الشرطة على إثر المنازعات والمشاجرات، أو أمام الواسطة المخولة بحل الخلافات، فإن ذلك الشاهد يكون قد أدى ما عنده من الشهادة، فهو شاهدٌ والجمع منه شُهْدٌ و شهودٌ وأشهاد.

وتكون شهادة الرجل في مثل تلك المواقف بشهادة امرأتين، وذلك إذا ضلّت إحداهما أن تُذكّر إحداهما الأخرى، وللعاطفة التي ربما تأخذ بقلب المرأة رأفة بالمشهود عليه.

والشهيد والشاهد والجمع شهداء، ويكون قد أشهده على كذا مشهد، ومن طلب الشهادة من آخر فهو قد استشهده وسأله أن يشهد بما رأى ووعى مما طلب منه.

لكن في القتال والمعارك، فمن قُتل فيها في سبيل الله تعالى فهو الشهيد و الاسم الشهادة، والشهداء لهم المقام الأعلى والأسمى في الجنة، وإكراماً له لا يُغسّل ولا يُكفّن ويدفن بثيابه التي قتل بها، ويأتي يوم القيامة اللون لون دم والريح ريح مسكٍ، وهو بذلك اكتسب هذه الأهمية في كونه قد ضحى أغلى ما يملك وهو نفسه، لتكون كلمة الله هي العليا، وكذلك اتسع مقام الشهيد لمن قُتِل دون ماله وعرضه والغريق والحريق والمسافر الذي يجاهد من أجل لقمة عياله، ولكن بالتأكيد ليس مقامهم مساوٍ لمن قتل في ساحات الوغى.

أما التشهّد في الصلاة، فيكون بوسطها في الجلوس الأول فيقرأ بالتحيات ويرفع اصبعه السبابة، ومن نسي الجلوس الأول وقام للركعة التي بعده فلا يرجع للجلوس لكي لا تبطل صلاته، حيث تجبر هذه بسجود السهو قبل السلام والانتهاء من الصلاة، وفي الجلوس الأخير يقرأ كذلك التحيات مع الصلوات الإبراهيمية.

والشّهدُ بفتح الشين وضمّها هو العسل الذي يجمع، وهو ما زال في شمعه، والجمع شَهاد، ومن هذا المعنى الجميل والرقيق قد اتخذوه اسماً للبنات، ومنهن (شهد برمدا) كانت قد بدأت بممارسة الغناء وهي طفلة، والشاعرة شهد الشمّري، تأخذ بالعقل واللب، وهي تلقي الشعر النبطي.

والأكثر إثارة للمشاعر والأحاسيس في هذا المشهد، هو ما ورد في رباعيات الخيّام التي غنتها أم كلثوم: (أطفئ لظى القلب بشهد الرضاب، فإنما الأيام مثل السّحاب). ومن طريف ذلك، وبينما أنا منسجم بقص شعر لزبون، دخل أستاذ لغة عربية وقور، ناهز السبعين من عمره، فعلى سبيل الضحك، قلت له أستاذ: ألهذا الحد يمكن أن نتغنى بشخص بصق بفم حبيبه؟، وإليكم جميل الشرح باللغة العربية والتي يمكنكم الرجوع إليه على ضوء معنى كلمة رضاب.

ومن شهد عليه شاهد من أهله، فإنه مثبت ولا يحتاج لشهادة الآخرين، ولكن تبقى مجلة الشاهد متفردة بعمق طرحها الثقافي والتي تستهوي طائفة المثقفين بشكل خاص.

سادتي القراء علكم شهدتم هذا المشهد في مقالي وعلى مقالي، فما وجدتم فيه من خير فمن الله، وإذا وجدتم غير ذلك فمن نفسي والشيطان.

مدارج الصبا ..

مدارج الصبا من الأماكن المحببة لنفوسنا، رأينا النور و نسجنا أحلامنا وملاعبنا فيها تعاركنا مع أطفال الجيران، وما صورة الجد محمد الحسن المؤذن في الجامع العمري في مدينتي بصرى الشام و الذي كان على قائمة تلك المدارج الأثيرة على قلبي، وعلى مدار حوالي الأربعين عاماً، وكان بصعوده اليومي على الدرج الحجري المؤدي لأعلى مئذنة العروس، ليُبَلّغ بصرى وأهلها نداء الحق الخالد خمس مرات في اليوم، بصوته المُتهدّج، غير آبِهٍ بِحَرّ الصيف وبَرْدِ الشتاء، تحدوه همة الشباب لأن يكون على موعده بدون تقديم ولا تأخير، كان ذلك قبل مجيء الإذاعات والميكرفونات الكهربائية.

(كم من مسكن يألفه الفتى = ولكن حنينه لأول منزل)

وتكون الدّرجة هي المرقاة، وجمعها الدَّرَج الذي نرتقي منه لأماكن عليا، وهذه الأدراج على أنواع منها الحجري والخشبي والحديدي والإسمنتي، ويتوق الكثير من الموظفين في الدوائر الحكومية والشركات اكتساب الدرجات و الارتقاء في السُلّم الوظيفي، ويجتهد الطلاب والدارسون في الحصول على أعلى الدرجات في المنافسة على التفوق على أقرانهم في بلغ المراتب الأولى.

وما من زائر لمدينة بصرى الشام لا بد له من زيارة قلعتها الشامخة بدروب العز والفَخَار، فيدلف من بوابتها إلى المُدرج الذي يشبه الطفل يتهدهد في حِجْر أمه، حيث أن القلعة تحيطه من كل الجوانب كإحاطة الإسوار بالمعصم، وقد حفظته لنا من غوائل الدهر، ويقام فيه مهرجان بصرى السنوي.

وبداية مشي الطفل يقولون عنه درج، وذلك من خَطْوِهِ خُطْوَة خُطْوَة، و من درّج أمراً فيكون خطوة خطوة، ويطيب للكثير من الناس أن يتدرجوا بمشيتهم البطيئة في المساء أيام الصيف.

واجتماعياً الناس درجات ومقامات في مختلف مناحي الحياة، منهم الشريف والوجيه والقائد و الكريم والبخيل والشجاع و الجبان والغني والفقير، ومن ذلك كانت الآية الكريمة [ورفع بعضكم فوق بعض درجات] فقد فاوَتَ بينكم في الأرزاق والأخلاق، والمحاسن و المساوىء، والمناظر والأشكال و الألوان.

ويقولون لشخص طالبين إليه التأني في بلوغ أهدافه ومآربه، طلوع السُّلّم دَرَجَةً دَرَجَة ، فبذلك يكون قد سلك الطريق الآمن.

وأصبحت الأدراج الأنيقة من لوازم البيوت بشكل عام، وكذلك الأدراج لتخبئة الأوراق والأشياء الثمينة والغالية بعيداً عن عبث الأيدي واللصوص. وأصبحت رياضة الدراجات النارية والهوائية، من الرياضيات التي تحظي بتأييد شعبي لِهُواتِها، وسائقي تلك

الدراجات هم الدرّاجون، وقد تلقوا من التدريبات الهامة حتى يستطيعوا الفوز بالسباقات.

واللهجات الدارجة غالباً ما يكون لها من الخصوصية المستوحاة من الطبيعة المكانية جغرافياً وتاريخياً، الأمر الذي ربما يستعصي ببعض مفرداته المغرقة في خصوصياتها على الآخرين من غير تلك المناطق، وربما تبتعد أو تقترب من اللغة الفصيحة.

وقد درجت بعض النساء عندنا اللواتي يعانين من صعوبات في الحمل، فإنهم يذهبن لبعض من يكتبون الحجب ويعملون بالتمائم، ليكتبوا لهن حجاب اسمه (درج السبعة)، وهذا مما تعتقده بعض النساء، ويبدو أن تسميته قد أتت من (الدّرج) بسكون الراء وفتحها الذي يُكتب فيه ومنه، ومن ذلك قولهم أنفذته في دَرْج كتابي بسكون الراء أي طيّه.

فلسفة حمراء ..

يعتبر اللون الأحمر أكثر الألوان إثارة، ولفت الانتباه والتنبّه من وعلى شيءٍ ما حيث يتجسّد في حياة الإنسان، وكأن ما يجري في عروقه قد انساب، فيما يرى من ارتسام الأحمر بالأشكال والتجسيمات.

أثناء عودتي المسائية المتأخرة من عمّان إلى الكرك وقد حلّ الظلام، راحت الحافلة تنهب الطريق الصحراوي مع كثافة السيارات السالكة للطريق، تأملتُ عاكساتها الخلفية الحمراء، للحظة غاب ذهني بعيداً في مدلول عمّا أرى، و تنبيه السائقين - إياك والاقتراب أكثر- حافظ على دمك ودماء الآخرين، أما المسامير المنغرسة في الإسفلت وعلى الأخص الحمراء منها عند المنعطفات و المطبّات وفي وسط الطريق، إلاّ أنها تحكي رواية طويلة من المآسي والفجائع، التي حلّت بمن لقي حتفه جرّاء السرعة وعدم الانتباه.

وإشارات المرور خير من عبّر عن السلامة للجميع في حال الالتزام بقواعدها ونُظُمها، وشارتُها الخضراء الآذنة بالمسير لكل من جاء دوره مصحوباً بالسلامة.

لكن حكاية دم الإنسان تمتد من هابيل إلى يومنا هذا، مزدهرة على أيادي السفّاحين والسفّاكين لدم البشر، من الحكام الظَلَمَه عندما هانَ عليهم الإنسان قتلاً وتشريداً. وما الجيش الأحمر السوفييتي سابقاً ذو العقيدة الشيوعية التي تؤمن بالعنف الثوري لإخضاع الشعوب بالقوة والبطش والقتل والسّحل دليل على هذا الاسم، وقد سميت الساحة الحمراء في موسكو عندما أقام إيفيان الرابع فيها مذبحة عظيمة بسبب وفاة زوجته؛ ولذلك سُمِّيت الميدان الأحمر، وهناك من يرى اتخاذ الشيوعية اللون الأحمر لرايتهم والمنجل والمطرقة؛ لأنها اتخذت من الثورة على الواقع الفاسد طريقاً لتحرير العمال المضطهدين وإفناء المجتمع الرأسمالي فلابد من سفك الدماء.

ولا يفوتني الإشارة إلى قضية الهنود الحُمُر، سكان العالم الجديد (أميركا) الأساسيين، هذا الشعب الذي عاني من ظلم و سحق على أيدي الأوربيين البيض، وهمجيتهم التي طالت الحيوانات من خلال مصارعة الثيران، وذاك المسخ الذي يلوّح للثور بقطعة قماش حمراء لتهييجه. وتنتهي غالباً بموت الثور الذي يجعلون النار في قرنه وهو يتلوى من الألم، وهم يضحكون على آلام الحيوان المسكين، ويتشدقون بحماية الحيوان.

والجيش الأحمر الياباني كذلك، هو منظمة شيوعية يابانية تأسست في العام ١٩٧١، وكان في فترة من الفترات أكثر الحركات الفدائية إثارة للخوف و الرعب، أن أقام علاقات وطيدة مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وفي بداية الثمانينات من القرن الماضي، توقف

نشاطه في اليابان، واعتمد بالكامل على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين للحصول على الدعم المالي والتدريب والسلاح. كانت أهداف الجيش الأحمر الياباني الإطاحة بالحكومة اليابانية، والحكم الإمبراطوري، والملكي لبدء ثورة عالمية.

وفي كمبوديا فإن الخَمِيرْ الحُمُرْ كان هو الحزب الحاكم فيما بين عامي(١٩٧٥-١٩٧٩) المسؤولة عن موت ١,٥ مليون شخص في ظل نظامهم، حاول زعيمهم (بول بوت) تطبيق متشدد للشيوعية (الأغرارية) التي تجبر كامل المجتمع على نوع من الهندسة الإجتماعية، لتضطرّهم للعمل في مجتمعات زراعيّة أو في أعمال شاقّة.

من الملاحظ أن كل الأحزاب الشيوعية ومنظماتها قد آمنت بالعنف والقوة في إجبار الشعوب على اعتناق مبادئها والخضوع لها، ولذلك بعد سبعين عاماً على قيام الإتحاد السوفييتي الذي انهار وأعلنت وفاته على يد غورباتشوف ١٩٩١م آخر رئيس للإتحاد السوفيتي وطريق الإصلاح البيرسترويكا).

الألوية الحمراء منظمة إرهابية سرية متطرفة في إيطاليا، تأسست عام ١٩٧٠ في ميلانو، قامت هذه المجموعة بارتكاب حوالي ٧٥ عملية قتل بين أعوام ١٩٧٠ و ١٩٨٨، ونظمت العديد من عمليات الخطف والسّرقة والهجوم على البنوك. كما قامت أيضًا باغتيال رئيس الوزراء الإيطالي (ألدو مورو) عام ١٩٧٨م

كما أن البيت الأحمر في كردستان العراق رمز للرعب الذي خلفه النظام السابق، حيث أصبح في الآونة الأخيرة متحفاً ومزاراً ليشهد على حقبة ظلم رهيبة من حياة العراقيين، ويبدو أنه اكتسب اسمه من اللون الأحمر الذي تتلون به أسواره المنيعة.

و لا يزال قصر الحمراء في غرناطة، يروي حكاية الأندلس المجد الغابر الضائع، بعدما تسلل الوهن إلى جسم الأمة وكان سقوط غرناطة المُدوّي في التاريخ (١٤٩٢)، على يد أبو عبدالله الصغير آخر ملوك بني الأحمر، وما يهمني هو سبب تسمية قصر الحمراء بهذا الاسم، فهناك رأي ينسبونه إلى بني الأحمر، الذين حكموا غرناطة بين (١٢٣٢م- ١٤٩٢م) وهناك من يرى أن التسمية تعود إلى التربة الحمراء التي يمتاز بها التل الذي تم تشييده عليها. من التفسيرات الأخرى للتسمية أن بعض القلاع المجاورة لقصر الحمراء كان يُعرف منذ نهاية القرن الثالث الهجري، الموافق للقرن التاسع الميلادي؛ باسم المدينة الحمراء.

ولم أجد معنى الفلسفة الحقيقية من تسرب الأحمر الناري الفاقع إلى خدود وشفاه النساء قاطبة في مشارق الأرض ومغاربها، ولا الصورة المتداولة ذات اللون الأحمر الرامزة للحب على شكل القلب وسهم يخترقه، لا أستطيع أن أغادر تلك المعاني الحمراء الجميلة دون التعريج على تربة سورية التي ارتوت بدماء أبنائها على أيدي النظام وأعوانه والدخلاء، وأزاهير سورية المُدماة تنتحب على جرح الوطن العربي.

حطْ بالخرج ..

عندما كنت في صغري، أدخل إلى قلعة بصرى، كنت أقرأ الشاخصات المثبتة على الجدران ترشد إلى الممرات الصالحة، سالكاً اتجاه السهم، وعندما أقرأ كلمة مخرَجْ، تحت كلمة (EXIT) الأجنبية فاستدل على معناها بأنها موضع الخروج، إلى أن دخلت المرحلة الإعدادية وتعلمت مبادئ اللغة الإنجليزية حتى عرفت معناها، وفي مقرر منهاج التاريخ الدراسي، درسنا أحداث التاريخ الإسلامي، ومررنا على معركة صفّين وما حدث فيها من ملابسات، وخروج مجموعة من صف سيدنا علي بن أبي طالب - كرّم الله وجهه-، رافضين لموضوع التحكيم، وقد شقّوا عصا الطاعة، وخرجوا على إمامها وخليفتها وعلى فكرتهما، وهم ممن عرفوا فيما بعد باسم (الخوارج)، وبرز فيهم نجم القائد (المختار بن عوف الأزدي، الملقب بأبي حمزة الخارجي)، وكان من خطباء الخوارج وشعرائهم، ولد في البصرة، وأخذ بمذهب الإباضية، فاستولى على مكة وقتل وسفك فيها، ومن ثم استولى على المدينة بعد مقاومة أهلها.

وما بين الخروج على الحاكم والخروج على القانون بَوْنٌ شاسع، ولكن حنكة الحاكم وأدواته تُحوّل من يخرج للمطالبة بحقوقه، إلى خارجين على القانون، ومن صاحب حق إلى إرهابي ومجرم ومتآمر على نظام الحكم، ومرتبط مع العدو.

ومن أوّل الخروج على الحاكم، على أنه خروج في سبيل الله، كما أن للخروج في سبيل مفاهيم كثيرة في عقول من يريد الخروج، وأصبحت وزارة الخارجية في أنظمة الدول قاطبة هي راعية السياسة الخارجية والعلاقات الدبلوماسية، وعرّابة الأنظمة، ومؤامراتها.

وكان الصحابي (خارجة بن حُذافة السهمي) الذي أسلم عام الفتح من أشهر فرسان العرب في مكة، ويعدّ بألف فارس، أرسله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مع (الزبير بن العوّام والمقداد بن عمرو) أثناء فتح مصر، عندما طلب منه عمرو بن العاص رفده بثلاثة آلاف فارس.

أثناء سلوكك الطرق السريعة، فإن الكثير من اللافتات مكتوب عليها (مخرج) ترشد لاتجاه طريق أخرى، مؤدية لمكان تطلب الوصول إليه، وعبارة (خَرَجَ ولم يَعُدْ) صارت مألوفة لنا أثناء مطالعة الجريدة اليومية، مُنَبِّهة لنا للبحث عن شخص ضائع، خرج من بيته ولم يرجع إليه.

و(الخَرْجُ) ضدّ الدّخْل، و يعتبر الإمام أبو حنيفة النعمان، مؤسس فقه الخَرَاجْ، بخصوص أرض السواد في العراق، ففتن كل ما يخص ذلك مستنبطاً آراءه على ضوء الكتاب والسنة النبوية، وهذا الاستنباط هو استخراج للأحكام الناظمة للتعامل فيما بين الناس في إحلال الحلال وتحريم الحرام، قيل: "لولا أبو حنيفة، لما ظهر فقه الخراج".

وفي كل صباح يطالبني أولادي بمصروفهم اليومي وهو(الخَرْجِيّة)، وهو مطلب مقدس لديهم لا يتنازلون تحت ضغط أي ظرف كان.

وقراءة القرآن تحتم على كل قارئ أن يتعلم فنون علم التجويد، الذي يعتني بمخارج الحروف من مخارجها الصحيحة، وذلك بُغية النُّطق السليم لآيات القرآن بالتلاوة مُجودّة مُرَتّلة، كما نطقها الرسول صلى الله عليه وسلم، وأثناء مطالعتنا لكتب الحديث النبوي، تطالعنا كلمة (أخرجه البخاري أو مسلم)، وهي مصطلح على أن الحديث قد رواه مثلا البخاري في صحيحه مسنداً - أي بدون انقطاع في الرواة -، و أما إذا رواه مُعَلّقاً فيقال رواه البخاري معلقاً، وكثيرة هي مصطلحات علم الحديث تحتاج للمراجعة والتثبت من المفاهيم لحفظها، منعاً لحدوث الإشكالات واختلاط المفاهيم.

كما أن تعلم الكسور في علم الحساب، قد تغيرت مفاهيمه، فالجزء الأسفل من الكسر كنا نعرفه كما تعلما في المرحلة الابتدائية بأنه

(المَخْرْج)، إلا أن أولادي يعرفونه (بالبسط)، توقفت عاجزًا أمام تطور علم الحساب بمعلوماتي القديمة.

أخبرني صديقي المقيم في مدينة (الخَرْج) في السعودية، بأنه أسعف طفله الصغير إلى أحد المستشفيات، فطلبوا منه تحليل (خُرَّوج) للطفل، فأخذه للحمام حتى يتغوّط لزوم التحاليل، و كثير من السياح ممن يزورون (مصر) أم الدنيا، يتجشّمون صعاب السفر في الصحراء الغربية للوصول إلى الواحات الخارجة وهي مركز إداري يتبع لمحافظة الوادي الجديد، وفيها أغلب التسهيلات العصرية مختلفة بذلك عن واحة سِيوَهْ، والواحة الداخلة.

ومصير الدخلاء و الأدعياء في أي قوم وبلد و زمان، فالنبذ و القتل والتحييد لهم من التَسَيُّد، هو النهاية المحتومة لأمثالهم، وهي الحبكة التي دارت حولها رواية الرئيس صدام حسين (اخْرُج منها يا ملعون)، وقد طالعتها منذ فترة قريبة. ويقال: تخرّج فلانٌ في الجامعة إذا أنهى دراسته فيها بنجاح ويسمى خرّيجًا.

تختلف اللهجات العربية في استخدام كلمة خرج، فعندما تسأل عن صديق ما يقال لك: خرج منذ زمن، أي أنه لا يوجد في بيته، وفي لبنان إذا ما سألت عن شخص ما، يقال لك: (ظَهَر) أي خرَج وغير متواجد، فالرابط بين كلمتي (ظَهَرَ و خَرَجَ) مجاز جرى استخدامه على ألسنة الناس.

وهناك بعض الأشخاص الذي يأخذون الأمور بلا مبالاة في مواجهة أمر جلل، يقولون: (حُط بالخُرج)، وقصة هذا المثل - حسب الباحث سلّام الرّاسي - المتداول منتشرة على نطاق واسع في معظم بلاد الشام. يروى أن أحد الأتقياء كان يركب حصانه، للقيام بجمع الصدقات من الأغنياء لتوزيعها على الفقراء، ولعدم إحراج من يتصدق بالشيء القليل.

فيقول له: (حُطْ بالخُرْج)، فما بين عدم الإحراج و اللامبالاة تباعدٌ في الاستخدام الفعلي للمثل بمعان متباينة. كما أننا في صغرنا عندما كانت تداهمنا الحمى أو الوجع يرسلونا إلى الحجة (طَلّة) جارتنا في الحارة، للتخريج علينا من خلال تعويذات تقرأها واضعة يدها على الجبهة، والدموع تغالبها، مترافقة بالتثاؤب المستمر طوال فترة الرقية، والتي يعبر عنها (بالتخريجة).

إبحار ومتعة الغوص في بحار جذر لغوي ثلاثي فعله لازم غير مُتَعَدٍّ، نستخدمه بكثرة في حياتنا اليومية، حاولت تأصيل مفاهيمه، وأنا مفعم بنشوة مُسْكِرَةٍ في مسلك لغتنا الجميلة. شاركوني المتعة.

بعد منتصف الليل ..

(قراءة على مقالة شهادات من أذرح \ من مجموعة –دفاتر المساء – للأستاذ نايف النوايسة)

بطريقة غير مباشرة وصلتني من صديق مجموعة كتب لمطالعتها، وعلى غير موعد كنت على لقاء مع مجموعة (من دفاتر المساء- للأستاذ نايف النوايسة)، غاصت أصابعي في تقليب صفحاته للنظرة المبدئية على العناوين، وكانت لحظةٌ قاسيةٌ، وأنا أتوقف أمام العنوان الأول في المجموعة (شهادات من أذرح) تجمدتُ ولم أستطع أن أبارحه إلى عنوان آخر، على مضض أكرهتُ نفسي على قراءة عابرة للمواضيع، رغم قوتها وعميق فكرتها المطروقة. ووجدتُ نفسي رهن الاعتقال للحظة قادمة من رحم التاريخ، و أنا أقفُ في قفص شهادات من أذرح، كي أكون شاهداً جديداً على إبداع جديد، استخرج الحادثة التاريخية، وقام بنفض غبار السنين عنها، بإعادة تدويرها أدبياً، بلسان شاعر، مرهف الأحاسيس، متوتر المشاعر، فانبجست لحظة الوقوف على الحقيقة، بفيض من موهبته الثرّة، الآسرة للقارئ..

وها هي حثحثة الشهادات تأتي على ذكر أبطال معركة صفيّن (عمرو بن العاص، ومُدرك بن حصين الأسدي، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبو موسى الأشعري)،**[وتباتُ**

الليالي السود كُحْلاً في الجفون، ولا يكفُّ السُّمّار عن مضغ الكلام، ونفيه على حافّة المرحلة ..]*، [الليل والريح، ورماح الخديعة، ورؤوس العفن، عاصفة تنفجر فوق بئر الروح، وتلفّ الزمان بعصابة من شوك، وتدفن الوليد في المزبلة]*. وذاكرة المكان تغزو قلب الكاتب، وتستولي على ذهنه، ليذهب عدّة مرّات إلى جبل التحكيم، ليمارس اليوغا الفكرية متأملاً مسترجعاً متذكّراً بوعي عميق لما حصل هناك في موقعة (صفّين) هناك على أطراف الفرات، في شطره الشّامي قرب مدينة الرقة في الجزيرة السورية، متربعة على الكتف الغربي الجهة من نهر الفرات، مقابل قلعة جعبر من جهتة الشامية ، بينهما مسافة قليلة، وهي تقع في منطقة عالية مطلة على الفرات.

والذي كان مجهولاً لي، استناداً إلى معلوماتي القديمة، المختزنة من أيام الدراسة الثانوية، والتي علاها غبار النسيان، أن التحكيم جرى في أذرح؛ لأنني كنت أعتقد أن الأمر جرى في صفّين بعد حادثة رفع المصاحف على الرماح و السيوف، وانتهى الأمر، لكن الموضوع طال، بعد قبول التحكيم من الطرفين المتصارعيْن، فاتفقوا على اللقاء في الموسم القادم، في أذرح، للفصل والبتّ في الموضوع، عندما يلتقي أهل العراق والشام والحجاز ومصر.

ومن هنا، جاءت قراءة الأستاذ نايف لهذا الموضوع الشائك، القديم المتجدد، الذي كثر الاختلاف والجدال حوله، وتكلّس حوله الكثيرون بعقول متحجرة متعصبة، ولم يكن باستطاعتهم مبارحته، فغاصوا

في متاهاته، وتعصّب كلّ منهم للفريق الذي رأى أنه على حق، وأهمية الإسقاطات بنظرتها الشاملة على مستوى فكر الأمة قاطبة، والعثرات الناتجة عن صفّين، والتي امتدّت ذيولها الخائبة، حتى وصلت لحاضرنا، مما حدا بأناس لنبش ذلك التاريخ، ومحاكمة الحاضر على ضوء ما جرى في الماضي، الذي لم نحضره، ولم يكن لنا خيار المشاركة فيه، إلا من خلال المراجع التاريخية، فمن المفترض أن تكون لنا العبرة و العظة منه لا أن يكون مجالاً للاحتراب، وعبئاً ثقيلاً على كاهل الأمة، وتحدياً صعباً مضافاً للتحديات الحضارية، حتى أصبح تاريخنا لعنة علينا.

وللنأي عن المستنقع فقد لجأ الأستاذ للترميز غير البعيد عن إدراك وفهم القارئ، يسير به بثقة كبيرة، للوصول إلى الهدف الأسمى، وهو الحق، والانتصار للحق كانت غايته الأسمى، بعيداً عن مناصرة فريق على حساب فريق آخر، فكان موقفاً موفقاً يسمو بالعقل و الفكر إلى عوالم سحرية مليئة بالأسرار.

ذاكرة المكان حُبْلى بحوادث الأيام، مليئة بالانحناءات الملتوية، مختفية في سراديب النسيان، ليأتي من يستنطقها، ويبث فيها دماء الحياة من جديد، فتستولي على عقله و لُبّه، فكان الحكيم الذي استنبط منها طريقاً جديداً واضحاً جليّاً كالشمس لا غبار عليه، وكانت أذرح القرية المنزوية في وادي موسى في جنوب الأردن، نقطة يلتفّ الكون حولها بتاريخه، وهي مركز قضاء إداري في محافظة معان، وفي اللغة نجد تفسير كلمة أذرح على أنها الهضاب تحيط بها

السهول ليتوافق ذلك مع واقع الحال هناك، وهي حاضرة رومانية قديمة، .... أنشىء فيها معسكر لإحدى الفيالق الرومانية، فيما استمرت مزدهرة في العهد البيزنطي ،ودليلنا بقايا الكنائس والمعابد، واشتهرت أذرح قديما بوفرة وعذوبة مائها الذي كان يجري مشكلا "سيل اذرح" قبل أن ينضب منذ بداية القرن الماضي.

وتنتصب قبابُ الليل **[لتفيض الصحارى بالليل و الرجال، وبين العينين يتجلّى الجنوب، ملفوفاً بالسواد، ورماح الخديعة، وسذاجة البرانس ..، يا ليل الخديعة، افتح بسنابك العابرين سطوراً فوق لوحة النّور، اثْعب في الجبال جبلاً، تهيّأ .. واخرجْ لفيوض الصحارى، بآلاف الأصفار، لتركض وراء عورة اللحظة العابرة،، افرح يا ليل الجنوب بالفتنة الباصرة]**. وهنا إشارة للخلاف الذي حصل، و الخديعة، وأصحاب البرانس (الخوارج)، الذين كان لهم الدور الأكبر في توسيع شقّة الخلاف بين الفريقين، مما حدا بهم أخيراً لتكفير كلا الطرفين، احتجاجاً خاطئاً للآية الكريمة: "إن الحكم إلاّ لله"، والبشر لا يملكون من أمره شيئاً.

وجاء التحكيم، ليمنح أحد جبال أذرح الدانية منها، اسم جبل التحكيم، **[صفّين نصفين في كل القباب، ومن كل الجهات تتناسل نصفين، ونصبُ العينين جنوب.. يا هذا الجنوب المبتلى]** و الخلاف لم يكن إلا صراعاً على الحكم، تحت غطاء رفع المصاحف، **[قباب الليل و الصحارى، وبقايا الصهيل، وثمّة صرصارات لعينة تواصل: "صفّين .. صفّين "]**.

وجاءت الشهادة الأولى من [**أذرح المُقْعِيَةُ على ثنية الطريق لا تدري ما الخبر..!!، وأخرجت من جوفها هشيماً كالبشر، راحوا يشربون القادم، و يتنفسونه بعيون مظلمة.. صاح طفلٌ، أكلت الأيام وجنتيه، وعاف الأكل فمهُ المُقرّح: "عربٌ مثلنا" ، صاح طفلٌ آخ: " عربٌ مثلنا تلفظهم الصحراء"، صاح شيخٌ ضمّختهُ الأيام بالإعياء والحكمة: " هؤلاء من صفيّن ولدوا.. يا ضيعة الرؤيا، وانكسار الحلم..!! ، من صُفّين جاؤوا صَفّيْنِ**].

دراية باهرة في سرد الحدث بنفس شعريٍّ لافت، وكانت القمة في اختيار طفلين يتكلما عن الجموع، أرادهما نايف النوايسة، أن يتكلما ببراءة الطفولة البعيدة عن التلوث الذي أصاب الكبار ذوي العقول والفُهُوم، فهما يتكلمان عن قدر فهمهما النظيف."عرب مثلنا" .. ويتكرر المشهد لينسحب علينا ونحن نرى غزة تحترق وتُباد بوحشية صهيونية، بحقد شايلوكيٍّ، ونحن نغرق في متاهات صمتنا اللعين، حيث أصبح سمةً عربية بامتياز، ومات الدم العربي فينا .. وماتت فينا النخوة العربية.. وماتت فينا إغاثة الملهوف .. ونصرة المظلوم.. لتأتي الشهادة الثانية ليقول: [**نحن ما زلنا حضارياً في قيد الانكشافات المهينة، ولغة الخديعة والإجباب المتربصة**]، وكأن نايف النوايسة عندما كتب هذا النص في أواخر عام ١٩٩٧كان يستقرئ حالنا اليوم، ونحن اليوم في مثل أيام العام من كتابته وتاريخنا ٢٠١٤م، وينطبق بأبعاده الفكرية على ما يحصل لنا كأمة، بتقنية متفتقة عن ذهنية متوقدة، زاوجت بين الحاضر و الماضي، استثمرت واستوعبت الدرس التاريخي : [**المصاحف فوق الرماح.**

و لا شيء في فضاء اللحظة إلا العاصفة، وصُفّين رسولةُ التمزق في زمن القحط، الموجُ يداهم الجموع، والطوفان يعلو ويعلو، وزُبى أذرح تنتظر السيل الجارف] .. يا أله .. !! لله درك أيها الجميل.. لقد قرأت ففهمت، وأفهمتنا معك، فرأيت المستقبل وقرأت ما في نفوسنا من طنجة حتى رأس الخيمة، ولو قلت كلمة أتزلف بها إليك: "لقد أوتيتَ الحكمة"، وهذا من باب الإنصاف مني على الأقل، إن لم يعرف ذلك ممن هم حولك.

ويتابع بنصب راية المشهد من جديد: **[أزمات الأمة تتناسل في غيابةٍ ما بين الحلم واليقظة في زمنٍ كالومضة.. استحكم الطين فابتعدت السّماء]** .. ما هذا الإلهام .. ونفاذ البصيرة.. وآخرها شهادة منه ناتئة على حوّاف الزمن العربي: **[الإنفجار قادمٌ، ولا يليق بالصّغار إلا الركونُ في قرار]**، ونتيجة لذلك.. لا يمكن أن يكون هناك تاريخ بلا جغرافية، وتعني المكان المرتبط زماناً بإنسان، وعليه يكون الوطن، جغرافية و إنسان، وارتباط الإنسان من خلال الذكريات و الأحلام، والآمال والآلام، فهذه التي جعلت منها تعادل الروح من الإنسان، فيفتديها بالدفاع عنها، وهي الأرض و الجسد و الواقع، إنها تربة الأفكار وروحها وواقعها.

الأستاذ نايف النوايسة، أديب، وكاتب أردني موهوب له العديد من المؤلفات المطبوعة في مجالات أدبية وتاريخية

دلال المغربـي ..

ها نحن نبتعد رويداً .. رويدا عن قرار الاتفاق، وتوقف الهجوم الصهيوني ٢٠١٤، الذي دام لأكثر من خمسين يوماً، فالمقاومة في غزة تذيق العدو الصهيوني ويلات الذل، وكسر عقدة التفوق، رغم الفارق التقني بين جيش مجحفل مدجج بأدوات عالية، ومقاومة تملك الإصرار بعدم الاستسلام، وما أشبه اليوم بالأمس لتكون المقاومة خيارنا، ففي صبيحة يوم ١١آذار ١٩٧٨م، قامت مجموعة فدائية فلسطينية، بقيادة الفتاة دلال المغربي ذات العشرين ربيعاً، بالتسلل عبر البحر المتوسط إلى الأراضي الفلسطينية، والوصول للقرب من تل أبيب، واحتجاز حافلتيْ ركاب من الإسرائيليين فيهما ٦٨ اسرائيلياً، وبدأت المعركة بحصار الجيش للمقاومين، وجرت معركة مشرفة ترفع رأسنا علينا، استشهد معظم أفراد المجموعة البالغة ما بين (١٢-١٤ فدائي)، ونحن نستذكرها بكل فخر واعتزاز، و هم يكبدون العدو ٣٠ قتيلاً وأكثر من ٨٠ جريحاً.

هذا دليل على أنه لا يضيع حق وراءه مطالب، وصاحب الحق لا يستسلم، وإن جاءت الرياح غير مواتية لشِراعه المتهادي بين الأمواج العاتية في ظلمات و مخاطر تحيطه من كل جانب، أو غُلِب

على أمره، ونستدل بذلك على أن فلسطين عربية مسلمة، وستبقى وستعود...، كما عادت من أيدي الصليبيين بعد ٩٠ عاماً. من أجل أن لا ننساهم جميعاً، وتبقى ذاكرتنا متوقدة متنبهة، فالنسيان آفةُ الذاكرة العربية.

يعتبر أبو رِغال أول خائن عربي ورمز الخيانة، و كان هو دليل الأحباش إلى مكة، عندما أرادوا هدم الكعبة قبل الإسلام، وسميّ هذا العام، عام الفيل، ووقف عبدالمطلب سيد مكّة منادياً بمقولته الشهيرة : (إنّ للبيت ربّاً يحميه)، وفي القرآن جاءت سورة الفيل تحكي حال القوم الظالمين، والدليل هو ما يُستدَّلُ به، وأيضا هو الدّال وقد جَرَّأهم على فعلتهم.

وجاء جذر دلل، للدلالة على مهنة الدِّلالة التجارية، ويقوم بها الشخص الذي نطلق عليه لقب الدَّلاَّل هو الذي يجمع بين البَيعَيْن، و يوفق بين البائع والمشتري الراغب في الشراء، ويحصل على ربح متعارف عليه ومشروط من إما من البائع أو من المشتري، أو من كليْهِما.

تقريباً تأتي معاني الدليل جازمة لتكون دلالة على الهداية، فالدليل هداية للحيران، والضائع، و التائه، والجاهل ، واستخدم كذلك ليطلق على المخبر السرّي، و الدَّالُ على الخير كفاعله، والعكس صحيح. و الدَّلُ قريب المعنى من الهدْي، وهما من السكينة و الوقار في الهيئة و المنظر و الشمائل وغير ذلك، وفي الحديث (كان أصحاب عبدالله - بن عمر- يرحلون إلى عمر - رضي الله عنه - فينظرون إلى

سَمْتِهِ وهَدْيِهِ ودَلِّهِ، فيتشبّهون به). وانسحب المعنى ليجئ على معنى الدَّلال و التغنّج للنساء، وفي المثل العربي (أخنثُ من دُلالٍ) فالخُنثُ هو الاسترخاء.

وقد حملت مجموعة من الكتب التراثية و الدينية كلمة دلائل، ومنها كتاب دلائل الإعجاز لــ (عبدالقاهر الجرجاني) وكتاب دليل الحيران في الكشف عن آيات القرآن، وكذلك كتاب دليل الحيران في تفسير الأحلام، وأشهرها على الإطلاق كتاب دلائل الخيرات (للجزولي)، ودليل الهداية (للمرغيناني)، وهناك الكثير منها المندرجة تحت كلمة دليل مما لا يحضرني حصرها.

ويعتبر المطرب السوري صبري مدلل توفي عن ٨٨ عاما، العام ٢٠٠٦م، ظاهرة غنائية فريدة في الوطن العربي، حسب (مانشيت) الفيلم الوثائقي عن صبري مدلل(حلب أيام المسرات- الذي أخرجه محمد ملص)، كما أن محسن دلول وزير لبناني سابق، و دُلْدُل اسم بغلة الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والغبطة للساهرين مع أم كلثوم على أنغام أغنية دليل احتار ذات المطلع الجميل(ما بين بُعدك وشوقي إليك \ وبين قربك وخوفي عليك \ دليلي احتار، وحيرن)، هذه الرائعة التي قلّ مستمعوها في الآونة الأخيرة.

وإذا تدلدل الشيء تحرّك مُتدلياً، و عندما تتدلى عناقيد العنب من الشجرة (الدالية) التي استنبط اسمها من التدلدل، وجمعها الدوالي، ومن ألذ الأكلات الشامية ورق الدوالي. كما أن الشاخصات الدولية على الطرق العامة، لهي خير دليل للمسافرين وهداية لهم حتى

يصلوا إلى وجهتهم بيسرٍ وسهولة، وأصبحت مهنة الدليل سياحي تحظى باحترام كبير لدى الناس؛ لأنه صورة مشرقة عن البلد التي ينتمي إليها، وكان دليل التلفونات لا غنى عنه للأفراد قبل ظهور الهاتف المحمول، و الدّالُّ على الخير كفاعله، وليس أدلّ في نفسي، ما أمّلتُه من إيفاء الموضوع حقّه ليصبح مادة مقروءة، مُدلّلًا على ثقتي بما كتبتُ مُتوخِّيا الفائدة للقارئ.

وللحريــة الحمراء..

كثيراً ما أحاولُ زَجْرَ ابني الصغير، عندما قيامه بفعلٍ تخريبيٍّ، أو كلمةٍ نابيةٍ كان قد سمعها من أحدهم، فيقول لي: "أنا حُر"، أتأمله متعجِّباً لفهمه، وعلى طريقته..!! ، رافضاً لكلامي وتوجيهاتي، ويريد فِعْلَ ما يروق له .. تمرُّدٌ ورفضٌ منذ نعومة أظفاره للوصاية عليه، فأردُ عليه: "أنت حُر .. وأنا أقبلُ بذلك بكل رضا".

فالحرُّ يكون ضدّ العبد، وقد خلق الله البشر أحراراً، ولا تزال كلمة سيّدنا عمر بن الخطّاب: (متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أماتهم أحراراً) لعامله على مصر عمرو بن العاص، فالناس جميعاً متساوُونَ أمام القانون، إذ أن تحقيق العدل هو هدف الأديان جميعاً، حتى أن المبادئ الوضعية و القوانين حاولت جهدها تقديم العدالة للجميع، بعيداً عن احتيال القضاة و المحامين.

واتخذ التحرر، أشكالاً عديدة، فقد كان لدعوة تحرير المرأة في بداية القرن العشرين، على يد داعيته رفاعة الطهطاوي، الأثر البالغ لدفع الجمعيات النسائية العربية، و على غرار نظيرتها الغربية، بالمناداة بتحرير المرأة، وقد كان الهدف لتحرير المرأة في المقام الأول هو

الحجاب، وأول من خلعت حجابها في مصر هدى شعراوي، فكانت قدوة للأخريات.

مجيء الإسلام كان ثورة حقيقة في مجال تحرير العبيد، واستنكر الزعماء ذلك، وهم يأنفون مساواتهم بالعبيد، ويوم الفتح أمر الرسول الكريم بلال بن رباح (الحبشي) بالصعود على سطح الكعبة للأذان، وكثير من الأحكام التي وردت في موسوعات الفقه الإسلامي، فيها التفصيلات الكثيرة حول الرق وأحكامَ العِتق، وطرق تحريرهم من خلال المكاتبة بين العبد وسيده، كما أن الكفّارات اتخذت أشكالاً عديدة في تحرير الرقاب، و اعتُبِرَتْ تقرُّباً إلى الله، كان و تلك الأشكال من الكفّارات التي بثّها الإسلام كانت في سبيل إنهاء و تحرير الرقيق تماماً، ومحو آثارها من المجتمعات الإنسانية.

كما أن أسطورة (سبارتكوس) ذلك العبد، الذي جمع العبيد حوله وتزعمهم، وعمل على إحداث ثورة على الأسياد والنبلاء في روما. واستولى العبيد على ايطاليا، وعلى طوال أربع سنوات حطم العبيد خلالها جيوش، وعندما تعاظم خطر (سبارتكوس) على روما جهزت جيشاً قوامه تسعون ألف جندي، واستدعت لقيادته قائد حامية سوريا المعروف بحنكته ودهائه القائد (كراسوس) وعمل على قمع التمرّد، ففي خلال يوم وليلة، قُتِلَ فيها قرابة مئة ألف شخص، وكان من بينهم (سبارتكوس) الذي مات وهو يقاتل يداً بيد مع رفاقه العبيد، وصنع من جثث القتلى والأسرى (السُّجُق)،

همجية الحروب تفعل أفاعيلها بوحشية مخيفة. وفي العام ١٨٦٥-١٨٦١ كان (إبراهام لنكولن) الرئيس السادس للولايات المتحدة الأمريكية، وفي عهده حدثت الحرب الأهلية، وقد حاول كثيراً العمل على تحرير العبيد، الأمر الذي لقي معارضة شديدة، وخضع لحل توفيقي مع معارضيه (تحرير للعبيد دون مساواة مع البيض) وتوّج جهوده بقرار إلغاء الرق في أمريكا عام ١٨٦٣م ، وفي نهاية المطاف قتل الرئيس في عام ١٨٦٥ م انتقاماً منه.

ومن الأحداث المهمة في تاريخ الإسلام، كان فتح مكّة، وحدثت (بيعة النساء)، وقد ذكر المفسرون عند تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ...) سورة الممتحنة (١٢). و ورد في صفة مبايعة النبي - صلى الله عليه وسلم- للنساء فقد ثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم- لما قال: (على ألا يشركن بالله شيئاً) قالت هند بنت عتبة - وهي منتقبة خوفاً من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعرفها، لِما صنعتْهُ بحمزة يوم أحد-: "والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيتك أخذته على الرجال". وقد كان بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ولا يسرقن) . فقالت هند: "إن أبا سفيان رجل شحيح، وإني أصيب من ماله قُوتَنَا، فقال أبو سفيان: "هو لك حلال"، فضحك النبي -صلى الله عليه وسلم- و عَرَفَها، وقال: (أنت هند؟). فقالت: "عفا الله عما سلف"، ثم قال صلى الله عليه وسلم: (ولا يزنين) فقالت

هند: أو تزني الحرة؟!، ثم قال: (ولا يقتلن أولادهن، ولا يسقطن الأجنة)، فقالت هند: رَبَّيْناهُم صغاراً وقتلتَهُم كباراً يوم بدر، فأنتم وهم أبصر. فالغرابة كلّ الغرابة أن الحرة تزني، وقد قالت العرب: (تجوع الحُرَّةُ و لا تأكل بثديها).

وجاء إعلان ثورة التحرير الشعبية الجزائرية في ١ نوفمبر ١٩٥٤ ضد الاستعمار الفرنسي الذي احتلّ البلاد منذ سنة ١٨٣٠، ودامت طيلة ٧ سنوات ونصف من الكفاح المسلح والعمل السياسي، وانتهت بإعلان استقلال الجزائر يوم ٥ جويلية ١٩٦٢ بعد أن سقط فيها أكثر من المليون والنصف مليون شهيد جزائري، وذلك ما أعطى الجزائر لقب بلد المليون ونصف المليون شهيد في الوطن العربي. و انتهت الحرب بإعلان استقلال الجزائر في ٥ جويلية ١٩٦٢، وهو نفس التاريخ الذي أعلن فيه احتلال الجزائر في سنة ١٨٣٠، وكان إعلان الاستقلال على لسان الرئيس الفرنسي (شارل ديغول).

كذلك فإن البلاد التي تعرضت للاستعمار الخارجي، فقد اتخذت المقاومة في كثير منها على شكل حرب تحرير شعبية، كما في الصين وفيتنام وفي المغرب العربي بقيادة الأمير عبدالكريم الخطابي.

وفي عهد الرئيس جمال عبد الناصر في مصر، صدر قانون الإصلاح الزراعي، وهو محاكاة للتجربة الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي سابقاً، قاموا بتحديد ملكية الأراضي وتوزيعها على الفلاحين، وقد طبق المشروع على مناطق في محافظة البحيرة و

أطلقوا عليه اسم (مديرية التحرير). و تهدف فكرة المشروع إلى جذب القوى العاملة و الطبقات الفقيرة، وتسليم الفلاحين الأراضي الزراعية وتوفير مياه الري، من خلال شق الأقنية في جميع أنحاء المديرية، لريِّ الأراضي، وتوالت النجاحات حيث ولدت القرى الجديدة التي شكلت منظومة زراعية من أكبر المنظومات الزراعية. التي كانت تدرُّ دخلاً كبيراً للدولة، وساهمت في زيادة الدخل القومي. أما مديرية التحرير في اليمن، فهي عبارة عن حَيٍّ يقعُ وسط العاصمة صنعاء. و كوني من محبي القراءة و المطالعة، وفي زمانٍ مضى، قرأتُ كتاب (تحرير الوسيلة) للإمام الخميني، و أذكرُ أنه خلاصة اجتهاداته الفقهية، وفي كثير منها ما أثار الجدل كونها غير مسبوقة اجتهادياً، في محاولة تسويقها اجتماعياً ضمن الفئات التي تؤمن بمثل تلك الاجتهادات.

ومهما تقادمت الأيام فلن يُنسى أمير الشعراء، خاصة في أجمل ما قال: (و للحرية الحمراء بابٌ بكلِّ يدٍ مُضرجَّةٍ يُدَقُّ). فالحرية تؤخذُ ولا تعطي، وهي قضية الشعوب الكبرى منذ فجر التاريخ، و (الكلمة الحرّة هي أفضل السبل لتدوين التاريخ وإعادة تأهيله).

والتحرير قد اتخذ أشكالاً أخرى في استخدامات الحياة اليومية، فمن حرّر (شيكاً) أو سنداً فقد كتب على نفسه إقراراً، وإذا حرّر شرطي المرور مخالفة لسائقٍ مخالفٍ، فقد كتبها ودوّنها، وأما من حرّر قطعة أرض غشيمة، فقد قام بحراثتها وزراعتها، وفي مجال

التقنيات الحاسوبية ظهر مصطلح (التحرير) وما من مستخدم إلا أصلح أخطاء كتابته بإضافةٍ أو حذفٍ.

والحُرّة هي الكريمة، ويقال ناقةٌ حُرّة، والحُرّة ضد الآمة، وطينٌ حُرٌّ لا رمل فيه، و رملةٌ حُرةٌ لا طين فيها، وأحرارُ البَقول بالفتح، ما يؤكل غير مطبوخ.

في جولة سريعة حررتُ إرادتي من الكسل فاستجمعتُ ذاكرتي لحصر النقاط الرئيسية التي حرَّرتُها في مقالتي تلك، فكانت تحت عنوان (وللحرية الحمراء) وحاولت جُهدي الاختصار تجنُّباً للإطالة، وكي لا يُصاب القارىء بالملل.

قل للمليحة ..

قل للمليحةِ في الخِمَارِ الأسـوَدِ = مــاذا فعلــتِ بناســكٍ مُتَـعَـبِّـدِ

هذه القصيدة الجميلة كانت ستبقى حبيسة بطون الكتب، ولا يعلم أحد عنها شيئاً، إلا من باحث أو شاعر أو أديب متخصص أو هاوٍ لقراءة الأدب وتراثه، لولا المطرب صباح فخري الذي أنشدها بفخامة صوته المحبب للقلوب، ويُحْكى أن أحد التجّار، شَكَى إلى صديقه الشاعر، سوء أحواله المادية بسبب كساد تجارته في أغطية الرؤوس (الخُمُرْ)، وعُزُوفُ النساء في المدينة عن اللون الأسود الذي كان رائجاً في زمن مضى، فانبرى الشاعر لإنقاذ صديقه من الإفلاس، فنظم هذه القصيدة، و سرعان ما تناقلتها الألسن حتى بادرت النسوة بالتهافت لشراء الخُمُر السوداء، لمّا عرَفْنَ فضيلتها وجمالها الفتّان، حتى خالَتْ كل واحدة منهنّ أن القصيدة قِيلَتْ فيها، فالمرأة المليحة حسنةُ المظهرِ والسَّمْت، وإذا مَلُحَ الشيء يكون قد حَسُنَ، و إذا اسْتَمْلَحه أي عدّهُ مليحاً، وجمع المليح مِلاحٌ و أملاحٌ، وتعتبر هذه الأغنية من التراث، ولا يفوتني ذِكْرَ قوم من أجدادنا أهل حوران من تُجّار الملح، وكانوا يقومون على قوافلَ الإبل مسافرين عبر بادية الشام إلى منطقة (سكاكا و الجوف) في شمال الجزيرة العربية، و

تجارة الملح لا يزال الطلب عليها؛ لأنها من ضرورات الحياة على هذا الكوكب، وفي أيام الدولة العثمانية كانت هذه التجارة معفية من الجمارك والمُكوس، وكان يطلق على الملح اسم (طُزْ) فما إن تصل قافلة الملح جوار الحاجز الجمركي، حتى تنطلق كلمة طُز من رعاة القافلة، لكن دلالة هذه الكلمة أخذت في وقتنا منحىً آخر وصارت للدلالة على اللامبالاة بالأشياء وعواقبها. وأطلق اسم مليحان على الإبل.

أما قرية (مُوَيْلَحْ) فهي من قرى فلسطين، وقد هاجر منها جدّ الأديب والناقد والصحفي المصري (ابراهيم المويلحي)، وهو من أعلام القرن التاسع عشر(١٨٤٦ – ١٩٠٦) وأشهر مؤلفاته (حديث عيسى ابن هشام)، كما أن هناك قرية في جنوب سورية في محافظة السويداء اسمها (مَلَّحْ)، وفي بلاد الشام كثيراً ما نلحظ أسماء العائلات المنسوبة إلى المهنة التي كانوا يمارسونها، ومن ذلك عائلة الملاّح الطرابُلَسيّة في شمال لبنان، ومنها خرج العلاّمة الشيخ نديم الملاّح، وهو من رجالات تاريخ الدولة الأردنية أيام الملك المؤسس، وعلى يديه تخرّج خيرة رجالاتها.

كما أن مرعي باشا الملاح (١٨٥٦ ـ ١٩٣٠) كان من الرعيل الأول الذي اضطلع بدور أساسي في النهضة العلمية التي شهدتها بلاد الشام في العصر الحديث وخاصة في حلب، ثم انتظم في وظائف الدولة وارتقى في مناصبها الرفيعة في مختلف العهود التي عايشها (العثماني و الفيصلي والإنتدابي) إلى أن سمي أخيراً (حاكم دولة

حلب العام) في الفترة (١٩٢٤ ـ ١٩٢٦). وقد شهدت حلب إبان سنوات حكمه لها نشاطاً علمياً وثقافياً كبيراً تجلى بتأسيس كل من دار الكتب الوطنية، وجمعية العاديات والمدرسة الخِسْرَوِّية، وأول مدرسة تجهيزية في دير الزور تابعة لحلب، وله الكثير من الأعمال التي تشهد له في حلب وغيرها.

والملاّح أيضاً هو صاحب السفينة، حتى صار مصطلح الملاحة يستخدم في مجالات السفر البحري والجوّي، وأصبح الملاّح هو قائد السفينة أو الطيارة، إلى أن انتهت التقنيات الحديثة إلى الملاّح الآلي. وإذا ما توجهتُ في يوم عطلة أسبوعية للبحر الميّت، فإنه يترتب عليّ النُّزُول من الكرك إلى البحر إلى عمق يقارب الـ ٤٠٠متر تحت سطح البحر المتوسط. ويعتبر البحر الميت وجهة سياحية للعلاج، لما تحتوي مياهه على الأملاح العديدة، وسميّ ميتاً؛ لأن لا يمكن أن تعيش فيه الأحياء البحرية، ولأن كثافة الأملاح فيه تسعة أمثال البحار الأخرى. وقد قامت عليه صناعة البوتاس، وبعض المواد الكيماوية.

و المِلْحُ يستخدم كمادة حافظة للمأكولات، واستخدامه باعتدال في الأطعمة ولا تكاد تخلو مائدة من المِمْلَحَة وهي أداة يوضع فيه الملح، لمن يرغب الزيادة منه. وإذا ما نسيَتْ ربة البيت و أمْلَحَتْ الطعام فقد يفسد ولا يُستساغ طعمهُ، ومن عادات العرب الأكل عند بعضهم ويسمونها (المُمَالحَة)، حتى أن الرضاع يعدُّ من المُمَالَحَة.

ويقال في الأمثال عن ناكثِ عهدٍ وغدّارٍ: (خان العيش والملح)، وكذلك يقال: (الكذبُ ملحُ الرِّجَالْ وعيب على إللي يصدق)، ومتى كان الكذب فضيلة في عرف الناس الأسوياء؟، وهذا من الانحرافات المتداولة اجتماعياً، بينما (الخوف مِلْحُ الأرض) لمن عرف حدّه فوقف عنده. ومن السَبِّ و الشَّتْمِ لشخص ما، يقولون عنه: (ابن المليحة ..) و إذا كان الكلام طريفاً ومُعبِّراً عن أشياء فهو المُلْحَة، والمُلْحَة أيضاً في الألوان (بياض الشعر يخالطه السواد) ومن هنا جاء وصف الكبش أو التيسُ بالأملح، وإذا كانت البئر أو عين الماء مليحٌ أي أن ماؤه مِلْحٌ.

ومن هنا يتقرر أنه لا استقامة للحياة على وجه الأرض إلا بالملح لما فيه النفع للكثير من مصالح البشر، وكل شيء زاد عن حدّه نقص، فالتحذير من الملح و السكر الزائد عن الحاجة يسبب ارتفاع الضغط والسكري، ولهذا كانت حكمة الخالق أن تكون البحار مَلِحَةً لحفظ الكائنات الحية فيها، ولولا مُلوحَتِها لأنتنت وقتلت كل أنواع الحياة البحرية.

الطبع السليم .. يأباها

عندما أتذكر قصيدة البردة، وكم من المرات قرأتها وسمعتها، لكنني لا أملّ من ذلك، ومن المثير حقاً الوقوف على قصتها، فالشاعر كعب بن زهير، قالها في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم -، بعدما كان قد هجا الرسول، فأهدر الرسول دمه، وبعد فترة من الزمن دخل الإسلام قلب كعب، فسأل عن أرق أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - فأخبر أنه أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فذهب إلى أبي بكر وأخبره خبره، فمشى أبو بكر وكعب على إثره، وهو متلثمٌ، حتى صار بين يدي الرسول، فقال أبو بكر: يا رسول الله رجلٌ يبايعك، فمد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يده، ومد كعبٌ يده، فبايعه، وأسفر عن وجهه وأنشد كعب قصيدته الجميلة البديعة المشهورة باسم "البردة":

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبول * متيـمٌ إثـرها لم يُفـد مكبـول**

و ما سعادُ غداة البيْنِ إذ رحلوا * إلاّ أغَنُّ غضيضُ الطرف مكحولُ**

هيفاءُ مقبلةً عجزاءُ مُدبِرةً * لا يشـتكي قِصَـرٌ منها ولا طولُ**

تجلو عوارضَ ذي ظَلَمٍ إذا ابتسمت * كأنـه مُنْهَـلٌ بالـراحِ معلـولُ**

وقد يستغرب الكثير من متعلمي اليوم أن هذه القصيدة قيلت أمام الرسول الكريم فأجاز قائلها وعفـا عنهُ وكَسَاهُ بُردتـه (عباءته).

- صلى الله عليه وسلم - يبدو أن الهُوّة ساحقة بما فَهمهُ أنصاف المُتعلّمين للعلوم الشرعيّة، وجهلهم الحقيقي بمقاصد الشريعة.

و بالرجوع إلى مادة (خلع)، نجد أن من خَلَعَ ثوبه ونعله وقائده، وتعتبر هدى شعراوي، أول امرأة خلعت حجابها في مصر، كما أن الوليد بن المغيرة، هو أول من خلع حذاءه عندما أراد دخول الكعبة، تعظيماً وتبجيلاً لها، وصارت سنة متبعة. ومن الرواية المزعومة كذباً، و التي لا تليق بصحابة رسول الله قصة أبي موسى الأشعري مع عمرو ابن العاص في قضية التحكيم الشهيرة، قام أولا أبو موسى: خلعته كما أخلع خاتمي من اصبعي، أو سيفي من عاتقي(يعني علي بن أبي طالب)، وجاء عمرو بن العاص فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن هذا- يقصد أبا موسى الأشعري- قد قال ما سمعتم، وإنه قد خلع صاحبه، وإني قد خلعته كما خلعه، وأثبتُّ معاوية بن أبي سفيان، فإنه ولي عثمان بن عفان، والطالب بدمه، وهو أحق الناس بمقامه. أخلاق الثعالب لا تليق بالصحابة، ولا يمكن أن يكونوا كذلك.

ومن خلع امرأته (خُلعاً) بالضم، وخُلع الوالي عزله، وإذا خالعتِ المرأة بَعْلَها على طلاقٍ ببدلٍ فهي (خالِعْ)، وقيل إن (خلع) وقع الإسلام وهو أن عامر بن الظرب زوّج ابنته من ابن أخيه عامر بن الحارث، فلما دخلت عليه نفرت منه فشكا إلى أبيها، فقال: لا أجمع

عليك فراق أهلك ومالك وقد خلعتها منك بما أعطيتها، زعم بعض العلماء أن هذا كان في الجاهلية وهو أول خلع في العرب.

وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **"من فارق الجماعة قيدَ شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه"**. و الرِّبقَة: واحدة الرِّبق عَقْدٌ أو قَيد من حبل، أو حلقة تشدُّ بها الغنم الصغار لئلا ترضع حَلّ رِبْقَتهُ (نقض العهد)، و رِبْقَة الاستعمار (قيده).

في أيامنا هذه كثرت الخلاعة، على كل المستويات، وحوربت الفضيلة والأخلاق في جميع مناحي الحياة، فمالنا نعيب الزمان، والعيبُ فينا، والرَّجلُ إذا ترك الحياءَ وركب هواه فهو خليع، فإذا انقاد لهواه وتهتَّك فهو شابٌ خليع، أما قصة الأدب الخليع فقد صار من الشهرة على مستوى العالم، كما أنه صفة لكل مؤلَّف أدبي تعلو فيه لغة الجسد المحمومة، و من خلَع عِذارَ الحياءِ منهمكاً في الغيّ والفساد دون خجل، أما من خلَع على نفسه ثوبَ الكِرام ادّعاه لنفسه، جار الربيع العربي ليخلع عدداً من الدكتاتوريات الشهيرة، التي أدمت بلدانها بعد أن حوّلتها إلى خراب ودمار، وعاد سدنة الأنظمة لتنظيم أنفسهم من جديد، وأعلنوا انقضاضهم وتحويل الربيع إلى خريف دامٍ .

ولا ينجو أحد من وجع الأضراس، إلا بخلعها، ومن الأولاد من أصيب بعرجٍ أو كَتَعٍ نتيجة خلع ولادي، لتعسر ولادته، وكثيراً ما نستخدم كلمة اقْلع بدل اخْلع لتعطي الدلالة بدقة متناهية.

ولتجنب الإطالة في سياحتي في ضروب كلمة (خلع)، أكتفي بهذا القدر الذي أعطى دلالة واضحة فاضحة، لممارسات يأباها رفضاً و تقذيراً الطبع السليم.

إرضاءُ الناس ..

"إرضاء الناس غاية لا تُدْرَك"، مقولة تتردد كثيراً على ألسنتنا، ولما لها من كبير الأثر في تجربتنا في التعامل مع الآخرين، فقد حفرت مساربها في أنفسنا، فمهما فعلنا لا يمكن أن نرضي كل الناس، لذلك تبقى قناعاتنا هي المؤشر والدافع لما نقوم به، ضمن المتاح لنا من حرية شخصية بحيث لا نعتدي على حرية الآخرين .

ولغاية في نفسي، حاولت الغوص في المعاني لعلي أدرك قيمة الكلمة التي أنا بصدد الخوض في غمارها، ولعل من أسرفوا على أنفسهم إسفافاً وسفاهة، وهم يتهاوون في دَرَكِ الفاحشة و الرذيلة ،فيكونوا قد خرقوا منظومة مجتمعاتهم القِيَمِيّة.

ويكون الإدراك هو اللّحوق، واللّحاق، يقال: مشى حتى أدركهُ، وعاش حتى أدرك زمانه، و أهل السخاء و الكرم لا يُدرِكُ مسارهم إلا القليل، ممن يتمثل خطاهم، أما إذا أدرك الغلام فقد بلغ الحلم، و ما زالت كلمة دَرَكي تتناوب بين الحين و الآخر على مخيلتي، منذ صغري وعند معرض حديث أحدهم عن شرطي، و بالعودة للبحث عن أصل هذه التسمية، فقد وجدت أن الدّرَكْ أو الجَنْدَرْمَة أو الحرس (بالفرنسية: Gendarmerie)، قوة عسكرية نظامية مكلفة بالقيام بمهام متعددة (إدارية، قضائية، عسكرية)، وقد عادت بعض الدول

ومنها الأردن لتشكيل قوات الدَّرَك وهي جزء من قوات الشرطة، و اللغة العربية متجددة بحيوتها، تواكب كل مستجدات العصر، فيكون معنى الدرك (الدَّرَكُ) في اللغة العربية هو اللحاق لدفع الخطر عن المجتمع أو النظام، بمكافحة كل أساليب الجريمة والشغب و الفلتان الأمني. ورِجَالُ الدَّرَكِ هم قُوَّاتُ الشُّرْطَةِ التي تُحَافِظُ عَلَى الأمْنِ العَامِّ، وَبِالأَخَصِّ فِي الطُّرُقِ وَالبَوَادِي، لإدراكهم الفارّ والمجرم.

قادني البحث للتوقف عند الآية الكريمة في القرآن الكريم (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) - سورة النساء١٤٥-، والدَّرْكُ الأسفلُ من النار هو قعرُها الأخير، ويكون مكان استقرارهم، وهو أقْصَى حَدٍّ فيها، كما أن النار دَرَكاتٌ، والجنةَ درجاتٌ، و دَرَكَ أسْفَلُ كُلِّ شيءٍ ذي عُمْقٍ كالبئر وغيره، هو أقصى قَعْره، و لما خاف أصحاب سيدنا موسى عليه السلام من فرعون وجنوده،(**قال أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**) الشعراء٦١، أي يُدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا به، و إذا تَدَارَكَ القومُ يكونوا قد تلاحقوا، لَحِقَ آخرهم أولهم، ومنه وقوله تعالى: (**قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ**) - الأعراف ٣٨- فهم قد تلاحقوا حتى صاروا في مكان واحد، و أصل الكلمة تداركوا ولكنها أدغمت.

وفي الانتقال إلى علم الحديث، فلا بد من التوقف عند كتاب المستدرك على الصحيحين، وهو أحد كتب الحديث النبوي. جمعها الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، جمع فيه الأحاديث التي اعتقد أنها صحيحة، وعلى شرط الشيخين (البخاري ومسلم)، أو على شرط أحدهما، ولم يروها الشيخان (البخاري ومسلم) في صحيحَيْهِما، ولكن قاما بالتخريج لرُوَاتِها في كتابيْهِما.

ومما تجود به ذاكرتي أيام الصيف، أثناء ذهابنا للكروم المحيطة بمدينتي بصرى الشام، فقد نبهني أحد الرجال المقيم في عريشته الناطور، عندما تنحنح وكنت أظن أنه لا يوجد أحد في الكرم، و ذلك لحراسة وحماية كرمه من المتطفلين والحرامية، بقوله: (دَرَاكَ الأفعى يا ولد)، فزعت خوفاً، مرتجفاً وقلبي ينبض بأعلى درجاته، وظننت أن تحذيره (وَرَاكَ وليس دَرَاكَ)، ولم أفهم كلمته (رحمه الله)، إلاّ عندما دخلت في دهاليز جذرها، بعد ذلك، أمرني بالاقتراب منه للاطمئنان عني، وأمرني بالذهاب إلى طرف الكرم، لأخذ قطف عنب لذيذ من ذلك (الدّرُوك السَّلْطِي) نسبة إلى مدينة السلط. وقد أدركت ببصيرتي، قيمة المعنى، فرأيته وعاينتُه في مواطنه الحقيقة في المعاجم و القواميس، واستدركتُ ما فاتني من إدراك المعاني الخلاّبة التي أخذت بلباب عقلي، حتى أدركت بعضاً منها، قيدته لعل فيه فائدة لكل من قرأ، وذلك من خلال مُداركتي على نبش بطون الكتب، متحملاً تبعاتها، عندما اقتحمت هذا المعترك، وها أنا قد دارَكْتُ كلماتي بالمتابعة و الترتيب، لإيصالها لكم.

الكتابة .. هي الحل

جاءت الكتابة في المقام الأول في تاريخ البشرية، نتيجة للتعلم، وهي فنٌ مكتسب اقترنت مع مهارة القراءة المكتسبة أيضاً، بذلك تكون الكتابة هي هدف القراءة الأبرز، حيث أنها سابقة عليها كمرحلة أولى، الكتابة تستلزم القرطاس والقلم، عندما تطورت الحال من النقش على الحجر والطين والخشب وغير ذلك، وهي احتراق داخلي للكاتب، وفضيحة تكشف كثيراً من دواخله.

في بيتنا القديم بجانب الجامع العمري في مدينة بصرى الشام، جنوب سوريا، وفي التحديد في غرفة جدّي، كانت هناك (كُتبيّه) عبارة عن فجوة في الحائط السميك، على شكل مستطيل، لها باب وقفل و برواظ، بمثابة مكتبة يحتفظ فيها بمجموعة من الكتب التي كان يمتلكها آنذاك.

كلمة كَتَبَ مثيرة بما لها من دور في حياتنا، و من كَتَبَ كِتاباً وكتابة، والكِتاب أيضاً له دلالة على الفرض و الحكم و القدر، (كتب الله على نفسه الرحمة) و (كتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم)، أي فُرض عليكم. و للتعبير عن الضيق و التأفف في المثل الشعبي من أمر ما، بقولهم (شو هالكِتْبَهْ)، أي ما هذا الذي

فرض علينا بغير إرادتنا. الكاتب عند العرب، هو العالم العارف، ومنه قوله تعالى: (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) فإذا كانت الكتابة رديئة الخط غير واضحة، يقال عنها: (خرابيش جاج - دجاج -) لصعوبة و تعسّر قراءتها. وفي دوائر الدولة تعتبر وظيفة الكاتب في بداية تعيين أي موظف، فيكون كاتباً في الديوان، أو المحاسبة، أو غير ذلك مما يحتاجون إليه في أي عمل يستطيع القيام به. كما أنه في جمهورية تونس تعتبر تسمية كاتب الدولة (وزير الدولة)، هو وزير بلا وزارة، ويكون عضوًا في مجلس الوزراء وله حق التصويت. يرتبط مباشرة برئيس مجلس الوزراء.

و الكاتب يجمع على كُتّاب بالضم و التشديد، و الكَتَبة، وقد أصبحت اتحادات للكتاب الذين امتهنوا الكتابة، كالأدباء والشعراء والروائيين والمثقفين. وكان الكُتّابُ أو المكتب، هو المكان الذي يقوم بتعليم الأولاد مبادئ الكتابة و القراءة بداية من الأحرف الأبجدية، صعوداً إلى تعليم القرآن، وكان المعلم يطلق عليه لقب شيخ، وهذا ما وعيته في صغري، من كُتّاب الشيخ ناصر الأيوب الكفيف رحمه الله، الواقع جنوب الجامع العمري مباشرة بمحاذاة البوابة الشرقية، وإلى الشرق من الكُتّاب تقع القناطر القديمة. وهذه الكتاتيب كانت تقوم بدور المدارس الحكومية الآن، ولها الفضل في محو الأمية في مجتمعات الأرياف خاصة.

يعتبر (عبد الحميد الكاتب)، وهو عبدالحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب القرشي، من أعلام الكتاب في القرن الثاني للهجرة،

فارسي الأصل عربي الولاء. عمل أخيرًا كاتبًا أول للدولة الأموية على عهد (مروان بن محمد) آخر خلفاء بني أمية. قتل مع خليفته على يد العباسيين عندما تولوا الحكم. وقد ارتقت على يديه صناعة الكتابة، و عُدّ من أساتذة البلاغة العربية، ورائد كتّاب الرسائل عامة، وطور الرسائل بكثرة التحميدات في صدر الرسالة، وبالتوسع في المعاني والعناية بترتيبها ووضوحها.

ورواية (نجمة) المترجمة للعربية عن الفرنسية، وهي الأشهر بين روايات الأديب الجزائري (كاتب ياسين)، المشهور عالمياً، و كل كتاباته باللغة الفرنسية. أما عبد الرسول عبد الزهرة عبد الأمير بن الحاج حبيب الأسدي، فهو الاسم الحقيقي للباحث العراقي (أحمد الكاتب)، فكان هذا الاسم الذي وقّع به كتبه ومؤلفاته العديدة، وهو من أعلام حركة إصلاح التراث الإسلامي ولد في مدينة كربلاء التاريخية بالعراق عام ١٩٥٣م، نشر كتابه (الحسين كفاح في سبيل العدل والحرية)، قدم فيه قراءة جديدة مغايرة لما كان متعارفاً عليه بين الأوساط الدينية الشعبية، من أن الحسين قتل مظلوما فقط، وأن الله قدر له أن يُقتل في كربلاء. وفي عام (١٩٧١) ألف كتابه الثاني (تجربتان في المقاومة)، عن ثورة التنباك في إيران، وثورة العشرين في العراق، ودور المراجع والعلماء في قيادة الثورة. وأصدر عدة كتب أثارت جدلاً لم ينته حتى الآن في الأوساط الشيعية، من أهمها (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه)، و(السنة والشيعة، وحدة الدين، خلاف السياسة والتاريخ). وهو صاحب تيار فكري ربما غرد خارج السرب،

وتفكير خلاف السائد، جدير بمتابعته فكرياً. و أمّا (الكتاب) فهو أول مُؤلَّف في النحو العربي لسيبويه، وكانوا يقولون عنه قرآن النحو لعظمه.

أما الكتيبة في الجيش، هي المتكونة من ثلاث سرايا، وكل ثلاث كتائب تكون نواة لواء، وقد تلجأ الكثير من الصحف والجرائد، للطلب بـ (اسْتِكْتَاب) المثقفين والأدباء والمحللين السياسيين في قضايا الساعة، مقابل أجر مادي متعارف عليه، ومن (اكْتَتَبَ) أي كتب، ومنه قوله تعالى (اكتتبها)، ومن كتب نفسه في ديوان السلطان، واستخدم مصطلح الاستكتاب على بيوت وشقق الجمعيات السكنية، أو على أي شيء آخر.

وقد جاءت تسمية كاتب بالعدل من آية الدين في آخر سورة البقرة (وليكْتُبْ بينهُما كاتبٌ بالعدل) وانسحبت صفة (كاتب العدل) على موظف المحكمة، الذي يقوم بتوثيق العقود على اختلاف أنواعها، يفترض به أن يكون موضع أمانة وثقة لتحقيق العدل. وفي صدر الاسلام، كانت (المُكاتبة و التكاتُبْ) بمعنى أن العبد يكاتب سيّده على نفسه بثمنه، لاعتاق نفسه من ربقة العبودية.

و للخروج من مآزقي الكثيرة، لجأت للكتابة حين أيقنت أن فيها الخلاص و الحلّ، لتبيان مما استشكل في ذهني من أمور للتوضيح، وخاصة فئة (الكَتَبْتجِيّه) هذه الكلمة المعبرة بدلالة استخدامها على المُخبِرين المُؤْذِين للآخرين بتقاريرهم الكاذبة، و يتجنّبهم الناس اتّقاء شرّهم.

آمنتُ أن الكتابة هي الحل، عندما تؤرخ لفضائح المتآمرين والخونة، وتغوص في ثنايا الحاضر في محاولة لحلحلة المشاكل، وتذليل الصعوبات، وتجعلنا نتطلع لآفاق المستقبل، وهي ترسمه مزروعًا بالأمل و التفاؤل، ونحن نحثُّ خطانا بهمة عالية للوصول. وقالت العرب: الفكرة صيد، والكتابة قيد.

آمنتُ أن الكتابة هي الحلّ، وأن ما كُتبَ سيقرأ، وما بقي شفاهيّة تتناقله الألسن سيُنْسى، ويموت بموت صاحبه، فمن استطاع الكتابة.. فليكتُبْ لقادم الأجيال.

الفهرس

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة	٤
حديث الهجرة	٥
الهجرة	٩
الحدّ و الحدود	١٢
وأمّا من جاءك يسعى	١٦
غربة واغتراب	١٩
أغنية للتاريخ	٢٤
الكلاب بين التدجين و الحريّة	٢٧
المسمار	٣١
المطبّات	٣٥
النمس ونمس باب الحارة	٣٩
شمس العرب و الاستعمار	٤٢
عيادة نفسية	٤٥
العرب وغرام الهند	٤٧
يد الله فوق أيديهم	٥٠

الحمير هل تشبهنا ..أم نحن لا نشبهها	٥٥
الذّنب و الأذناب	٥٩
العدل شمس الحياة	٦٤
إرادة الشّعب	٦٧
الميدان	٧١
زنقة .. زنقة	٧٥
الفضل و الفضلاء	٧٧
الطل و الأطلال	٨١
نعمة النسيان	٨٥
قراءة في الأفكار (١)	٨٨
قراءة في الأفكار (٢)	٩١
الثّورة أنثى الثّور	٩٥
الطّرطور	١٠٠
الأماكن	١٠٣
أمنية الإسكندر	١٠٦
درب الجهير ..درب الحب	١٠٩
الرشد و الرّشاد	١١١
الأجهزة	١١٥

شقائق النعمان	١١٨
الأسوار	١٢٢
الروابط و الارتباطات	١٢٦
العرب أمة واحدة	١٣٠
خبرني يا طير	١٣٤
ومن سار على الدرب وصل	١٣٧
مصارع الاستعباد	١٤١
قصة الدعارة	١٤٥
تراب حوران.. تراب الوطن	١٥٠
العرج و العرجان	١٥٤
الحلال بيّن والحرام بيّن	١٥٨
العمود النبطي و حوريات الماء	١٦٢
لو سرت بنا إلى برك الغماد	١٦٤
الولاية و الولاة	١٧١
الصراف الآلي	١٧٥
شاهد على العصر	١٧٩
مدارج الصبا	١٨٢
فلسفة حمراء	١٨٥

حط بالخرج	١٨٩
بعد منتصف الليل	١٩٤
دلال المغربي	٢٠٠
و للحرية الحمراء	٢٠٤
قل للمليحة	٢١٠
الطبع السليم يأباها	٢١٤
إرضاء الناس	٢١٨
الكتابة هي الحل	٢٢١

تمّ بعون الله

وفضله ومنّته عليّ